مَلْحَمَةُ شِّطْرَنْج
أَوْ
أَسْلِحَةُ إِبْلِيسَ



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ، كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ»

(رواه أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٣/٧))



جَمَعَهُ وَرَتَّبَهُ

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

من إصدارات

دار التوحيد

مَلْحَمَةُ شِّطْرَنْج

(الْمَعْرَكَةُ مَعَ الشَّيْطَانِ.أَسْلِحَةُ إِبْلِيسَ)

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

دار التوحيد

الطّبْعَة الأولىٰ

١٤٤٠هـ. ٢٠١٩م

دار التوحيد

شِبِينُ الكَوْمِ – الْمَنُوفِيَّةِ – مصر

هاتف واتس فقط: ٠١٠٠٦٢٦٦٢٧٨





مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الواسعِ العظيم، الجوادِ البَرِّ الرَّحِيم، خلقَ كلَّ شَيْءٍ فقدَّره، وأنـزلَ الشرعَ فَيَسَّره وهو الحكيمُ العليم، بدأ الخلقَ وأنهاه، وسيَّر الفَلَكَ وأجراه، أحمدُهُ على ما أوْلى وهدَى، وأشكرهُ على ما وهبَ وأعطَى، وأشهدُ أنه لا إِله إلاَّ هو الملك العليُّ الأعلى، الأولُ الَّذِي لبيس قَبْلَه شَيْء، والاخِرُ الَّذِي ليس بَعْدَه شيء، والظاهرُ الَّذِي ليس فوقَه شيء، والباطِنُ الَّذِي ليس دونَه شيء، وهو بكلِّ شيءٍ عليم، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى على المرسلين، صلَّى الله عليه وعلى صاحبِه أبي بكر أفضل الصِّدِّيقين، وعلى عمرَ المعروفِ بالقوةِ في الدِّين، وعلى عثمانَ المقتولِ ظلماً بأيدي المجرمين، وعلى عليٍّ أقربِهم نسباً على الْيقين، وعلى جميعِ آلِهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً، **وبعد:**

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ، كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ» (رواه أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٣/٧)

وقوله: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ": أي يهزله ويجعله ضعيفا مهزولاً، ويَجْعله نضْوا، والنضْو: الدابة التي أهْزَلَتْها الأسفار، وأذْهَبَت لَحْمَها.

وقوله: "كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ": فالبعير يتجشم في سفره أثقال حمولته فيصير نضوا لذلك، وشيطان المؤمن يتجشم أثقال غيظه منه لما يراه من الطاعة والوفاء لله فوقف منه بمزجر الكلب في ناحية، وأشار ﷺ بتعبيره "لَيُنْضِي" دون يهلك ونحوه إلى أنه لا يتخلص أحد من شيطانه ما دام حيا فإنه لا يزال يجاهد القلب وينازعه.

والعبد لا يزال يجاهده مجاهدة لا آخر لها إلى الموت

- قيل للحسن البصري أينام إبليس؟ فتبسم وقال: لو نام لوجدنا راحة.

- قال ابن القيم في كتابه البديع "بدائع الفوائد (٢/٢٥٦)": "فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه"

- وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطان: دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن كالعصفور، قلت: و لم ذا؟ قال: أذبتني بكتاب الله

فعلامة إيمانك: إرهاق شيطانك، وراحة شيطانك من ضعف إيمانك

- في كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْفُضَيْلِ بْنِ بَزْوَانَ، فَقَالَ: إِنَّ فُلانًا يَقَعُ فِيكَ، فَقَالَ: "لَأُغِيظَنَّ مَنْ أَمَرَهُ، يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَهُ"، قِيلَ: "مَنْ أَمَرَهُ؟ قَالَ: الشَّيْطَانُ".

- وفي تاريخ دمشق لابن عساكر، قالَ: جَاءَ غُلامٌ لأَبِي ذَرٍّ قَدْ كَسَرَ رِجْلَ شَاةٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ كَسَرَ رِجْلَ هَذِهِ الشَّاةِ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لأَغِيظَكَ، فَتَضْرِبَنِي، فَتَأْثَمَ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لأَغِيظَنَّ مَنْ حَرَّضَكَ عَلَى غَيْظِي، قَالَ: فَأَعْتَقَهُ.

إذا فلابد من معرفة الأسلحة التي يستعملها الشيطان، وأسلحتنا التي نستعملها لنرد كيده في نحره، ونغزوه من حيث أراد غزونا.. لذا كانت هذه الرسالة التي وَسَمْتُها بـ:

مَلْحَمَةُ شِّطْرَنْج ١ أَوْ الْمَعْرَكَةُ مَعَ الشَّيْطَانِ أَوْ أَسْلِحَةُ إبْلِيسَ

١- **الشَّطْرَنْج والشِّطْرَنْج**: فارسي معرب، وكسرُ الشين فيه أَجود ليكون من باب جِرْدَحْل.

ولتعلم أن مداخل الشيطان أكثر مما تحصر في هذا الرسالة ولكنها محاولة أسال الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون خالية من الرواية الضعيفة والموضوعة صافية صفاء السنة المطهرة.

وما أردت في هذه المحاولة أن أجعل القاريء في حالة يأس مترددا في أعماله غير واثق من خطاه، ولكنني أؤمن أن الذين عقدوا البيعة مع الله على أن ينصروا دينه أو يموتوا في سبيله هم أحوج الناس لمعرفة دروب إبليس ومداخله ليخلصوا أنفسهم منها فينطلقون لاستئصال الباطل من أنفس الناس وبناء الحق مكانه، ومع ذلك فهي محاولة لا تخلو من خطأ أو ضعف في بعض النقاط ولا أعني بذلك سد باب النقد، وإنما أردت أن أذكر حقيقة ينساها الكثيرون.

***

وهذه الرسالة كانت دورة كنت ألقيتها في بعض المساجد، فقمت بترتيب ما ذكرناه في هذه الرسالة، وَنَسْأَلُ اللهَ الإِعَانَةَ عَلَى مَا بَدَأْنَاهُ، كَمَا نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ، هَذَا، وَأَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

أَبُو عُمَرَ/ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

شِبِينُ الكَوْمِ – الْمَنُوفِيَّةِ – مصر



الفصل الأول

اعرف خصمك؟؟!!

لكن دعونا نأتي المسألة من بدايتها:

المسألة الأولى: ما هو الدين؟؟!!

الدين هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلًّا وحبًّا، رغبة ورهبة

فهذا التعريف فيه شمول:

١- فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقًّا -وهو الله تعالى- أو معبوداً باطلا، وهو ما سوى الله عز وجل.

٢- فيه شمول للعبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات.

٣- حال العابد؛ إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلًّا وحبًّا للمعبود حال العبادة ؛ إذ إن ذلك من أهم معاني العبادة.

٤- هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً ؛ لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة، والله أعلم.

(دراسات في الأديان لسعود بن عبد العزيز الخلف ص١١)



المسألة الثانية: ما الشيء الذي يدفعنا إلى التدين؟!

وهل لا بد من التدين؟ نعم لا بد من التدين، اقرأ إلى قول الله تعالى:

قال تعالى في سورة النحل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]

قال تعالى في سورة فاطر {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]

معنى ذلك

أن البشر ما انفكوا عن رسل يدعوهم إلى الله، ويشرعون لهم الشرائع التي يتعبدون الله بها

فالحقيقة التي لا تقبل الجدل في أن النزعة الدينية متعمقة في الإنسان ومغروزة فيه

مع أن الدين ليس من الماديات، ولا من الشهوات التي تتعلق بها النفوس، **بل الدين له تبعات ولوازم** تجعل الإنسان في كثير من الأحيان يبذل دمه من أجله، فضلا عن ماله ووقته وعواطفه، ويتحكم الدين في كثير من تصرفات الإنسان وعلاقاته.

فلهذا كثر في بيان الباعث على التدين القيل والقال، والاستنتاجات، والتخمينات

وإليك بعض هذه الأقوال وهي كلها لغير المسلمين:

الخوف من الطبيعة هو الباعث على التدين

قال بعضهم: إن الدافع إلى التدين الخوف من الطبيعة حوله بما فيها من برق، ورعد، وزلازل، وبراكين، وحيوانات متوحشة، جعلت الإنسان في الأزمان القديمة، وهو الضعيف الذي لا حول له ولا طول مع هذه الأحوال المتغيرة

حوله، يبحث عن قوة غيبية لها سيطرة وتأثير في هذه الطبيعة حوله، ولها قدرة على حمايته وحفظه، فأله وعبد ما يرى أنه أقوى وأقدر على حمايته من المخلوقات التي حوله كـــ: الشمس والقمر والبحر ونحو ذلك.

العقل هو الباعث على التدين

قال بعضهم: العقل هو الباعث على التدين، وذلك أن العقل ميزة الإنسان عن الحيوان، وهو باعث على النظر والتفكر في هذه المخلوقات، والإعجاب بها، وتعظيمها، ومن هنا أخذ العقل يفكر فيما وراء الطبيعة، وأداه عقله مع اللغة المستخدمة في الحديث عن الجمادات إلى صبغها بصبغة الأحياء ذوات الأرواح، مما جعله يتعبد لها ويتخذها إلها (ماكس موللر)

الحاجة الاجتماعية هي الباعث على التدين

هناك قول ثالث وهو: أن الحاجة الاجتماعية هي الباعث على التدين، وذلك أن المجتمعات البشرية تحتاج إلى نظم وقوانين تحفظ الحقوق وتصون الحرمات، ويؤدي كل إنسان واجبه بمراقبة داخلية، مما جعل بعض الأفذاذ وذوي القيادة يتولد في أذهانهم الدين، ويبثونه في جماعتهم، فتقبله الجماعة لحاجتها لذلك (دوركايم الفرنسي)

هذه الأقوال يظهر منها واضحاً ادعاء أن **الدين مصدره الإنسان**، وأن باعثه أمر من الأمور المتعلقة بالطبيعة حول الإنسان، أو دوافع داخلية في الإنسان، ولا تحتاج هذه الأقوال إلى كثير عناء في إبطالها وردها ؛ إذ إن هذه البواعث المذكورة كثيراً ما تكون غير موجودة، ومع ذلك يكون التدين ظاهراً واضحاً يصدم دعاة الإلحاد ويهدم تخرصاتهم.

ونحن -المسلمين- نعتقد أن الباعث على التدين:

هو الفطرة

ونعتمد في ذلك على الوحي الإلهي والنور الرباني، فإن القرآن والسنة نصَّا على أن الإنسان مفطور على الإقرار بالخالق والعبودية له والبراءة من الشرك، يدل على ذلك:

- قول الله عز وجل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الروم: ٣٠، ٣١]

- وقوله سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] فهذه الآية تشهد للآية قبلها، وتبين أن الله جعل ذلك في فطر بني آدم، وأنه أخرجهم من أصلاب آبائهم وأخذ عليهم بذلك العهد والميثاق.

- في الصحيحين، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ".

- في الصحيحين، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه {فِطْرَةَ

اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}" ولم يقل يُسلمانه، لأنّ الإسلام مُوافقٌ للفطرة.

هذه الفطرة غرزت في النفس البشرية التدين والتعبد لله تعالى، فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عز وجل فإنه يُعبِّد نفسه لأي معبود آخر؛ ليشبع في ذلك همته إلى التدين، وذلك كمن استبد به الجوع فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه فإنه يتناول كل ما يمكن أكله ولو كان خبيثاً ليسد به جوعته.

***

وقد يقال:

إذا تركنا الطفل من غير أن نُؤثّر في فطرته فهل يخرج موحداً عارفاً بربّه؟!

فنقول: إذا ترك شياطين الإنس البشر، ولم يدّنسوا فطرهم، فإنّ شياطين الجنّ لن يتركوهم، فقد أخذ الشيطان على نفسه العهد بإضلال بني آدم: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: ٨٢، ٨٣]

وأعطي الشيطان القدرة على أن يصل إلى قلب الإنسان:

- كما في الصحيحين، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا".

○ فلله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه

○ وقيل: هو الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه

- والقرآن وصف الشيطان المطلوب الاستعاذة منه بأنّه {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس: ٥]

- وقد صح أيضاً أنّ لكل إنسان قريناً من الجنّ يأمره بالشرّ، ويحثه عليه، وفي صحيح مسلم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» -على بناء المجهول من التوكيل بمعنى التسليط- قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ

○ يُرْوَى بِالْفَتْحِ لِأَنَّهُ فِعْلٌ مَاض قَالَ فَأسلم شيطاني أَي انْقَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى

○ وَبِالرَّفْعِ أَيْ فَأَنَا أَسْلَمُ مِنْهُ وَهُوَ فِعْلٌ مُسْتَقْبَلٌ يَحْكِي بِهِ الْحَالَ

قال القاضي: "واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان".



المسألة الثالثة: ما من مصيبة نـزلت بالإنسان إلا ومصدرها الشيطان

في صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» ما من مصيبة نـزلت بالإنسان إلا ومصدرها الشيطان، وسببها الشيطان، ومع ذلك كله تجد كثيراً من الناس على رغم معرفتهم القوية بهذه الألاعيب وهذه الأحاديث قد يقعون فيها، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول لنا: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ} [فاطر: ٦] ثم يقول: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦]

- الفقرة الأولى من الآية تؤكد العداوة، وأنها موجودة: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ} [فاطر: ٦] وهذه القضية نظرية، وهي معرفة عقلية مجردة، كل الناس يؤمنون بها.

- ولذلك عقب الله سبحانه بقوله: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦] أي: عاملوا هذا الشيطان كما تعاملون عدوكم، واعتبروا كل ما يأمركم به الشيطان أو يدعوكم إليه الشيطان كيد العدو لعدوه

ومن ينتظر من عدوه خيراً أو أمراً بخير؟!

وهذا التحذير الإلهي يأتي أيضاً في سورة أخرى، فبعد أن يذكر الله تبارك وتعالى لنا قصة الشيطان مع أبينا آدم ورفضه للسجود له، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف:٥٠] هذه هي قصة العداوة التاريخية بين الإنسان وبين الشيطان، يعقب الله تبارك وتعالى عليه بقوله: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف:٥٠]

وقد يكون غريباً أن هذا المخلوق الذي يعلن الله سبحانه وتعالى في كتابه في غير موضع أنه عدوٌ لنا، قد يكون من الغريب أن كثيراً من الناس يتبعون هذا العدو، ويتخذونه ولياً من دون الله: {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} [النساء: ١١٩]

لا تكن ضعيف الإرادة

فالقضية -أيها الإخوة- ليست في كوننا نعرف فقط، بل القضية في كوننا نستفيد مما نعرف، **وأضرب لذلك مثلاً**: لو افترضنا أن رجلاً من الناس يعاني من مرض من الأمراض، ويخاف من هذا المرض أشد الخوف، ثم ذهب إلى الأطباء، فقالوا له: إن علاجك أن تمتنع عن تناول أطعمة بعينها، وأعطوه قائمة بألوان وأنواع الطعام التي يجب أن يمتنع منها، فأخذ هذه القائمة، وحفظ هذه الأسماء وأتقنها، وظل لا يحتمي منها، ولا يمتنع عنها، هنا نقول: هذا الإنسان عرف السبيل إلى العلاج، لكنه لم يستفد، لأنه لم يمتنع، ولماذا لم يمتنع؟

قد يكون عدم امتناعه في الغالب ناتجاً عن ضعف إرادته

فهو يعلم أن هذا فيه ضرر عليه، لكنه لا يستطيع أن يمنع ويقهر نفسه عن تناول هذه الأطعمة، ويكون في هذه الأشياء حتفه.

كذلك الحال بالنسبة لمكائِد الشيطان، من منا يجهل العداوة التي قدرها الله سبحانه وتعالى وقضاها بين الإنسان وبين الشيطان؟ وكيف يجهلها المسلم، وهو يقرأ القرآن الكريم الذي يشير دائماً وأبداً أن الشيطان كان خلف جميع النكبات التي أصابت هذا الإنسان؟! انظر إلى تلك الصور

***

إيذاؤه الوليد حين يولد

فِي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦] فلما كانت صادقة في طلبها استجاب الله لها فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم.

***

مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم

والشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي، فإذا ذكر اسم الله عليه، فإنه يحرم على الشيطان، في صحيح مسلم، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ -كأنها تطرد يعني لشدة سرعتها- فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»

***

هدم الأسر المسلمة

فِي صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً -إبليس-

لعنه الله – ما يزال حياً، وأنه ما يزال يُفسد في الأرض ويُضِّل الناس عن سبيل الله، وأنه ليس مُخلداً إلى يوم القيامة، بل له أجل سوف يموت فيه {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [الحجر: ٣٦-٣٨] فذهب أكثر أهل العلم: أن المقصود بيوم الوقت المعلوم، هو يوم موت جميع الخلائق وفنائها عند النفخة الأولى -يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ" قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه

هل رأيتم كيف يفرح الشيطان بهدم الأسر المسلمة؟؟!!

ألا تستحق الأسر المسلمة سعة من الصبر من جانب الزوجين حتّى تكتمل الحياة؟!

تأنّوا وترّوّوا أيها المسلمون فالأسر المسلمة في حاجة إلى تماسك لا إلى هدم فعلى كل زوجين أن يعلما أن شياطين الجن والإنس لهما بالمرصاد، فهم يتربصون بكل زوجين، ويضمرون لهما العداوة والبغضاء، فيصعِّدون الخلافات البسيطة مما يجعلها ذات حجم أكبر من أصلها، وربما كانت سببًا في إحداث الفرقة بينهم.

***

وفي النهاية (خطبة الشيطان)

بالفعل الشيطان له خطبة وخطبة شهيرة للغاية ولكنها ليست في الدنيا... إنها في جهنم والعياذ بالله، قال تعالى في سورة إبراهيم {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ

سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: ٢٢]

قال الرازي: هذه الخطبة إنما تكون إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فيأخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه فيقوم في ما بينهم خطيباً بما أخبر عنه القرآن.

وقال الحسن: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً

اقرأ معي هذه الخطبة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} هذه الخطبة التي يخطب بها إبليس في جهنم، أي لما فرغ الله من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

{إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} أي وعدكم وعداً حقاً بأن يثيب السائر على طاعته بدخول الجنة وأن يعاقب العاصي بدخول النار وقد صدق الله في وعده معكم أما أنا......

{وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} أي وعدتكم أن الله سيغفر لكم كل الذنوب التي اقترفتموها حتى ولو لم تتوبوا منها، وعدتكم أني سأكون معكم يوم القيامة وسأتحمل الذنوب عنكم.

{وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} أي لم يكن لي قدرة وتسلط وقهر عليكم فأقهركم على الكفر والمعاصي.

نعم أيها الأحبة ها هو الشيطان يعترف بالحقيقة.....

الحقيقة التي أقرها الله تعالى في كتابه الكريم حين قال {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٦] كل الذي يقوم به الشيطان هو......

{إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} أي إلا وسوستي لكم بالأعمال القبيحة التي تسخط المولى عز وجل والعيب ليس في أنا ولكن العيب فيكم أنتم... أنتم الذين استجبتم لي.... أنتم الذين أطعتموني في معصية الله على الرغم من صيحات الهداية التي كان يطلقها أهل الصلاح وأنتم على أحوالكم وكأنكم لا تسمعون ولذلك....

{فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} أي لا تلقوا باللوم علي ولكن لوموا أنفسكم على استجابتكم لنداء الشهوات وأنتم تعلمون نهاية الطريق، وحتى لو لمتنني فأنا لا أستطيع أن أنفعكم بشيء.......

{مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} أي ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بيموغيثي من عذاب الله فاليوم لا تنفع الشفاعة إلا لعباد الله الصالحين

اليوم تتبين لكم حقيقتي التي كنتم تعرفونها وتغضون الطرف عنها.....

الحقيقة التي قال الله عنها في كتابه الكريم

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧] ثم يأتي المشهد الأخير في هذه الخطبة المؤثرة المشهد الذي يزيد أهل النار حسرة وألما....المشهد الذي تظهر فيه حقيقة الشيطان اللعين

مشهد التبرؤ من أتباعه...

{إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} أي كفرت بإشراككم لي مع الله في الطاعة....فكل فرد يحاسب وحيدا ولن ينفعكم اليوم أي شيء إلا أعمالكم الصالحة، ثم يخبرهم بالنتيجة الحتمية لكل ظالم....

{إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: ٢٢]

وهكذا تنتهي الخطبة..... فهل من معتبر؟؟؟

المسألة الرابعة: حكم لعن الشيطان

قال تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ} [النساء: ١١٧، ١١٨] وهذا يدل من حيث الأصل جواز لعن الشيطان **لأن اللاعن للشيطان في الحقيقة مخبر عن لعن الله له** موافق لحكم الله فكلامه حق وصدق في كون الشيطان مطرود من رحمة الله مخلد في النار.

لكن ورد في السنة النهي عن سب الشيطان واللعن في معناه كما في سنن أبي داود، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: "لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ"، وهذا يدل دلالة واضحة على كراهة لعن الشيطان وسبه والمبالغة في ذلك لأن ذلك يقوي كيد الشيطان ويجعله يكبر في نفسه، ويرى أنه قد نال من المؤمن ويضعف المؤمن غالبا لأنه يتكل على اللعن ويتقاعس عن العمل، **وهذه حيلة العاجز** فيصير كلما أصابه مكروه أو ذنب أو وقع في غفلة جعل يلعن الشيطان ويسبه فقط وهذا يسبب له هزيمة نفسيه أمام عدوه اللدود.

ولذلك كان المشروع للمؤمن حينئذ التعوذ من الشيطان كلما اقتضى الحال أو سنحت له فرصة، وهذا هو الذي ينفع المؤمن ويكفيه شر الشيطان وشركه وهمزه ونفثه ويكبت كيده، وقد أمر الله بذلك عند نزغه قال تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١،٢٠٠] إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكَّروا ما

أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

وشرعت الاستعاذة عند ابتداء العبادة حتى يتخلص المؤمن من الوساوس التي تفسد العبادة أو تضعفها كما قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: ٩٨] وشرعت أيضا عند دخول المسجد وعند الشروع في الصلاة وعند الوسواس فيها وعند الدخول إلى الخلاء وعند رؤية الإنسان ما يكره من الرؤى في منامه وعند الجماع، وغير ذلك من الأحوال التي يتسلط فيها الشيطان على العبد أو يكون مظنة لذلك فيستحب للمؤمن حينئذ التعوذ والاعتصام بالله من الشيطان.

أما لعنه والإكثار منه والمداومة على ذلك فغير محمود ويفتح باب شر على المؤمن

ولقد كان رسول الله ﷺ كثير التعوذ من الشيطان في كثير من أحواله كما ثبت في جملة من الأحاديث الصحيحة، أما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال (قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك"، ثم قال "ألعنك بلعنة الله" ثلاثا) رواه مسلم، فهذا الحديث على خلاف الأصل وهو محمول على حال خاصة بالنبي ﷺ عند مجاهدة الشيطان أو يكون اللعن مشروعا مع اقترانه بالتعوذ وليس فيه دلالة على لعنه حال الانفراد.

والحاصل: أن المشروع للمؤمن غالبا هو التعوذ من الشيطان وترك سبه ولعنه لاسيما عند حدوث الغفلة والبلاء، ويسوغ لعنه إذا كان على سبيل الإخبار عن الله، أو لبيان الجواز، ولا ينبغي المواظبة على ذلك.



المسألة الخامسة: حياتنا ما هي إلا ملحمة شِّطْرَنْج كبرى

والشِّطْرَنْج: لعبة تلعب على رقعة فيها أربعة وستون مربعاً، وتمثل مجموعتين متحاربتين، باثنتين وثلاثين قطعة، ورقعة الشطرنج، هي: اللوح المربع الذي تصف عليه القطع، ويملؤها لونا الأبيض والأسود، وعليها جنود يتدافعون ويموتون، والقلاع تحاصر وتتهاوى، والخيول تتراكض، والفيول تهاجم، والوزير يصول ويجول، والملك يقف إما مذعورا لخسارته وإما مبهورا لانتصاره، كل لحظة من لحظات حياتنا جزء من تلك الملحمة الكبرى، حتى ولو قلت: أنا لا أحب الشِّطْرَنْج، فلا خيار لك، أنت مجبور على اللعب.

حياتنا ما هي إلا ملحمة شِّطْرَنْج كبرى

الآن عرفنا خصمنا على رقعة الشِّطْرَنْج، وهو خصم ماهر محترف وغشاش، وهو لا يتمتع باللعب، ولا يلعب من أجل اللعب، هو يريد فقط أن ينفذ وعده وقسمه ويغلبنا {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٢]

وقد نجح خصمنا في أول لعبة شِّطْرَنْج لعبها عرفها التاريخ، وكان خصمه آنذاك هو أبونا آدم عليه السلام {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه: ١٢٠] وكان من نتائج ذلك الانتصار –أن خرجنا من الجنة–.

ملحمة شِّطْرَنْج هي ملحمة الحياة

الأبيض والأسود هما اللونان الوحيدان في هذه الملحمة

فإذا عرفت خصمك فلا بد أن تعرف كيف تلاعبه، وكيف تكسبه؟! فافهم خصمك لتواجهه

عناصر الْفَصْل الْأول

اعرف خصمك؟؟!!

المسألة الأولى: ما هو الدين؟؟!!
المسألة الثانية: ما الشيء الذي يدفعنا إلى التدين؟!
المسألة الثالثة: ما من مصيبة نزلت بالإنسان إلا ومصدرها الشيطان لا تكن ضعيف الإرادة إيذاؤه الوليد حين يولد مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم هدم الأسر المسلمة وفي النهاية (خطبة الشيطان)
المسألة الرابعة: حكم لعن الشيطان
المسألة الخامسة: حياتنا ما هي إلا ملحمة شِّطْرَنْج كبرى

الفصل الثاني

افهم خصمك؟؟!!

إلى ما يدعوك إبليس ؟؟!!

أولا : يدعوك إبليس إلى الكفر بالله تعالى

شياطين الجنّ يقومون بدور كبير في إفساد فطرتك وتدنيسها

– في صحيح مسلم عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا..."

– وفي صحيح ابن حبان، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ **فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ**، وَيَجِيءُ، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ»

والبعض يقول لن يعود المسلمون إلى عبادة الشيطان أبدا، واحْتَجَّ الزَّاهِدُوْنَ فِي تَعَلُّمِ التَّوْحِيْدِ الْيَوْمَ بما رواه الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ

جَابِرٍ مَرْفُوْعًا (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبدَهُ الْمُصَلُّوْنَ؛ وَلَكِنْ فِي التَّحْـــرِيْشِ بَيْنَهُمْ)! ولا دلالة في الحديث على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العـــرب، **ويوضح ذلك:** أن أكثر العرب ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجعوا إلى الكفر وعبادة الأوثان، وكثير صدقوا من ادعى النبوة كمسيلمة وغـــيره، **وقد اختلف أهل العلم في الجواب على حديث جابر:**

القول الأول: أن الشيطان قد يَئِسَ مِنْ جِهَةِ إِطْبَاقِ أَهْلِ الأَرْضِ عَلَى الشِّرْكِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى امْتَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ بِوُجُوْدِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُوْرَةِ البَاقِيَةِ عَلَى الحَقِّ.

القول الثاني: أن إخبار النبي ﷺ بيأسه لا يدل على عدم الوقوع، بل يجوز أن يقع، على خلاف ما توقعه الشيطان، لأن الشيطان لما حصلت الفتوحـــات، وقوي الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا؛ يئس أن يعبد ســـوى الله في هذه الجزيرة، ولكن حكمة الله تأبى إلا أن يكون ذلك، وهذا نقوله ولا بـــد، لئلا يقال: إن جميع الأفعال التي تقع في الجزيرة العربية، لا يمكـــن أن تكـــون شركا، وإلى هذا ذهب العلامة ابن العثيمين رحمه الله، ويدل عليه: أن الـــنبي ﷺ نسب الإياس إلى الشيطان مبنيا للفاعل، فلم يقل: "أيس" بالبناء للمفعول بمعنى أن الله تعالى أيسه.

القول الثالث: أَنَّ الحَدِيْثَ ذَكَرَ وَصْفَ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُم -الْمُصَلُّوْنَ-

***

ولا يشترط أن يقول لك الشيطان: "اعبدني"

نجد في القرآن الكريم أن إبراهيم ﷺ حين وقف أمام والده المشرك المكابر يذكره ويقول له {يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} [مريم: ٤٤] ولم يكن والد إبراهيم ممن أقاموا المعابد والهياكل وصلوا فيها وسجدوا فيها لإبليس، بل كانوا يعبدون الأصنام والنجوم والكواكب

وغيرها، **وإنما إعراض الإنسان عن عبادة الله إلى عبادة الصنم، هي في الحقيقة عبادة الشيطان**، حتى ولو برزت في بعض الأحيان أنها عبادة لملكٍ مقرب أو لنبيٍ مرسل.

- فالذين يعبدون الملائكة هم في الحقيقة يعبدون الشياطين
- والذين يعبدون الأنبياء هم في الحقيقة يعبدون الشياطين
- والذين يعبدون الأولياء والصالحين هم في الحقيقة يعبدون الشياطين

ولذلك إذا كان يوم القيامة يحضر الله سبحانه وتعالى الناس في صعيدٍ واحد، ويحضر آلهتهم المدعاة، فمن كان يعبد شيئاً تبعه؛ فيأتي هؤلاء الناس الذين كانوا يعبدون الملائكة في الدنيا، يحضرهم الله تبارك وتعالى، ويحضر الملائكة، الذين ادعوا أنهم كانوا يعبدونهم، ويسأل الله سبحانه الملائكة، فيقول {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سبأ:٤٠] هؤلاء الذين كانوا في الدنيا يتظاهرون بعبادة الملائكة، **هل كانوا يعبدونكم فعلاً وحقاً أيها الملائكة؟ فماذا تقول الملائكة؟**

تقول كما قال عنها {قَالُوا سُبْحَانَكَ} [سبأ:٤١] فبدءوا بتنـــزيه الله سبحانه وتعالى {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} [سبأ:٤١] أي: وإن ادعوا عبادة الملائكة، فالملائكة تبرأ من هذه العبادة وتنكرها، وتقول: نحن عبيدٌ مربوبون نتوجه بالدعاء والعبادة لله رب العالمين، فلا ينبغي أن نُعبد {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ:٤١] أي: يُطيعون الشياطين في عبادتهم إيَّانا، فالإنسان حتى وهو يخيل إليه أنه يعبد ملكاً من الملائكة، حقيقة الأمر أنه يعبدُ الشيطان لأن الذي أمرك بهذه المعصية هو الشيطان.

***

طريقة الشيطان في ذلك

إثارة الشبهات والشكوك في قلب ابن آدم

يشككه في الله، أو في الرسول ﷺ أو في القرآن، أو في الجنة، أو النار، أو في البعث:

- هل الله موجود أم لا؟؟!! هل كان محمّدٌ ﷺ نبيّاً حقّاً؟؟!!
- هل أنا مؤمن أم لا؟؟!!

يقول أحدهم:

- عندما أسمع أذانًا بصوتٍ فيه تكَلُّف أشمئز منه، فيأتيني الخاطر أني بذلك أشمئز من الأذان لا من الصوت؛ فأعود لأتشهد من جديد، وأغتسل لدخول الإسلام!

- وعندما أسمع قارئًا للقرآن لا يعجبني صوتُه، يأتيني خاطر بأني أكره القرآن! فأعود لأتشهد من جديد، وأغتسل لدخول الإسلام!

- يأتي لبعض الناس: أيها الرجل، العقيدة أمرها عظيم أم هين؟؟!! فيقول الرجل: عظيم طبعا، فيقول له: وهل الأمر العظيم يدرك بسهولة لا بد أن يكون إدراكه على قدر أهميته، فبحثنا في أصعب العقائد الموجودة، والتي لا يكاد أن تفهم، ولو اجتمع عشرة من أصحابها على بيانها لخرجوا بأحد عشر قولا، فلا شك أن هذه العقيدة هي الصحيحة، ونسأل العافية من أمثال ذلك.

فإذا استقرت هذه الشكوك في قلب الإنسان، وامتلأ بها ضميره، فإنه حينئذٍ يكون قد سلم قياده للشيطان، وانتهى منه الشيطان.

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ فلا غرْو أنْ يرتابَ والصُّبحُ مُسْفرُ

ومنْ يتّبع لهواه أعمى بصيرة ومن كان أعمى في الدُّجى كيف يُبْصر

قرأتُ كلمةً محكمة لشيخ الصوفيَّة عمرو بن عثمان المكِّي، وردتْ في **كتاب**: "مختصر العلو" للذهبي عند ترجمتِه له؛ حيث يقول: "صنف -أي عمرو المكي- "آداب المريدين" فقال فيه في (باب: ما يجئ به الشيطان للناس من الوسوسة): "أمَّا الوجه الذي يأتي به التائبين إذا امتنعوا عليه واعتصموا بالله، فإنه يوسوس لهم في أمر الخالق؛ ليفسدَ عليهم أصول التوحيد"، فذكر في هذا فصلًا طويلًا إلى أن قال: "فهذا مِن أعظم ما يوسوس به:

- في التوحيد بالتشكيك،
- وفي صفات الربِّ بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها، أو التعطيل
- وأن يُدْخِل عليهم مقاييس عظمة الربِّ بقَدْر عقولهم،

فيَهْلكوا إن قبلوا، أو يَتَضَعْضع أركانهم، إن لم يلحقوا بذلك إلى العلم وتحقيق المعرفة".

وقبل أن نغادر هذه النقطة، أقول: يجب أن نفرق:

بين الوساوس التي قد تعرض لكل إنسان، وبين العقيدة المستقرة في القلب

- فما من إنسان إلا والشيطان يحاول أن يغريه، ويحاول أن يثير عليه الشكوك والوساوس، وخاصة في فترة الشباب وفترة التفكير، فيبدأ الإنسان يضرب يمنةً ويسرةً ويفكر، وقد يحاول الشيطان أن يلقي إليه بقدر ما يستطيع بعض الشبهات، فتجد هذا الإنسان -وكم رأينا من بعض الشباب، حتى الذين فيهم خيرٌ وصلاحٌ واستقامة- تجده يعيش حياته في قلق، لا يهدأ له بال، ولا يستقر له ضمير، ولو فتشت لوجدت أن الشيطان قد ألقى في قلبه شبهة من الشبهات، أو وسوس له بشيءٍ ما نغص عليه حياته.

- ثم بدأ يقول له: أنت الآن على حال من الكفر، أو شك في الدين، ومن الممكن أن الموت يداهمك اليوم أو غداً، فتموت كافراً، وهذا الشعور يقلق

الإنسان كثيراً، يقلقه كثيراً أن يشعر أنه لم يستقر الإيمان في قلبه، وأن الموت يهدده في كل لحظة.

فأقول: هنا يجب ألا ننخدع بهذه القضية، لأن هذه ألعوبة محبوكة من الشيطان، ربما يكون قصد الشيطان هنا، إضافة إلى أنه يحرص بطبيعة الحال على أن يضل الإنسان، قد يكون قصده من جانبٍ آخر، وهو أنه ينغص على المؤمن عيشه، ولا تظن أن الشيطان لا يفكر في هذه الأمور، حتى الحزن، يحرص الشيطان على أن يكون الإنسان حزيناً، وقد ذكر الله تعالى هذا في كتابه، فقال {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة: ١٠]

فربما يكون قصد الشيطان هنا أن ينغص عليك الحياة، ويجعلك في حال من التوتر والهم والحزن شديد، على الأقل ربما يكون من نتائج هذا أن الإنسان قد يكون عنده رغبة في الخير وحرص على الطاعات، فيضعف ويصبح إنساناً عادياً، يؤدي الفرائض، ولا يهتم بأمرٍ آخر.

فإذا قيل له: اتق الله وفكر في أمور دينك، وفكر في الآخرة، **قال:** يا أخي أنا لا أحب أن أفكر في هذه القضايا، **فتسأله:** لماذا لا تحب أن تفكر فيها؟

فيقول: لأني إذا فكرت فيها، تبدأ الوساوس، والشكوك، والهواجس تتسرب إلى قلبي، ثم إني أحب أن أبقى إنساناً لا أفكر في هذه الأمور، ولا تخطر لي على بال، يكفيني أن أكون كعوام المسلمين، أصلي وأصوم وأزكي وأحج، ولا أحب أن أدخل في نفسي مثل هذه المتاهات، لاحظوا كيف وصل الشيطان إلى ما يريد، بطريقة قد تخفى على الإنسان.

فإذا وجد إنسان شيئاً من ذلك في قلبه، فأقول:

أولاً: يجب أن يقنع نفسه بأن الحالة التي يعيشها، ليست حالة شك، سُئِل ابنُ مسعود عن الوسوسة فقال: "هي برزخٌ بين الشك واليقين" كما ذكر

ذلك ابن عبد البر في "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" فهي حالة وسوسة تدل على صريح الإيمان في قلبه:

- في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»

- وفي مسند أحمد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُحَدِّثُ أَنْفُسَنَا بِالشَّيْءِ لَأَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ؟ قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسَةِ» وَقَالَ: الْآخَرُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»

نفس الشعور الذي عندك جاء إلى الصحابة، وأخبروا سيد الدعاة ﷺ فيكون ما وجدوه هو صريح الإيمان، لو سألناك أنت الآن فإننا نجدك متأثراً وخائفاً، تخاف من ماذا؟ **تقول: والله أخاف أن أموت على هذه الحالة، هذا نفسه دليل على أنك مؤمن**، لأنه لو لم يكن عندك إيمان لما كان يهمك أن تموت على هذه الحالة، أو أن تموت على أي حال.

ثانيا: لا يستعاذ من الخلق إلا بالخالق جل وعلا: قال الله تعالى {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف٢٠٠] وقال الله عز وجل {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت٣٦] ومعنى ينزغنك: يصيبنك أو يلقين ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل، فاستعذ بالله أي: اطلب النجاة من ذلك بالله.

وقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟

قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

ثالثا: فلا يجب أن تقلق لكن لا أقول لك لا تأبه ولا تهتم بهذا الشعور، لا، بل ينبغي للإنسان أن يكافح هذا الأمر، يكافحه بقراءته القرآن الكريم، بالذكر، بالعبادة، بصرف التفكير عن هذه الأمور، بقراءة الكتب التي تصرف هذه الهواجس والوساوس، **على سبيل المثال:** كتاب "تلبيس إبليس" تأليف أبي الفرج بن الجوزي ١ وكتاب "إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان" للحافظ ابن القيم، وكتابُ: "ذم الموسوسين"؛ لابن قدامة المقدسي، ومن كتب المعاصرين: كتاب "حتى يستسلم الشيطان" "وتستمر المعركة" للدكتور خالد أبو شادي، وكتاب جزء من كتاب "في ضوء المجرة" تحدث فيه الدكتور أحمد خيري العمري عن هذه القضية.

وأهم من ذلك، لا أقول أهم من العبادة، لكن أهم من قراءة الكتب، أن تتصل ببعض الشيوخ الذين تثق فيهم، وتعرض عليهم ما تجد، حتى لا تبقى وحدك في المعركة، بل تستعين بمن قد يكون خاض هذه الأمور أو عاشها، أو جربها، أو عرف عنها أكثر مما تعرف.

***

١- **نصيحة حول كتاب تلبيس إبليس:** ورد فيه خرافات وروايات إسرائيلية وأقاويل وأقاصيص، ليست لها أسانيد؛ لكن الكتاب جيد جداً، وأنا أنصح بقراءته، والإنسان عنده حاسة تمييز، فالأشياء الذي يرويها مطلقة ليس لها زمام ولا خطام، الإنسان غير ملزم بما فيها والتصديق بها، لكن فيه كشف مداخل الشيطان ووساوسه فهو جيد.

ملخص

أولا : يدعوك إبليس إلى الكفر بالله تعالى

- شياطين الجنّ يقومون بدور كبير في إفساد فطرتك وتدنيسها

- لا يشترط أن يقول لك الشيطان: "اعبدني"

- طريقة الشيطان في ذلك: إثارة الشبهات والشكوك في قلب ابن آدم

- يجب أن نفرق: بين الوساوس التي قد تعرض لكل إنسان، وبين العقيدة المستقرة في القلب

- فإذا وجد إنسان شيئاً من ذلك في قلبه، فعليه:

أولاً: يجب أن يقنع نفسه بأن الحالة التي يعيشها، ليست حالة شك

ثانيا: لا يستعاذ من الخلق إلا بالخالق جل وعلا

ثالثا: لا يجب أن تقلق لكن لا أقول لك لا تأبه ولا تهتم بهذا الشعور



ثانيا: يدعوك إبليس إلى فعل البدعة

إذا فشل الشيطان في محاولته لإيقاعك في الكفر، فإنه يدخل عليك من الباب الثاني، وهو أن يحاول أن يوقعك في البدعة:

أن تعبد الله بأسلوب لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة

فتظن أنك تتقرب من الله، في حين أنك تعصيه وتحصد السيئات، **ولا حل لهذا المدخل إلا** بالعلم بسنة الحبيب المصطفى ﷺ فالسنة ضد البدعة.

واسمحوا لي -إخواني الكرام وأخواتي الكريمات- أن أطرح بين أيديكم عدة مسائل مهمة جدا في هذا الأمر:

***

المسألة الأولى: الطريق إلى الله تعالى طريق واحد

كان النبي ﷺ يذكر به في كل خطبة يخطبها أمام الصحابة، كان يقول: (وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ) الطريق الذي يسلكه الفار إلى الله عز وجل طريق وحيد، إذا لم تعرف رسم هذا الطريق ضلت بك السبل، فالطريق إلى الله عز وجل ليس كما قال المبتدعة بعدد أنفاس البشر، بل الطريق إلى الله عز وجل طريق واحد فقط: في سنن الترمذى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِى مَا أَتَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِى أُمَّتِى مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِى النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»

إخواتاه: روى الطبراني بإسناد صحيح، أن النبي ﷺ قال (ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد

نهيتكم عنه) فاعلموا أيها العباد أن الشيء المأذون لكم أن تفعلوه، قد نهاكم رسول رب العالمين عن الزيادة فيه، فإذا كان الأمر كذلك أفيوأذن لنا أن نخترع شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله؟!

***

المسألة الثانية: معنى البدعة في الشرع

وردت في السنة المطهرة أحاديث نبوية فيها إشارة إلى المعنى الشرعي للفظ البدعة، فمن ذلك:

- حديث العرباض بن سارية ﵁ في سنن أبي داود والترمذي، وفيه: قوله ﵁ «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»

- حديث جابر بن عبد الله ﵁ في سنن النسائي، وفيه: أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»

- حديث عائشة ﵂ في الصحيحين، وهو قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»

- وفي رواية مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»

هذه الأحاديث الأربعة إذا تؤملت وجدناها تدل على حد البدعة وحقيقتها في نظر الشارع، ذلك أن للبدعة الشرعية قيودًا ثلاثة تختص بها، والشيء لا يكون بدعة في الشرع إلا بتوفرها فيه، وهي:

١ - الإحداث. ٢ - أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين.

٣ - ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي.

ولعل التعريف الجامع لهذه القيود أن يقال:

البدعة هي: (ما أُحدث في الدين من غير دليل).

***

المسألة الثالثة: متابعة الرسول ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمورٍ ستة

السبب ـ الجنس ـ القدر ـ الكيفية ـ الزمان ـ المكان

لا يكفي الإخلاص فقط لقبول العمل، بل لا بد أن من المتابعة الصحيحة، وإلا رد العمل، والمتابعة تكون صحيحة إذا وافقت فعل النبي ﷺ في ستة أمور:

الأمر الأول: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (سببها) فأي إنسان يتعبد لله بعبادة مبنية على سبب لم يثبت بالشرع فهي عبادة مردودة، ليس عليها أمر الله ورسوله، **ومثال ذلك:** الاحتفال بمولد النبي ﷺ وكذلك الذين يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رجب يدّعون أن النبي ﷺ عرج به في تلك الليلة فهو غير موافق للشرع مردود.

١- لأنه لم يثبت من الناحية التاريخية أن معراج الرسول ﷺ كان ليلة السابع والعشرين، وكتب الحديث بين أيدينا ليس فيها حرف واحد يدل على أن النبي ﷺ عرج به في ليلة السابع والعشرين من رجب، ومعلوم أن هذا من باب الخبر الذي لا يثبت إلا بالأسانيد الصحيحة.

٢- وعلى تقدير ثبوته فهل من حقنا أن نحدث فيه عبادة أو نجعله عيدا؟ أبدا، ولهذا في سنن أبي داود، عن أنسٍ ﵁ قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليومَان؟ " قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الله قَدْ أبدَلَكُم بهما خَيرَاً مِنهما: يَومُ

الأضحى، ويَومُ الفِطرِ" وهذا يدل على كراهة النبي ﷺ لأي عيد يحدث في الإسلام سوى عيدين سنويين وهما عيد الفطر والأضحى.

ونوقش هذا: بأن العيد المنهي عنه في الشرع هو ما كان فيه فرح ديني في أمر عام أما عيد الميلاد فهو احتفال خاص بنعمة خاصة في أمر دنيوي ليس له علاقة بالدين.

ويرد عليه:

١- أن وصف العيد يطلق في الشرع على كل مناسبة يحتفل بها على سبيل التكرار والمعاودة، فكل زمان يتخذ وقتا مخصصا للاحتفال كلما تكرر فهو داخل في حقيقة العيد ومعناه سواء سمي بذلك أم لا، **لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء**

٢- كذلك لم يقرهم ﷺ على تخصيص هذين اليومين باللعب مع أنه لم يكن لهم فيهما غير اللعب، مما يدل على انتفاء شبهة التعبد فيهما، ومع ذلك لم يأذن لهم النبي ﷺ في الاستمرار على هذين العيدين وأبدلهم بهما الأضحى والفطر.

٣- كذلك الاحتفال بعيد الميلاد فيه تشبه ظاهر بالنصارى، لأن أول من أحدث هذا هم النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، ثم صاروا يحتفلون بعيد ميلادهم تشبها واتباعا بعيد المسيح، فهذا يدل على أن الاحتفال بعيد الميلاد من شعائرهم وخصائص دينهم التي يتميزون بها عن غيرهم، ويتبين أن هذه العادة لها دلالة عندهم على رمز ديني، ومن جهتهم دخلت علينا هذه العادة القبيحة عن طريق الإعلام ومخالطتهم، وقد حذر الشارع الحكيم من التشبه بأهل الكتاب.

فعلى تقدير ثبوت أن الرسول ﷺ عرج به ليلة السابع والعشرين من رجب – وهذا دونه خرط القتاد– لا يمكن أن نحدث فيه شيئا بدون إذن من الشارع.

الأمر الثاني: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (جنسها) مثل: أن يضحي الإنسان بفرس، فلو ضحى الإنسان بفرس، كان بذلك مخالفا للشريعة في جنسها (لأن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، وهي: الإبل والبقر والغنم) لقوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج: ٣٤] وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ ﷺ وَلا عَنْ أحد من أَصْحَابِهِ التَّضْحِيَةُ بِغَيْرِهَا.

الأمر الثالث: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (قدرها) لو أن أحدا من الناس قال: إنه يصلي الظهر ستا، فهل هذه العبادة تكون موافقة للشريعة؟ كلا؛ لأنها غير موافقة لها في القدر، ولو أن أحدا من الناس قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر خمسا وثلاثين مرة دبر الصلاة المكتوبة، فهل يصح ذلك؟ فالجواب: إننا نقول إن قصدت التعبد لله تعالى بهذا العدد فأنت مخطئ، وإن قصدت الزيادة على ما شرع الرسول ﷺ ولكنك تعتقد أن المشروع ثلاثة وثلاثون فالزيادة لا بأس بها هنا، لأنك فصلتها عن التعبد بذلك.

الأمر الرابع: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (كيفيتها) لو أن الإنسان فعل العبادة بجنسها وقدْرها وسببها، لكن خالف الشرع في كيفيتها، فلا يصح ذلك، **ومثال ذلك:** رجل أحدث حدثا أصغر، وتوضأ لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم غسل وجهه، فهل يصح وضوؤه؟ كلا لأنه خالف الشرع في الكيفية.

الأمر الخامس: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (زمانها) ومثال ذلك: أن يصوم الإنسان رمضان في شعبان، أو في شوال، أو أن يصلي الظهر قبل

الزوال أو بعد العصر، ولهذا نقول إذا ترك الإنسان الصلاة عمدا حتى خرج وقتها بدون عذر فإن صلاته لا تقبل منه حتى لو صلى ألف مرة، وهنا نأخذ قاعدة مهمة في هذا الباب وهي كل عبادة مؤقتة إذا أخرجها الإنسان عن وقتها بدون عذر فهي غير مقبولة بل مردودة.

الأمر السادس: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في (مكانها) ومثال ذلك:

لو أن إنسانا وقف في يوم عرفة بمزدلفة، لم يصح وقوفه، لعدم موافقة العبادة للشرع في مكانها، وكذلك على سبيل المثال لو أن إنسانا اعتكف في منزله، فلا يصح ذلك؛ لأن مكان الاعتكاف هو المسجد، ولهذا لا يصح للمرأة أن تعتكف في بيتها؛ لأن ذلك ليس مكانا للاعتكاف، والنبي ﷺ لما رأى بعض زوجاته ضربن أخبية لهن في المسجد أمر بنقض الأخبية وإلغاء الاعتكاف و لم يرشدهن إلى أن يعتكفن في بيوتهن وهذا يدل على أنه ليس للمرأة اعتكاف في بيتها لمخالفة الشرع في المكان.

فالتأسي برسول الله ﷺ هو أن تفعل كما فعل لأجل أنه فعل

فالتأسي إذن لا بد فيه من أمرين:

١- المتابعة في صورة العمل. **٢- المتابعة في القصد.**

فإذا طاف ﷺ حول الكعبة واستلم الحجر وصلى خلف المقام، كان التأسي والاقتداء به أن يفعل هذا الفعل وأن يقصد به العبادة؛ لأنه ﷺ فعل ذلك وقصد به العبادة، أما ما فعله ﷺ بحكم الاتفاق و لم يقصده مثل أن يترل بمكان ويصلي فيه؛ لكونه نزله لا قصدًا منه ﷺ لتخصيصه بالصلاة والترول فيه، فإن تخصيص ذلك المكان بالصلاة لا يكون تأسيًا به ﷺ ؛ لأنه لم يقصد ذلك المكان بالعبادة.

***

المسألة الرابعة: إذا ترك النبي ﷺ فلم يفعل فلا تفعل

تركه ﷺ لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يترك ﷺ الفعل لعدم وجود المقتضي له، وذلك كـ: تركه قتال مانعي الزكاة، فهذا الترك لا يكون سنة، بل إذا قام المقتضي ووجد كان فعل ما تركه ﷺ مشروعًا غير مخالف لسنته، كـ: قتال أبي بكر رضي الله عنه لمانعي الزكاة، بل إن هذا العمل يكون من سنته لأنه عمل بمقتضى سنته ﷺ

بشرط ألا يكون وجود هذا المقتضي إنما حصل بتفريط الناس كـ: تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين، فإنه قد فعل ذلك بعض الأمراء (هو: مروان بن الحكم، فعل ذلك لما كان أميرًا للمدينة في عهد معاوية رضي الله عنه (انظر: صحيح البخاري برقم (٩٥٦) واعتذر بأن الناس قد صاروا ينفضون قبل سماع الخطبة، وكانوا على عهد رسول الله ﷺ لا ينفضون حتى يسمعوا، أو أكثرهم)

أما ما أحدثه بعض الأمراء من الأذان للعيدين فإن هذا من البدع؛ لأن رسول الله ﷺ ترك ذلك مع وجود ما يعتقد فاعل ذلك أنه مقتضٍ (كأن يستدل فاعل ذلك على استحسانه بالعمومات الدالة على فضل الذكر كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: ٤١] وقوله: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا} [فصلت: ٣٣] والقياس على الأذان في الجمعة (انظر"اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/٥٩٦) فإنه ﷺ لما أمر بالأذان في الجمعة وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة كان ترك الأذان فيهما سنة، فليس لأحد أن يزيد في ذلك، بل الزيادة في ذلك كالزيادة في أعداد الصلوات أو أعداد الركعات)

الحالة الثانية: أن يترك ﷺ الفعل مع وجود المقتضي له بسبب قيام مانع، كـــ: تركه ﷺ فيما بعد قيام رمضان جماعة بسبب خشيته أن يُكتب على أمته؛ فهذا الترك لا يكون سنة، بل إذا زال المانع بموته ﷺ كان فعل ما تركه ﷺ مشروعًا غير مخالف لسنته، كما فعل عمر رضي الله عنه في جمعه للناس على إمام واحد في صلاة التراويح، بل إن هذا العمل من سنته ﷺ لأنه عمل بمقتضاها، ولم يكن هذا الاجتماع بهذه الهيئة مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ

وهكذا جَمْع القرآن، فإن المانع من جمعه كان على عهد رسول الله ﷺ أن الوحي لا يزال يترل فيغير الله ما يشاء ويُحكم ما يريد، فلو جُمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن بموته أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه.

الحالة الثالثة: أن يترك ﷺ الفعل مع وجود المقتضي له وانتفاء الموانع، فيكون تركه ﷺ والحالة كذلك سنة، كـــ: تركه ﷺ الأذان لصلاة العيدين، قال ابن القيم ("إعلام الموقعين" (٢/٣٩١،٣٩٠): "فإن تركه ﷺ سنة كما أن فعله سنة، فَإِذَا اسْتَحْبَبْنَا فِعْلَ مَا تَرَكَهُ كَانَ نَظِيرَ اسْتِحْبَابِنَا تَرْكَ مَا فَعَلَهُ، وَلَا فَرْقَ، ولا فرق، فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَعَدَمُ النَّقْلِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَقْلَ الْعَدَمِ؟ فَهَذَا سُؤَالٌ بَعِيدٌ جِدًّا عَنْ مَعْرِفَةِ هَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَلَوْ صَحَّ هَذَا السُّؤَالُ وَقُبِلَ:

- لَاسْتَحَبَّ لَنَا مُسْتَحِبٌّ الْأَذَانَ لِلتَّرَاوِيحِ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ؟
- وَاسْتَحَبَّ لَنَا مُسْتَحِبٌّ آخَرُ الْغُسْلَ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ؟
- وَاسْتَحَبَّ لَنَا مُسْتَحِبٌّ آخَرُ النِّدَاءَ بَعْدَ الْأَذَانِ لِلصَّلَاةِ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ؟

○ وَاسْتَحَبَّ لَنَا آخَرُ لُبْسَ السَّوَادِ وَالطَّرْحَةِ لِلْخَطِيبِ، وَخُرُوجَهُ بِالشَّاوِيشِ يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَفْعَ الْمُؤَذِّنِينَ أَصْوَاتَهُمْ كُلَّمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ وَاسْمُ رَسُولِهِ جَمَاعَةً وَفُرَادَى، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا لَمْ يُنْقَلْ؟

○ وَاسْتَحَبَّ لَنَا آخَرُ صَلَاةَ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَوْ لَيْلَةَ أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّ إِحْيَاءَهُمَا لَمْ يُنْقَلْ؟

وَانْفَتَحَ بَابُ الْبِدْعَةِ، وَقَالَ كُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا لَمْ يُنْقَلْ؟ وَمِنْ هَذَا تَرَى أَخْذَ الزَّكَاةِ مِنْ الْخَضْرَاوَاتِ... وَهُمْ يَزْرَعُونَهَا بِجِوَارِهِ بِالْمَدِينَةِ كُلَّ سَنَةٍ؛ فَلَا يُطَالِبُهُمْ بِزَكَاةٍ، وَلَا هُمْ يُؤَدُّونَهَا إِلَيْهِ" ("مجموع الفتاوى" (١٧٢/٢٦) "اقتضاء الصراط المستقيم"(٥٩١/٢- ٥٩٧)

***

المسألة الخامسة: إرادة المخطيء للخير لا تمنع من الإنكار عليه

قد يقول قائل: إذا كان من يصلي مثلا قيام الليل في جماعة كل لية جمعة، يفعل هذا ونيته فعل الطاعات، وهذه نية خير، فلماذا تنكر عليه؟؟!! فمثل هذا مثل الرجل الذي يسرق ويتصدق فلما أخذ واكتشف أمره فقال: أنا أسرق لأن السيئة بواحدة وأتصدق فأكسب عشر حسنات، فأنا بالنتيجة قد كسبت تسعاً، والجواب: هل يقبلها الله تعالى الصدقة التي من حرام؟ (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) وبالتالي ليس له عشرة ولا واحد، ويبقى عليه إثم السرقة، **وأقول:**

عندنا قاعدة تقول: "إرادة المخطيء للخير لا تمنع من الإنكار عليه"

- **فِي الصحيحين، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ:** جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ

أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»

- **وقد صح عن معاوية** رضي الله عنه أنه كان يستلم أركان الكعبة الأربعة، فقال له ابن عباس رضي الله عنه "إنه لا يستلم هذان الركنان"، فقال معاوية: "ليس شيءٌ من البيت مهجوراً" رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد، وزاد أحمد: فقال ابن عباس رضي الله عنه {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} فقال معاوية رضي الله عنه: "صدقت".

- **ولا أدل على ذلك من قصة عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه كما في مسند الدارمي (١/٢٨٦) عن عُمَرو بْن يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ قُلْنَا لاَ بَعْدُ فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْرًا. قَالَ فَمَا هُوَ فَقَالَ إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصىً فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِئَةً فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً قَالَ فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ قَالَ مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ قَالَ أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الَّرحْمَنِ حَصىً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قَالَ فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلاَلَةٍ قَالُوا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ قَالَ وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ.

("علم أصول البدع" للحلبي، وانظر و"البدعة وأثرها السيئ" للهلالي فقد بينوا صحة القصة، وقد استدل بها أبو شامة في "الباعث" (ص٦٣).

- **وعن سعيد ابن المسيب -رحمه الله-**: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثرَ من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه ! فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟ قال: "لا ولكن يعذبك على خلاف السنة" (رواه البيهقي في "السنن الكبرى" والخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" وعبد الرزاق في "المصنف" والدارمي بسند جيد، قال الألباني -رحمه الله- في"الإرواء"(٢/٢٣٦): "وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدعِ باسم أنها ذكر وصلاة، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك " اهـــ.

- **وقال رجل للإمام مالك: يا أبا عبدالله من أين أحرم؟**

قال: من ذي الحلَيفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ.

فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل ؛ فإني أخشى عليك الفتنة.

فقال: وأي فتنة في هذه؟! إنما هي أميال أزيدها!!

قال: وأي فتنةٍ أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلةٍ قصر عنها رسول الله ﷺ؟ قال تعالى { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور:٦٣) (رواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/١٤٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/٣٢٦) والبيهقي في "المدخل" (٢٣٦)، وابن بطه في "الابانة" (٩٨) كما في "علم اصول البدع" للشيخ علي الحلبي (ص٧٢).

***

المسألة السادسة

لا يشترط في البدعة ألا يوجد لها بعض الفوائد [١]

١- لا يشترط في البدعة عدم وجود خشوع أو حلاوة: قال بعض السلف: "إن الرجل إذا ابتدع بدعة ألقى الشيطان في قلبه حلاوة"، كالمنفعة الحاصلة للمتعبد بالأذكار المبتدعة، فإنه قد يجد راحة وصفاء لقلبه، **لكن مفسدة البدعة** من جهة أنها استدراك على الشارع أعظم بكثير من هذه المنفعة، إلى غير ذلك من المفاسد الآتي ذكرها، **على أن هذه المنفعة يمكن تحصيلها، بأتم من ذلك، وأكمل، بالطريق المشروع**، كما لا يخفى، فكل منفعة يمكن أن تترتب على البدع، يمكن تحصيلها بالطريق المشروع من غير ابتداع.

فلا يشترط في البدعة عدم وجود ثمرة: ومثال ذلك: كم عدد من أسلم على أيدي أهل البدع من جهمية وأشاعرة، ولكن في صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رَسُول اللَّهِ ﷺ "وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ"

=

بل قد توجد لبعض البدع بعض الفوائد، إذ ليست البدع من قبيل الباطل الخالص الذي لا حق فيه، ولا هي من الشر المحض الذي لا خير فيه، وهذه الفوائد التي قد توجد في بدعة من البدع لا تجعلها مشروعة، ذلك لأن الجانب الغالب في البدعة هو المفسدة، وأما جانب الفائدة والمنفعة فهو مرجوح؛ فلا يبنى عليه ولا يلتفت إليه.

قال ابن تيمية: (بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضًا فوائد، وذلك لأنه لا بد أن تشتمل عباداتهم على نوع ما، مشروع من جنسه، كما أن أقوالهم لا بد أن تشتمل على صدق ما، مأثور عن الأنبياء ثم مع ذلك لا يوجب ذلك أن نفعل عباداتهم أو نروي كلماتهم.

لأن جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير، إذ لو كان خيرها راجحًا لما أهملتها الشريعة، فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي، وأقول: إن أثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض: لاجتهاد أو غيره) (اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٠٩-٦١٠، ٧٥٩) ١

= ________________

ولا يشترط في البدعة أن يكون من يفعلها قلة، بل وارد أن يكونوا كثرة: قال تعالى {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: ٤٠] وقوله ﷺ "وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ".

١- وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بعض مفاسد البدع بعد كلامه السابق، فقال: "وأما ما فيها من المنفعة، فيعارضه ما فيها من مفاسد البدع الراجحة:

- القلوب تستعذبها، وتستغني بها عن كثير من السنن.

- أن الخاصة والعامة تنقص -بسببها- عنايتهم بالفرائض والسنن، ورغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها، ويخلص وينيب، ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة؛ وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة =

المسألة السابعة

لا يشترط في البدعة أن تُفعل على وجه المداومة والتكرار

بل إن الشيء قد يُفعل مرة واحدة دون تكرار ويكون بدعة، وذلك كالتقرب إلى الله بفعل المعاصي أو بالعادات ١

= والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك من الفوائد، وإن لم يفته هذا كله، فلا بد أن يفوته كماله.

- ما في ذلك من مصير المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وجهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشاء زرع الجاهلية.

- اشتمالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل: تأخير الفطور، وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها، إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته، وسلمت سريرته.

- مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع، وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع، بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: ما ترك أحد شيئًا من السنة إلا لكبر في نفسه، ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول ﷺ ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا" انتهى بتصرف (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ١١٨)

١- قلت: مثل:

- إنسان يتقرب إلى الله تعالى بشرب الشاي.

- إنسان ينظر إلى المحرمات، ويقول: أنا أتأمل في خلق الله تعالى، وآخر ينظر إلى عورات النساء، ويقول: "سبحان من خلق فسوى".

المسألة الثامنة

لا يشترط في البدعة أن تُفعل مع قصد القربة والتعبد

بل إن الشيء ربما كان بدعة دون هذا القصد، فلا يشترط -مثلاً- قصد القربة في البدع الحاصلة من جهة الخروج على نظام الدين؛ كالتشبه بالكافرين [١] ولا في الذرائع المفضية إلى البدعة، إلا أن غالب البدع -خاصة في باب العبادات- تجري من جهة قصد القربة.

***

المسألة التاسعة: لا يشترط في البدعة أن تخلو عن دلالة الأدلة العامة عليها [٢]

بل قد تدل الأدلة العامة المطلقة على شرعها من جهة العموم، ولا يكون ذلك دليلاً على مشروعيتها من جهة الخصوص؛ إذ أن ما شرعه الله ورسوله ﷺ بوصف العموم والإطلاق لا يقتضي أن يكون مشروعًا بوصف الخصوص والتقييد، كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: ٤١] فإنه لا يقتضي بعمومه مشروعية الأذان للعيدين على وجه الخصوص.

١- **قلت**: فأين قصد التقرب في التشبه بالكافرين؟؟!! الابتداع يقع بمشابهة الكافرين، لأن التشبه بالكافرين أصل دروس الدين وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي، كما أن المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم أصل كل خير.

٢- **قلت**: لأن العبادة لا تثبت إلا بدليل خاص وإلا لم توجد بدعة، ولأنه قد يستدل لها قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] وقوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧]

ملخص

ثانيا : يدعوك إبليس إلى فعل البدعة

أن تعبد الله بأسلوب لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة

المسألة الأولى: الطريق إلى الله تعالى طريق واحد

المسألة الثانية: معنى البدعة في الشرع

المسألة الثالثة: متابعة الرسول ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمورٍ ستة (السبب - الجنس - القدر - الكيفية - الزمان - المكان)

المسألة الرابعة: إذا ترك النبي ﷺ فلم يفعل فلا تفعل

المسألة الخامسة: إرادة المخطيء للخير لا تمنع من الإنكار عليه

المسألة السادسة: لا يشترط في البدعة ألا يوجد لها بعض الفوائد

المسألة السابعة: لا يشترط في البدعة أن تُفعل على وجه المداومة والتكرار

المسألة الثامنة: لا يشترط في البدعة أن تُفعل مع قصد القربة والتعبد

المسألة التاسعة: لا يشترط في البدعة أن تخلو عن دلالة الأدلة العامة عليها



ثالثا: يدعوك إبليس إلى فعل الكبائر

ضابط الكبيرة وأمثلتها

الموبِقات السّبع: يظنّ كثير من النّاس أنّ الكبائر سبع؛ وذلك لاشتهار الحديث الوارد عن السبع الموبِقات، فقد جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (اجتَنبوا السَّبعَ الموبِقاتِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ: وما هنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفسِ الَّتي حرَّم اللهُ إلَّا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتَّولِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصَناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ) واجتنبوا؛ أي: ابتعدوا، والموبقات؛ أي: المُهلِكات؛ دلالةً على ما تفعله بصاحبها من العذاب وغضب الله تعالى، **إلا أنّ الكبائر في الحقيقة لا تنحصر بهذا العدد**، ولكنّ تخصيص الحديث الشريف بها جاء من باب التأكيد على خطورتها وعظيم فُحشها.

تبدأ الموبِقات السّبع بالشِّرك بالله، وهو أن يجعل المرء مع الله إلهاً آخر، يعتقد أنّه يستحق العبادة مع الله سبحانه، **وفعل السِّحر** يقتضي أذيّة النّاس وإلحاق الضّرر بهم؛ ومنه التفريق بين الزوجين، **وقتل النفس** اعتداءٌ على كرامة الآدميّ وحقّه في الحياة؛ فالإنسان بناء الله تعالى، والقتل بغير حقّ يستحقّ فاعله القصاص، **وأكل الرّبا** أكلٌ لأموال النّاس بالباطل؛ لأنّ فيه زيادةً غير مبرّرة شرعاً على أصل المال، **واليتيم** أوصى به الإسلام واهتمّ به كثيراً؛ فالاعتداء على ماله اعتداء يُنافي رعاية الإسلام به، ويُناقض الحثّ على كفالته، **والتّولي يوم الزّحف** هو فِرار من وجه العدوّ، أمّا إذا كان من باب تغيير المواقع العسكريّة أو للتمويه على جيش العدو فلا يدخل ضمن الكبائر،

وقذف المرأة المسلمة يعني اتّهامها بفعل الزِّنا وما قارب هذا الفعل، ممّا يؤذي سمعتها

كبائر أخرى: يتبيّن من استقراء النّصوص الشرعيّة أنّ الكبائر لا تقف عند حدّ الكبائر السّبع، إذ يقول ابن عباس ﷺ: (هنّ إلى السّبعينَ أقربُ منها إلى السّبعِ) (ذكره الشيخ أحمد شاكر، في عمدة التفسير، عن طاووس بن كيسان اليماني، وإسناده صحيح)

فقيل:

- الكبيرة هي كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار.
- الكبيرة هي ما فيه حد في الدنيا ووعيد في الآخرة.
- الكبيرة هي ما نهى الله عنه في القرآن فهو كبيرة، وأما ما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة.
- الكبيرة هي ما كثرَّ فيه الإثم ١

وقد أفرد الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي –المتوفى ٧٤٨هـ– كتاباً سمّاه الكبائر، وقد ذكر فيه سبعين من كبائر الذّنوب، مُستشهداً بالأدلة الشرعيّة التي تؤكد ذلك، **ومنها:**

- ترك الصّلاة. - منع الزّكاة. - إفطار يوم من رمضان من غير عُذر.
- ترك الحجّ مع القدرة عليه. - عُقوق الوالدين.
- هجر الأقارب. - الزِّنا.
- اللواط. - الكذب على الله ورسوله.
- غشّ الإمام للرعيّة وظلمهم. - الكِبر، والفخر، والخيلاء، والعجب.

١- راجع: المحلى ٩/ ٣٩٣، مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٦٥٠، الداء والدواء لابن القيم ص: ١٧٢، الزواجر عن اقتراف الكبائر: ص٧.

- شهادة الزّور.
- شُرب الخمر.
- القمار.
- الغلول من الغنيمة.
- السّرقة.
- قطع الطريق.
- اليمين الغموس.
- قتلُ الإنسانِ نفسَه.
- الكذب في أغلب الأقوال.
- أخذ الرّشوة على الحكم.
- تشبُّه النساء بالرجال، وتشبُّه الرجال بالنساء.
- الدّيوث الذي لا يغار على أهله.
- عدم التتره من البول.
- الخيانة.
- التكذيب بالقدر.
- التجسّس على أحوال الناس.
- النميمة.
- اللعن، وكثرة الفُحش في الكلام.
- الغدر، وعدم الوفاء بالعهد.
- تصديق الكاهن والمُنجِّم.
- نشوز المرأة على زوجها.
- اللطم، والنّياحة على الميّت.
- أذيّة الجار.
- نقص الكيل، والذّراع، والميزان.
- سبّ أحد من الصّحابة رضي الله عنه

***

لماذا يدعوك إلى فعل الكبيرة؟

لتنكسر حدة إيمانك

فإذا فشل الشيطان في إيقاعك في البدعة، فإنه يسعى إلى إيقاعك في الكبائر حتى تنكسر حدة إيمانك، **فإذا انكسرت حدة إيمانك أصبح سهلا عليه أن يوقعك فيما شاء من الضلالات**، وعندما سقط سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي في أسر قيصر الروم وعرضوا عليه الرغائب والرهائب حتى يجندوه لهم وهو رافض وثابت على الحق، **قال كبير القساوسة للقيصر**: أدخل عليه امرأة جميلة في سجنه واجعلهما بمفردهما، فإنه إن زنى بها انكسرت حدة إيمانه

فيسهل علينا أخذ ما نريد منه، فلما فعل قيصر بوصية القسيس، ما كان من سيدنا عبد الله إلا أن أغمض عينيه وأعرض عنها حتى الصباح، فلما فتحوا عليهما الزنزانة، وجدوا المرأة تقول شعرا من عجب ما رأت، فقالت: أأدخلتموني على بشر؟ أم أدخلتموني على حجر؟ والله منذ دخلت عليه ما رفع في البصر.. وما أظنه يدري أنثى أنا أم ذكر.

وفي وقت فعلك لكبيرة يزول عنك وصف الإيمان، ففي الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» لاَ يَزْنِي الزَّانِي: أي: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

***

طريقة إبليس في ذلك، تضخيم نصوص الوعد، والقاعدة التي يسير عليها إبليس: الغاية تبرر الوسيلة

فأنت تجد هذا الشرير مستعدا لأن يستخدم آيات من القرآن أو أحاديث للرسول ﷺ مفاجأة؟؟!! ربما... لكن الغاية تبرر الوسيلة بالنسبة إليه، ومن أجل غايته تلك:

- فإن إبليس مستعد أن يلبس مسوح رجال الدين الأتقياء بكامل العدة، من الجبة الأنيقة إلى العمامة البيضاء إلى اللحية المهيبة.
- ومستعد أيضا أن يملأ فمه بأبلغ العبارات والجمل التي تحض على الاتباع والطاعة
- ولا تظن –أبدا– أنه يستعمل ذلك عن جهل، وأنه مثلا يستخدم الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة من أجل الترويج لخرافة ما تخدم أغراضه.

كيف صار إبليس أستاذا للشريعة؟!!

من أجلب أن يغلب على تلك الرقعة المربعة، من أجل أن ينتصر الأسود على الأبيض، إبليس مستعد لأي شيء

تأمل:

- إن أمة محمد ﷺ كلها ستدخل الجنة
- إن شفاعة النبي ﷺ أعدت لأصحاب الكبائر من أمة محمد ﷺ
- الله تعالى واسع الرحمة، عظيم المغفرة، هو أرحم وأعظم من أن يترك واحدا من أمة نبيه ﷺ في جهنم، بل سيخرجهم منها إلى أن لا يبقى واحد فيها
- من قال "لا إله إلا الله" دخل الجنة
- من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان يخرجه الله من النار
- الجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن

طالما جعلنا إبليس نستثمر ذلك في معاصينا وكبائرنا ومهالكنا، طالما تأملنا الجنة، ونحن نعمل عمل أهل النار

يقال ذلك كله لأصحاب الكبائر.... من أمة محمد ﷺ

فلماذا يتوقع أحد أن يكفوا عنها؟؟؟!!!

إبليس يتقن صنعته فهو محترف

***

كيف نواجه ذلك؟؟!!

أولا: لتعلم أن النصوص صريحة، والمعاني واضحة، لكن السياق مختلف على طريقة {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤] تم اجتزاء النصوص من مناسباتها لتعطي معاني سلبية مختلفة تماما عن المعاني التي أنزلت من أجلها.

بعض أهم النصوص التي يتم إغفال بعض أهم مفرداتها من أجل تسهيل الأمور وتعميم بضاعة الرجاء الكاذب والأمر الزائف: تلك البشارة التي يتخذها أهل الكبائر كأفيون للاستمرار في معاصيهم وتمني الجنة، عَنْ جَابِرِ بْنِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "نَادِ فِي النَّاسِ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ" تلك البطاقة التي يوزعها الوعاظ على المنابر منذ قرون، عادة تغفل لفظا جوهريا يغير المساق والمسار بأكمله "من قالها مخلصا دخل الجنة" إن ما يعدونه بشارة لهم هو في حقيقة الأمر امتحان خطير.

ثانيا: التعامل مع أحاديث العفو والرحمة لا بد أن يكون مما يفتح لك باب التوبة والأوبة والعودة إلى الله لا تفتح لك باب الجرأة على الله تعالى، وكيف ذلك؟؟ بأن تضع أمامها تلك العقوبات التي وردت، فعندما تنوي الكبيرة وتكاد تقدم عليها، وفي خلفية عقلك تلك الصورة التي رسمتها مخالب إبليس "لا بأس افعل ما تشاء ما دمت تقول "لا إله إلا الله"، **أقول: توقف وتذكر:**

- لقد طرد إبليس لأنه ترك السجود مرة واحدة فقط
- لقد أخرج آدم من الجنة بلقمة واحدة تناولها
- أمر الإسلام بقتل الزاني المحصن بإدخال ما لا يتجاوز بضعة سنتيمترات فيما لا يحل
- أمر الإسلام بإيساع الظهر بثمانين جلدة بكلمة قذف
- أمر الإسلام بقطع عضو من أعضائك بسرقة ربع دينار
- لقد أمر الله تعالى بإدخال امرأة النار في هرة
- الرجل يقول كلمة لا يلقي لها بالا فإذا بها تهوي به سبعين خريفا في جهنم

ربما تحرم لذة العبادة، تحرم لذة السعادة التي تشعر بها في عبادتك لأجل ذنب من هذه الذنوب.

لا تأمن أبدا ممكن جدا أن تحبس في النار ثلاثمائة سنة بواحدة من معاصيك

قال ابن القيم في بدائع الفوائد: "عجباً لك يا من تخالف الله كل يوم! الخضر رافقه موسى فخالفه ثلاث مرات، فقال له في الثلاثة: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف:٧٨] أفما تأمن أيها العبد وأنت تخالف الله كل يوم أن يقول الله لك: هذا فراق بيني وبينك".

ثالثا: حال المؤمن أنه يفعل الطاعة وهو وجل خائف، ففي سنن ابن ماجه، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون:٦٠] أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ -كأنها زعمت أن الخوف إنما يناسب الأعمال القبيحة دون الصالحة، فتحمل قوله يؤتون ما ماتوا أي يؤدون من الأعمال القبيحة ما أدوا في الجاهلية- قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»

قال ابن كثير (٣/٤٥١): "وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ، وَهُوَ مُشْفِق وَجِل خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي، وَهُوَ آمِنٌ" وفي صحيح البخاري، أن ابن مسعود ﵁ قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ"

وهنا سؤال

ما السر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم؟

السر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ١٧٣] بل إنه ليزيدهم عليها كما قال: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٣٠]

والله تعالى: لاَ يُخْلِفُ وَعْدَه كما قال في كتابه، وقال تعالى في سورة التغابن: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن:١٧] هذا الرجل سيتصدق بصدقة عن طيب نفس، فيجزيه الله أن يضاعف له الأجر، ويجعل صدقته كفارة لذنبه فيغفر له ذنوبه القديمة، يقول الله تعالى: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} ما الذي جاء بحليم هنا؟ **لأنه مهما أتى العبد من عمل يجب أن يستحقره في جنب عظمة الله**، ففي مسند أحمد، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ، هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح الترغيب ٣٥٩٦) فالأصل أن العبد بتقصيره مستحق للعقوبة لأنه أسر نفسه في أسر الشهوات والملذات والمخالفات والمنكرات، فيستحق وهو يقوم بهذه الأمور أن يُعجل له العقاب، لكن الله يحلم عليه ولا يعاجله بالعقوبة، ثم هو بعد ذلك **يأتي بصدقة ربما تكون لا تتوازى أبداً مع جرمه فيحلم عليه ويتقبلها على ما فيه من عيب ونقصان بل ويشكرها له**، فهو سبحانه تعالى يحلم ويغفر ويشكر.

وإنما السر

أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل

وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم، فليتأمل المؤمن هذا عسى أن يزداد حرصاً على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله تعالى.

رابعا: كي تستطيع أن تتعامل من نصوص الوعد والوعيد تعاملا صحيحا لا بد إعمال جانبي الخوف والرجاء (فهذا دليل يقول لك: لو عملت كذا دخلت الجنة، وهذا دليل يقول لك: لو عملت كذا دخلت النار)

فبين الخوف والرجاء موازنة دقيقة هي في حقيقتها جوهر معادلة الإيمان

قال تعالى {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة: ١٦]

وقال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠]

الخوف والرجاء قطبا الموجب والسالب، في بطارية لا يمكن للإيمان أن يكون حقيقيا وفاعلا دونهما، قال ابن القيم (القلبُ في سَيره إلى الله عزّ وجلّ بمنزلة الطائر فالمحبّة رأسه والخوف والرجاء جناحاه) فالخوف والرجاء للمؤمن بمنزلة الجناحين للطائر إذا فقد أحدهما لم يستطع التحليق.

بين الخوف والرجاء دوما يحاول إبليس أن يلعب عليها ليركبها:

- الخوف الزائد سيحبط ويؤدي إلى القنوط السلبي الذي لا يؤدي إلى أي عمل
- والرجاء الزائد سيؤدي إلى تثبيط العمل وإلغائه

المؤمن ينبغي له أن يغلب جانب الخوف: وقت الصحة والغنى وإقبال الشهوات، فإن رأى أن نفسه متشوفة لارتكاب الشهوات المحرمة غلب جانب الخوف فكفها وزجرها عن ذلك.

المؤمن ينبغي له أن يغلب جانب الرجاء: وقت المرض واليأس، أو إن رأى أنه مستغرق في الطاعة وأصابه الملل منها غلب جانب الرجاء فحثها على ذلك، أو حال الخروج من الدنيا، في صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ»

ومقياس التوازن في قلب المؤمن: أن تكون جوارحه ممتثلة لفعل الفرائض والكف عن فعل المحرمات والخلل في ترك أحدهما.

الموازنة بين الموجب والسالب في معادلتنا هذه: هي التي تؤدي غالبا إلى انتصار الأبيض على الأسود على الرقعة المربعة

***

حكم أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ

قبل أن أختم الحديث عن دعوة إبليس المسلم إلى فعل الكبيرة أود أن أذكر كلام الطحاوي وهو يذكر حكم فاعل الكبيرة حيث قال في العقيدة الطحاوية: "وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ [مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ] في النار لا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ [مؤمنين] وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ:

- إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٨ و ١١٦]
- وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ

ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى أهل معرفته

وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكَرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ، اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإسلام حتى نلقاك به"

***

ملخص

ثالثا: يدعوك إبليس إلى فعل الكبائر

- ضابط الكبيرة وأمثلتها
- لماذا يدعوك إلى فعل الكبيرة؟ لتنكسر حدة إيمانك
- طريقة إبليس في ذلك، تضخيم نصوص الوعد، والقاعدة التي يسير عليها إبليس: الغاية تبرر الوسيلة
- **كيف نواجه ذلك؟؟!!**

أولا: لتعلم أن النصوص صريحة، والمعاني واضحة، لكن السياق مختلف على طريقة {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤]

ثانيا: التعامل مع أحاديث العفو والرحمة لا بد أن يكون مما يفتح لك باب التوبة والأوبة والعودة إلى الله لا تفتح لك باب الجرأة على الله تعالى، وكيف ذلك؟؟ بأن تضع أمامها تلك العقوبات التي وردت

ثالثا: حال المؤمن أنه يفعل الطاعة وهو وجل خائف

رابعا: كي تستطيع أن تتعامل من نصوص الوعد والوعيد تعاملا صحيحا لا بد إعمال جانبي الخوف والرجاء

- حكم أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ



رابعا: يدعوك إبليس إلى فعل الصغائر

أمثلة لصغائر الذّنوب

إذا فشل الشيطان في إيقاعك في الكبيرة، فإنه يسعى إلى إيقاعك في الصغائر.

والصغائر لغة: من صغر الشيء فهو صغير وجمعه صغار، والصغيرة صفة وجمعها صغار أيضاً، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام.

وهي: كلّ ذنب دون الكبائر هو من الصغائر؛ لذا يصعُب حصرها في عدد.

ومن صور الصغيرة

وأذكر هنا بعضها:

النظرة المقصودة (ولو بسرعة): سواء كانت لفتاة أجنبية، أو لورقة زميل في الامتحان.

الإشارة الخفية: التي قد تجرح المشاعر، أو تشجع على منكر.

الكلمة: التي تحض على الإسراف.

السلوك: الذي يؤذي الآخرين، ويحد من حريتهم، أو يهين شيئاً من كرامتهم، أو يهضم حقاً بسيطاً من حقوقهم أو يستهين بممتلكاته، وسوف أضرب الأمثلة المتنوعة:

- من الصغائر دق الجرس على أبواب الآمنين بهدف إزعاجهم، والهروب خوفاً من المسؤولية.
- خِطبة المسلم على خِطبة أخيه.
- حك طلاء السيارات بآلة حادة مما يفسد شكلها ويعرضها للصدأ.
- حفر مقاعد المدرسة وتمزيق الكتب والدفاتر.

- استعارة قلم أو كتاب أو أي أداة نافعة ثم تضييعيها، أو الاحتفاظ بها مدة، أو إعارتها لشخص ثالث دون إذن صاحبها، أو التفريط بها فتنكسر أو يُسكب عليها الماء أو يؤكل فوقها الطعام أو تتعرض للعبث والفساد، وقد لا يعيدها المستعير إلى صاحبها أبداً!

- الغياب عن العمل بلا عذر قاهر ثم تلفيق شهادة مرضية لكيلا يطير راتب اليوم

- حضور الولائم دون دعوة، شرب العصير وأكل الشيبس في السوبر ماركات وعدم دفع سعره.

- هجر المسلم، وكثرة الخصومة، واستماع الغيبة.

***

وسلاح إبليس في ذلك: الاستهانة

قال أنس ﷺ كما في صحيح البخاري، يقول أنس ﷺ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُوبِقَاتِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ"إبليس يصغر المعصية في عينه ويهون الذنب، ويقول له:

- هون على نفسك، وماذا يكون ذنبك هذا بجوار ذنوب فلان وفلان؟
- هذه لن يحاسب الله عليها، هذه صغيرة وغير مهمة، ولن يحاسب الله عليها، وهل معقول أن الله يعاقب على هذه، الزمن تغير
- تقول في نفسك: المغريات كثيرة، وغيري يزنون، أنا أنظر فقط، هذا الغش ليس حراما والتجارة شطارة ومغالبة
- إنه ذنب حقير لا إثم عليه، والله غفور رحيم، العبرة بما في قلبك!!

قد تكون حياتك عموما فيها طاعات كثيرة، لكن فيها معاص تعودت أن تستصغرها، تعودت أن تحتقرها، وتحط من شأنها.

***

وكأنها ليست معصية

حتى إذا تعود قلبك على الصغائر، فإنك تتعامل معها وكأنها ليست معصية من الأساس، **ومثال ذلك:**

- الذي تعود على شرب السجائر ويتعامل معها وكأنها حلال
- والذي تعود على عدم غض البصر لا يرى غضاضة في مشاهدة المناظر السيئة في الأفلام أو على النت.. إلخ

ويتطور الأمر بعد ذلك إلى أنك لن تستغفر من هذه الذنوب التي تعودتها لأنك لم تعد -من كثرة التكرار- تعدها ذنوبا، لم تعد حراما، لقد صارت حلالا، صرت تحللها.

وهكذا يتعامل مع بعض المحرمات وكأنها مباحات، فتصبح الصغيرة في حقه كبيرة والعياذ بالله، فيسهل على الشيطان أن يستدرجه إلى الكبائر.

***

كيف نواجه ذلك؟؟!!

أولا: أن تعلم أن هناك علامات إذا اقترنت بالصغيرة صيَّرتها بمنزلة الكبيرة

إذن المسألة قد تتطور، ولا تقف عند حد فعل الصغيرة، فقد تتحول الصغيرة إلى كبيرة، **ومن أسباب ذلك:**

أولاً: المجاهرة بفعل الصغائر؛ بأن يبيت الرجل يعصي والله يستره فيحدث بالذنب فيهتك ستر الله عليه بأن يجيء في اليوم التالي ليحدث بما عصى وما عمل فالله ستره، وهو يهتك ستر الله عليه؛ ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ يَا فُلاَنُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»

ثانيا: الإصرار والمداومة عليها: وضابط الإصرار على الصغيرة كما قال العزّ بن عبد السلام: "إذا تكرّرت منه الصغيرة تكرراً يشعر بقلة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك، وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر أصغر الكبائر" (راجع: قواعد الأحكام ١/ ٢٢، ٢٣) **أمر ينبغي التفطّن له:** وهو أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء، والخوف، والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رتبها وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل (راجع: مدارج السالكين ١/ ٣٢٨) ١

١- اختلف العلماء في حكم الصغيرة إذا أصرَّ المكلف على فعلها:

القول الأول: أن الصغيرة إذا أصرَّ المرء على فعلها فإن ذلك يحيلها إلى أن تُدرَج في منزلة الكبائر، فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، **قال القرافي:** "أن الصغيرة لا تقدح في العدالة ولا توجب فسوقاً، إلا أن يُصر عليها فتكون كبيرة، فإنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار، كما قال السلف، ويعنون بالاستغفار التوبة بشروطها، لا طلب المغفرة مع بقاء العزم، فإن ذلك لا يزيل كبر الكبيرة البتة" =

ثانيا: احذر محقرات الذنوب

احذر محقرات الذنوب التي حذر رسول الله ﷺ ففي مسند أحمد وصححه الألباني، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ".

وقد روي عن ابن عباس مرفوعاً: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار» ولكنه لا يثبت (راجع: ضعيف الجامع برقم (٦٣٠٨)

القول الثاني: أن الإصرار حكمه حكم ما أصر عليه، فالإصرار على الصغيرة صغيرة، والإصرار على الكبيرة كبيرة؛ وإلى هذا ذهب الشوكاني وأبي طالب القضاعي، لأن القول بأن الإصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة ليس عليه دليل يصلح للتمسك به، وإنما هي مقالة لبعض الصوفية، وهي: "لا صغيرة مع إصرار"، وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ، وجعله حديثاً، ولا يصح ذلك، **ونوقش**: بأن الإصرار هو التصميم على الاستمرار في المعصية، أما إذا فعل المعصية ثم تاب منها توبة نصوحاً، ثم غلبته نفسه فعاد إليها، ثم تاب توبة نصوحاً وعاد إليها وهكذا، فلا يعد مصراً.

الراجح: هو القول الأول أن الصغيرة إذا أصرَّ المرء على فعلها، فإن ذلك يحيلها إلى أن تُدرَج في منزلة الكبائر، وذلك لما ذكره العلماء من أثر الإصرار في تحول الصغيرة إلى كبيرة (راجع: فيض القدير ٤٦٣/٥، بدائع الصنائع ٢٧٠/٦، روضة الطالبين ٢٢٥/١١، الاعتصام ٦٥/٢، إحياء علوم الدين ١٨/٤) الفروق ٢٢٠/١) البحر المحيط للزركشي ٣/ ٣٣٦، وراجع: إرشاد الفحول للشوكاني: ٩٩)

ثالثا: من علاج ذلك لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت

يقول هلال بن سعد: "لا تنظر إلي صغر الخطيئة، ولكن انظر إلي من عصيت"، فلا تقل: "كان ذنباً صغيراً، أو هذه معصية بسيطة، أو كانت نظرة، أو كلمة واحدة" ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، **قال ابن المعتز:**

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى

واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لاتحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى

رابعا: كلما زاد تعظيم الخالق في النفوس رأى المؤمن ما ليس ذنبا ذنبا مهلكا

فهذا ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه خطيب الأنصار كان من عادته أنه يرفع صوته أثناء الكلام كما في الصحيحين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فالجزاء من جنس العمل خاف الله في الدنيا خوفاً أقعده عن الخروج من بيته فجازاه الله بالأمن من هذا الخوف في الدنيا قبل الآخرة.

خامسا: اجتهد في أن تأتي بمُكفّرات صغائر الذّنوب

من رحمة الله –تعالى– بعباده أنْ شرع لهم كثيراً من الأعمال الصّالحة التي تُكفّر صغائر الذّنوب، أهمّها:

– **اجتناب الكبائر**، قال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: ٣١] إن تبتعدوا –أيها المؤمنون– عن كبائر الذنوب كالإشراك بالله وعقوق الوالدين وقَتْلِ النفس بغير الحق وغير ذلك، نكفِّر عنكم ما دونها من الصغائر، وندخلكم مدخلا كريمًا، وهو الجنَّة.

– **التوبة الصادقة**، قال ﷺ: (التَّائبُ من الذّنبِ كمن لا ذنبَ له) (رواه الزرقاني، في مختصر المقاصد، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)

– **إسباغ الوضوء، والمشي إلى الصلاة، وانتظارها**، ففي صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ) المكاره جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه والكره بالضم والفتح المشقة، والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) أي الرباط المرغب فيه وأصل الرباط الحبس على الشيء كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة.

– **المتابعة بين الحجّ والعمرة**، ففي سنن الترمذي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ

وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ»

– صيام وقيام شهر رمضان المبارك وقيام ليلة القدر، ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

***

ملخص

رابعا: يدعوك إبليس لفعل الصغائر

– أمثلة لصغائر الذّنوب

– سلاح إبليس في ذلك: الاستهانة

– كأنها ليست معصية، وبالتالي لا توبة

– كيف نواجه ذلك؟؟!!

أولا: أن تعلم أن هناك علامات إذا اقترنت بالصغيرة صيَّرتها بمنزلة الكبيرة

– المجاهرة بفعل الصغائر

– الإصرار والمداومة عليها

ثانيا: احذر محقرات الذنوب

ثالثا: من علاج ذلك لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت

رابعا: كلما زاد تعظيم الخالق في النفوس رأى المؤمن ما ليس ذنبا ذنبا مهلكا

خامسا: اجتهد في أن تأتي بمُكفّرات صغائر الذّنوب

- اجتناب الكبائر
- التوبة الصادقة
- إسباغ الوضوء، والمشي إلى الصلاة، وانتظارها
- المتابعة بين الحجّ والعمرة
- صيام وقيام شهر رمضان المبارك وقيام ليلة القدر



خامسا: يدعوك إبليس إلى فعل المباحات

ولماذا يدعوك إلى التوسع في المباحات؟

لأن التوسع في المباحات ينسي

قَالَ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ: "نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا": لاحظ أن ملاعبة الأزواج والأولاد، والاهتمام بالتجارات، كل ذلك من المباحات، ولكن لاحظ تعقيب حنظلة رضي الله عنه "فَنَسِينَا كَثِيرًا" سأل سائل الإمام ابن الجوزي رحمه الله قائلا: "أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي"، فأجابه «عند نفسك من الغفلة ما يكفيها»!!

***

وعلاج ذلك: أن نفهم قضية المباحات

نريد أن نفهم ونتعلم، لأن علم القلوب نحن مقصرون في فهمه وتعلمه، فاسمع هذه الجمل في قضية المباحات، وهذا فهمي للقضية:

الجملة الأولى: الحديث عن الإسراف لا عن الامتناع

قال سبحانه: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف :٣١] فالدعوة إلى ترك الإسراف بالمباحات لا يعنى الامتناع عن التمتع، بنعم الدنيا ومباهجها ولكن هى دعوة إلى الإقتصاد فى الإنفاق، وعدم تعلق القلب بتلك النعم أو انشغاله بها عن الآخرة، وليست المطالبة بترك المباحات تماما فالله سبحانه وتعالى أمر بالتمتع بطيبات الأرض {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٢]

- **كما أنه ﷺ وهو أعبد الناس كان ﷺ يحب الطيب والنساء**، كما روى ذلك النسائي في سننه، عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»

- **ونهى من أراد ترك المباحات تماما**، فقال ﷺ لأولئك النفر الثلاثة كما في حديث أنس ﵁ عند الشيخين: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» كذلك يستفاد من الحديث أنه لا ينافي التقوى بحال من الأحوال ولا ينافي خشية الله عز وجل أن يتمتع المرء بما أباح الله تبارك وتعالى له.

الجملة الثانية: التوسّع في المباحات يضيع الطاعات

يحاول إبليس أن يجعلك تتوسع في المباحات، وهذه من أخطر النقاط، **لأن الإنسان يتعامل مع المباح على أنه مباح، في حين أن الشيطان قد يجعلك تضيع الفرائض بفعل المباحات، ومثال ذلك**: ما روي على لسان يحيى عليه السلام حين سأل الشيطان، فقال له: يا لعين! ماذا أعددت لي لتضلني؟ فقال الشيطان: لا يوجد ما أضلك به إلا أن أجعلك تكثر من الأكل (والأكل مباح) فتكثر من النوم (والنوم مباح.... نحن ننام تقريبا "ثلث" عمرنا!!!) فتنام عن الصلاة المكتوبة (وترك الفرائض كبائر) فقال يحيى عليه السلام: لله علي عهد ألا أشبع من طعام أبدا، فقال الشيطان: ولله علي عهد ألا أنصح موحدا أبدا.

الجملة الثالثة: التوسّع في المباحات يشغل عن الطاعات

إن الشيطان يشغل الإنسان بالمباح عن الطاعة والعبادة، ومثال ذلك:

- في رمضان تنزل الأخت لتشتري بعض الأشياء فتمكث في الشارع طيلة النهار، فانظر كم من الطاعات كانت ممكن أن تفعلها في ذلك الوقت الفاضل.

- تجديد الأثاث، التزويق في البيت، بل تجد من يشتغل بمثل ذلك حتى وهو في الطاعة لا يستطيع أن يعيش الطاعة التي يفعلها لأنه منشغل بالتفكير في لون السيارة وإرادة تغيير السيارة، وأمثال ذلك.

في صحيح البخاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ -أَيْ: تفاءلوا بتحقيق الآمال- فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ» وَفِيهِ أَنَّ الْمُنَافَسَةَ فِي الدُّنْيَا قَدْ تَجُرُّ إِلَى هَلَاكِ الدِّين ، وَوَقَعَ عِنْد مُسْلِمٍ مَرْفُوعًا: " تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ"، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْ الْمَذْكُورَاتِ مُسَبَّبَةٌ عَنْ الَّتِي قَبْلَهَا (فتح الباري (ج ٩ / ص ٤٢٦)

الجملة الرابعة: مجاوزة الحد عذاب

وهذا المعنى دقيق جدا، فكل شيء خرج عن حده تعذب به، ويكون هو سبب قلقك واضطرابك، ومثال ذلك:

- عندما يزيد حبك لأولادك عن الحد الطبيعي يعذبك الله تعالى بهم، فتجدهم يبعدون عنك بالرغم أنك تضيع حقوق الله تعالى بزعم أن أولادك يحتاجون.

- قد ترضخ الزوجة لفعل الحرام من أجل زوجها، فيعذبها الله تعالى بزوجها فيفكر في غيرها ويزداد بعدا عنها.

- اعتادت على الخروج والتنزه يوما ويوما، حدثت ظروف لم يخرجها زوجها، تشعر بضيق وتعب وعدم تحمل وصعوبة الحياة، لأن الدنيا ليست للتنزه واللعب.

تَأَمَّلِ فِي الآيَة: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} ثُمّ يَأتِي الوَعِيدُ الشّدِيْد {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤]

اللهُ سُبْحَانَهُ يَغَارُ عَلَى قَلْبِ الْمُؤمِنِ أنْ يَجْعَلَ لَهُ شَيئَاً يَأنَسُ بِه، فَهْوَ يُكَدِّرُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَأَهَلَهَا لِيَكُونَ أُنْسُهُ بِاللهِ وَحْدَه! فَالسِّرُ هُنَا: هُوَ أنّ اللهَ صَرَفَ عَنّا قَلْبَ مَنْ نُحِبّ بَعْدَ أنْ تَجَاوَزَتْ مَحَبّتُنَا لَهُ حَدّهَا.. لنعودَ إليهِ ونَتعلّق بهِ وَحدَه سبحانه لأنَّ القُلُوبَ بِيَدِهِ سُبْحَانَه [وَحْدَه] ولَوْ تَأَمّلْنَا لَعَلِمْنَا أنّ مَا أصَابَنَا رَحْمَةً بنَا ولَيسَ نِقْمَة!

وبهَذَا نَفْهَمُ أنّهُ إنْ تَجَاوَزَت المَحَبّةُ لِأيّ أَحَدٍ حَدّهَا.. تَأتِي الفِتْنَةُ والابْتِلَاء، فإذَا كُشِفَ لَكَ عَيْبٌ فِي قَلْبِكَ فَأصْلِحْه.. رُبّمَا.. صفَعَتنَا الحَقِيقَة ها هُنا، وَقَدْ نَحْتَاجُ تِلكَ الصَّفْعَةِ.. بَعْضَ الأحْيَان.. لِنَسْتَفِيق.

كل من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات:

- في هذه الدار، فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل
- فإذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته، والتنغيص والتنكيد عليه
- فإذا سلبه اشتد عذابه عليه

فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار

الجملة الخامسة: النية الصالحة في المباح تجعله طاعة

- قال النبي ﷺ (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) رواه البخاري ومسلم، فالنية تحوِّل المباحات إلى طاعات وقربات، يثاب فاعلها إذا قصد بها التقرب إلى الله، فإن لم يقصد ذلك فلا ثواب له، فلهذا ينبغي العناية والاهتمام بذلك، وجعلها لله تعالى، خالصة من شوائب الرياء والسمعة.

- روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: (إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي).

فالمسلم التقي يسعى في استحضار نية التقرب لله عز وجل في جميع شؤون حياته، ومثال ذلك:

- فإذا نام احتسب نومه لله عز وجل كي يستعين براحة جسمه على العبادة حين يستيقظ
- وإذا أكل أو شرب قصد بذلك التقوي للقيام بحقوق الله
- وإذا تزوج أراد إعفاف نفسه بالحلال عن الحرام
- وإذا طلب الذرية قصد الذرية الصالحة التي تعمر الأرض بمنهج الله
- وإذا أنفق يرجو بنفقته على نفسه وأهله الأجر والثواب أيضاً
- وإذا تعلم وقرأ ودرس احتسب ذلك أيضاً...
- إذا تكلم فبالخير، وإذا سكت فإمساكاً عن الشر

وهكذا تكون مقاصده في أعماله كلها خالصة لوجه الكريم سبحانه، قال سبحانه وتعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢،١٦٣]

***

ملخص

خامسا : يدعوك إبليس إلى فعل المباحات

- ولماذا يدعوك إلى التوسع في المباحات؟ لأن التوسع في المباحات ينسي

- وعلاج ذلك: أن نفهم قضية المباحات، وفهمها في الجمل الآتية:

الجملة الأولى: الحديث عن الإسراف لا عن الامتناع

الجملة الثانية: التوسّع في المباحات يضيع الطاعات

الجملة الثالثة: التوسّع في المباحات يشغل عن الطاعات

الجملة الرابعة: مجاوزة الحد عذاب

الجملة الخامسة: النية الصالحة في المباح تجعله طاعة



سادسا: يدعوك إبليس إلى فعل المفضول

يحاول أن يجعلك تنشغل بالأقل أفضلية عن الأعلى أفضلية، اليوم كله يمر عليك، وأنت تشعر بأنك ملأته جيدا بالطاعة (يجعلك تغفل عن أحسن عمل فى وقته لتأخذ ثوابا أدنى، كأن تكون معتكفا مثلا وتجتهد جدا في قراءة القرآن، وتظن أنك قضيت اليوم في أفضل عبادة وفجأة أنت لم تصل قبل الظهر أربعا وبعده أربعا، و لم تصل أربعا قبل العصر)

فإذا فشل الشيطان في إيقاعك في التوسع في المباحات فإنه يسعى إلى تقليل أجرك ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فيسمح لك بفعل الطاعات، **ولكن يجعلك تهتم بالأقل أفضلية عن الأعلى أفضلية، ومثال ذلك:**

- تقوم الليل دون أن تصلي الوتر مثلا، ومن المعلوم أن الوتر سنة مؤكدة بينما القيام سنة، والسنة المؤكدة أجرها أعلى من السنة
- تقرأ القرآن ولا تلبي لأبيك ما يريده منك.
- تقوم الليل وتوتر ثم تنام عن صلاة الفجر مثلا.. وهكذا فهو يرضى بأقل القليل، المهم أن يقل أجرك..

وكان سلفنا يفهمون قضية مراتب الأعمال والتفاوت بينها جيدا، ومن أمثلة ذلك:

- روي أن الحسن البصري رحمه الله: بعث نفرا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل مسلم، وأمرهم أن يمروا بثابت البناني فيأخذوه معهم، فأتوا ثابتا فأخبروه، فقال: إني معتكف، فرجعوا إلى الحسن، فقال لهم: قولوا له يا أعمش! أما تعلم، مشيك في قضاء حوائج المسلمين خير لك من حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وخرج معهم، قال ﷺ: "وَلأَنْ أَمْشِيَ

مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا".

- في الطبقات الكبرى ص: (١٩١): عن محمد بن المنكدر: -ومحمد بن المنكدر -رحمه الله- من أئمة التابعين، وهو ابن خال عائشة ﵂ أم المؤمنين أنه كان يضع خده على الأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي (إمام وعابد وعالم يقول مثل هذا الكلام- ويقول أحمد في الزهد: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: بِتُّ أَغْمِزُ رِجْلَ أُمِّي، وَبَاتَ عُمَرُ -وإخوان محمد: واحد يقال له: أبو بكر، وواحد آخر اسمه عمر- يُصَلِّي، وَمَا يَسُرُّنِي أَنَّ لَيْلَتِي بِلَيْلَتِهِ، ومعنى هذا: أنه بات ليلته وهو يدلك رجل أمه ! وكان أخوه عمر يصلي وهو يرى أن فعله هذا خير من فعل أخيه عمر، وإذا كان الجهاد يترك من أجل رضا الوالدين (ففيهما فجاهد) فكيف بقيام الليل؟!

***

وعلاج ذلك: العلم والمجاهدة والمثابرة

- حيوة بن شريح -رحمه الله تعالى- وهو أحد جهابذة أئمة المسلمين ومن العلماء المشهورين، يجلس في حلقته يعلم الناس ويأتيه الطلاب من فجاج الدنيا ليسمعوا منه، فتقول له أمه وهو بين طلابه -والأم أم-: قم يا حيوة فاعلف الدجاج، ألق الشعير للدجاج، فيقوم -رحمه الله تعالى- من بين طلابه، ويترك التعليم" ا.هـ، لو ليس عنده علم لقدم حاجة من أتاه، على طلب أمه، ولو ليست عنده مجاهدة لقال في نفسه "ماذا سيقول الناس عني إذا قمت لأعلف الدجاج، وممكن أؤخر موضوع الدجاج إلى أن أفرغ"، ومثل هذه الوساوس التي تأتي في خلد الإنسان.

تأمل في هذه القواعد:

القاعدة الأولى: إذا تعارضت مصلحة واجبة وأخرى مسنونة: فيقدم الواجب لأنه آكد، **ومثال ذلك:**

- قد يقوم المسلم من النوم و لم يبق إلا وقت يسير ويخرج وقت صلاة الفجر، فهل يقدم سنة الفجر أم الفريضة؟ يقدم الفريضة لأنها آكد من أداء السنة.

- لو أُقِيمت الصَّلاةُ المفروضةُ فلا يَشْرَعُ في النَّافلةِ، أو ضاق الوقتُ عن أداءِ الفريضةِ والنَّافلةِ فتُؤَدَّي الفريضةُ.

القاعدة الثانية: إذا تعارض واجبان: قدم الآكد منهما، لأن الواجبات متفاوتة في قوة الواجب، **ومثال ذلك:**

- صلاة العيدين على الصحيح أنها واجبة لكن لو كان اشتغاله بصلاة العيد بالتهيؤ والذهاب إليها يفوت عليه صلاة الفجر، يقدم صلاة الفجر لأنها آكد

- الزَّوجة إذا تعارَض في حقِّها أمرُ زوجِها وأمرُ أبويها، فتَعْملُ بأمرِ الزَّوجِ؛ لأن طاعتَه آكَدُ وأوجبُ.

القاعدة الثالثة: تعارض السنن: وقد وضع الفقهاء رحمهم الله تعالى ضوابط لتعارض السنن منها:

- **إذا تعارض سنة وسنة مؤكدة** قُدمت السنة المؤكدة.

- **إذا تعارض فعلان إحداهما ينتج عنه فعل قاصر والآخر ينتج عنه فعل متعدي،** إذا لم يمكن تأديتهما جميعاً فإنه يُقدم الأعلى مصلحة وهو ما كان نفعه متعدٍ إلى الآخرين، لأن ما كان نفعه متعدٍ للآخرين هو أيضاً عائد على ذات الإنسان كطلب العلم والاشتغال بنوافل العبادات

القاعدة الرابعة: الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من الفضيلة المتعلقة بظرفها، سواء الظرف الزماني أو المكاني، ويمثلون لذلك بفروع عديدة، منها

في باب الطواف، قالوا: الرَّمَلُ في طواف القدوم مستحب متعلق بذات العبادة بذات الطواف، والقرب من البيت مستحب متعلق بمكان العبادة، فإذا لم يتمكن من الرَّمَل إلا بالابْتِعَاد عن البيت، فحينئذ يقدم الفضيلة المتعلقة بذات العبادة على الفضيلة المتعلقة بمكانها.

القاعدة الخامسة: المنفعة المتعدية مقدمة على المنفعة القاصرة، ومثال ذلك: تعليم العلم مقدم على صلاة النافلة.

القاعدة السادسة: من القواعد في الترجيح بين المصالح أنهم قالوا: إن المصلحة الخاصة مقدمة على المصلحة العامة في محل الخصوص، ويعمل بالمصلحة العامة فيما عداه، ويمثلون لذلك بقراءة القرآن، قالوا: هذا فيه مصلحة وهو أفضل الذكر، ولكن في المحالِّ الخاصة يقدم عليها الذكر الخاص، مثل أذكار الصلوات، وأذكار بعد الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، فهذه يقدم فيها الذكر الخاص في محل الخصوص، وتبقى المصلحة العامة مقدمة في غير محل الخصوص.

فائدة:

يجب أن نعلم أن هذا التقسيم من حيث الأصل، لكن قد يأتي وقت من الأوقات بحيث يعرض عوارض للمفضول بحيث يكون فاضلاً: ومثال ذلك: الطرق العبادية التي تُعالج بها القلوب كثيرة جداً، منها: قراءة القرآن، ومنها: طلب العلم، ومنها: الاشتغال بنوافل العبادات، ومنها: تغسيل الأموات، ومنها: زيارة المرضى، فقراءة القرآن هي أفضلها ولا شك لكن قد يجد علاج قلبه في مصاحبة أهل الخير في وقت من الأوقات فهنا يعمد إلى المفضول، لأنه عرض له عارض جعله فاضلاً.

***

ملخص

سادسا: يدعوك إبليس إلى فعل المفضول

- كان سلفنا يفهمون قضية مراتب الأعمال والتفاوت بينها جيدا

- **وعلاج ذلك**: العلم والمجاهدة والمثابرة

- **تأمل في هذه القواعد:**

القاعدة الأولى: إذا تعارضت مصلحة واجبة وأخرى مسنونة

القاعدة الثانية: إذا تعارض واجبان

القاعدة الثالثة: تعارض السنن

القاعدة الرابعة: الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من الفضيلة المتعلقة بظرفها، سواء الظرف الزماني أو المكاني.

القاعدة الخامسة: المنفعة المتعدية مقدمة على المنفعة القاصرة

القاعدة السادسة: من القواعد في الترجيح بين المصالح



عناصر الفصل الثاني

افهم خصمك؟!؟!

إلى ما يدعوك إبليس ؟!؟!

أولا: يدعوك إبليس إلى الكفر بالله تعالى
ثانيا: يدعوك إبليس إلى فعل البدع
ثالثا: يدعوك إبليس إلى فعل الكبائر
رابعا: يدعوك إبليس إلى فعل الصغائر
خامسا: يدعوك إبليس إلى فعل المباحات
سادسا: يدعوك إبليس إلى فعل المفضول

الفصل الثالث

من أسلحة إبليس

بعد ما علمنا إلى ما يدعوك إبليس، وذكرنا شيئا من طريقته في ذلك، ونذكر في هذا الفصل بعض الأسلحة التي يستعملها ليوقعك في الذنوب والمعاصي وربما الكفر والشرك.

أولا: من أسلحة إبليس

سلاح التسليط – سلاح التحريش بين المسلمين

يحاول أن يسلط عليك الناس

خطورة التحريش

في آخر عهد النبي ﷺ لما فتحت الجزيرة بالتوحيد، وانتشر فيها الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاءت وفود قبائل العرب تبايع على الإسلام رسول الله ﷺ عند ذلك أخبر أصحابه بقوله ﷺ **فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه**، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوْعًا (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّوْنَ؛ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُمْ)!

ماذا بقي له؟ يئس من الشرك، يئس أن يغويهم بالشرك، بقي له أن يحرش بينهم، فما هو التحريش؟

***

تعريف التحريش

التحريش: تسليط الناس (من أجل أن يخرجوا أسوء ما فيك: العصبية - الضيق) إذا فشل الشيطان في أن يجعلك تهتم بالأقل أفضلية عن الأعلى أفضلية، فإنه يسعى إلى تسليط الناس عليك:

- فتسمع هذا يقول عنك غريب الفكر - وذاك يقول عنك متشدد
- وذلك يقول عنك إرهابي - وبعضهم يقولون عنك متحجر الفكر
- وآخرون يستهزئون.

التحريش: إثارة العداوة، وإلقاء البغضاء، وتأليب النفوس بعضها على بعض ليحدث الشجار، ويكون الشقاق، **وإذا كان الشرع قد حرم التحريش بين البهائم كمثل مناقرة الديكة، ومناطحة الأكباش، فكيف بالتحريش بين المسلمين**، الذي يؤدي إلى قيام الخصومات، والشحناء، والحروب، والفتن، وأعظم فرحة للشيطان أن يفرق بين المسلمين، وأن يخالف بين كلمتهم، ولا يرتاح الشيطان إلا إذا ألقى العداوة والفتن بين المسلمين.

هذا التحريش الذي يكون أحياناً على أهل العلم من السفهاء، والجهلاء الذين يلغون في أعراض العلماء، وقد أوذي بذلك نفر من كبار أهل العلم كشيخ الإسلام رحمه الله لما أودع السجن، وأيضاً ما حصل لكثير من تلاميذه،

وترى من حولك من زوجين، وأخوين، وشريكين، وجارين، بل وقبيلتين، وجماعتين بينهما ما بينهما، لأن الشيطان قد نجح في التحريش بينهم

***

التحريش خطة المنافقين واليهود

- **التحريش خطة المنافقين بين المؤمنين،** في الصحيحين، عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ -بدأت عملية التحريش- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ.

- **وبسبب التحريش قتل عثمان** ﷺ ومصدر التحريش الأساس كان عبد الله بن سبأ اليهودي، وأشد ما يكون التحريش عندما يكون بين أقوام من المسلمين لشيء عرقي، أو قبلي، ونحو ذلك، لو كانت القضية قضية توحيد، وشرك، وسنة، وبدعة، لكانت المواجهة حتمية شرعية؛ لأن الشرع لا يرضى بالدمج بين التوحيد والشرك، والسنة والبدعة، الشرع لا يرضى بأي تأليف وأي تجمع، ولو كان فيه مسلمون ومشركون، وأهل سنة وأهل بدعة، وخلط الحق بالباطل، لكن عندما يكون الجميع من أهل التوحيد والسنة والدين يريد الشيطان أن يلقي بينهم العداوة والبغضاء، تارة بالقبائل، وتارة بالجنسيات، وتارة بالطبقات المالية، وهكذا.

- **سعي اليهود بين المسلمين للتحريش وإيقاد الفتن:** {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [المائدة: ٦٤] **ومن هذه الأمثلة:** ما فعله شاس بن قيس اليهودي حين مر على نفر من الصحابة من الأوس والخزرج فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم، فقال لشاب يهودي: اذهب فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث، هذا يوم كان قبل الإسلام يوم كان فيه حرب بين الأوس والخزرج من أيام الجاهلية، اذكر هذا واسرد بعض القصائد التي كانت من الشعراء لذلك اليوم، وذكِّر القوم المجتمعين من الأوس والخزرج بما حصل من القتلى والطعن، وما حصل في ذلك اليوم من مواجهات، ففعل الشاب اليهودي ذلك فتنازعوا، وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من المسلمين، **فقال أحدهما:** إن شئتم رددنا الحرب جذعة نعيدها حامية، حامية الوطيس، **قال الآخرون:** قد فعلنا موعدكم الحرة السلاح السلاح، خرجوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم حتى جاءهم فقال: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم) بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم، فعرفوا أنها نزغة من الشيطان، ورد الله كيد العدو في نحره فبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع النبي ﷺ وقيل: إن هذا سبب نزول قول الله تعالى: يا {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران: ١٠٠] إلى قوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣] فينبغي إذن تفويت سبيل الشيطان في قضية التحريش.

- **تحريش حصل من جارية يهودية** كانت عند أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها وهي أصلاً من اليهود، لكنها أسلمت، وصارت أماً للمؤمنين، فجاءت جاريتها إلى عمر فقالت: "إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، قالت: أما السبت فلم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، ثم قالت: يا جارية ما حملك على ما صنعت؟ -لما عرفت أنها سبب التحريش- قالت: الشيطان، قالت: اذهبي فأنت حرة".

- كان الأذكياء من الولاة يفطنون لهذا، فدخل رجل على الوليد فقال: إن لي جاراً عصى وفر من الزحف، قال: أما أنت فتخبر أن لك جار سوء إن شئت أرسلنا معك، فإن كنت صادقاً أقصيناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت تركناك كأنك ما بلغتنا شيئاً، قال: تاركني يرحمك الله.

***

التحريش في الحياة الزوجية

- **أعظم جند إبليس من يفرق بين زوجين**، ففي صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ" قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه، ويثني عليه إبليس؛ لأنه بلغ الغاية، هدم بيوت الناس، الإفساد فيما بينهم، تشتيت الأسرة، تفريق الأحبة، تشريد الأولاد.

- وفي سنن أبي داود، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ» ما هو التخبيب؟ هو

الإفساد والنميمة، إثارة الطرفين على بعضهما، زوجك فيه كذا وكذا، تقوله شيطانة من الإنس يغيظها أنها ليست بذات زوج، أو مطلقة، وهذه سعيدة مع زوجها، ويقوم شيطان إنسي آخر إلى الزوج ليقول: زوجتك فيها كذا ما فعلت لك كذا، ما عملت لك كذا، وهكذا حتى يريها إياه في نظره شيطاناً قبيحاً، والنبي ﷺ لعن من فعل ذلك وعده من أكبر الكبائر وتبرأ منه، **وهكذا كما قيل:**

- إن رجلاً ذهب ليشتري عبداً، فقال له البائع: إنه نمام، فاشتراه وقد ظن أن النميمة هذه خصلة هينة يمكن التغلب عليها، فجاء هذا العبد مرة إلى زوجة السيد، فقال: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتزوج عليك، وقد عرفت من خاصة أمره كذا وكذا، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال: خذي موسى فاحلقي بها شعرات من باطن لحيته بخريه بها، وجاء إلى الرجل بعد ذلك فقال: إن امرأتك تصادق غيرك وهي ستقتلك لكي تتمكن من الزواج بخليلها، وإذا أردت أن تتأكد فتظاهر بالنوم عندها، فذهب الرجل وتناوم فأظهر النوم، فجاءت بموسى لتحلق الشعر من أسفل لحيته فأيقن عند ذلك أنها ستذبحه فقام إليها فقتلها فأخذه أولياؤها فقتلوه بالقصاص، نميمة خبيثة تخبيب إفساد تحريش.

- وهكذا فعل بعض شياطين الإنس قالوا لصاحب لهم حسدوه على زوجته وعلاقاته المستقرة: متى غيرت سيارتك؟ قال: لم أفعل، قالوا: رأينا سيارة تقف عند بابك تختلف عن سيارتك مراراً، ولا زالوا يقولون له ذلك حتى جلبوا له الوساوس، حتى أدى ذلك إلى أنه فعلاً قتل زوجته.

والإفساد بين الزوجين له صور كثيرة: إيغار صدر.. دفع إلى الخلع.. المطالبة بالطلاق.. المحرش يسمي نفسه **فاعل خير**، ويحدث هذا كثيراً ومع الأسف

هذه الأيام التي انتشرت فيها العلاقات المحرمة، وخصوصاً عبر شبكة الإنترنت، والجوالات، والاتصالات، وإقامة العلاقات مع الطرف الآخر عندما تقع هذه المرأة في حبه كما يقولون، وتكون العلاقة بينهما وهي متزوجة فهو لا يزال يخببها على زوجها، ويعدها، ويمنيها بأنها إذا فارقت زوجها أنه سيتزوجها، وهكذا يقوم سوق الإفساد، ولا تزال المرأة تطالب بالخلع لتذهب إلى ذلك الذي ملأ حياتها رومانسية، وزوجها جاف كما تقول، وقضية الرومنسية المأخوذة من الأفلام المدبلجة كثير منها وهم، **ومن نظر في حياة الممثلين والممثلات أنفسهم لرأى شقاء كبيراً**، لكنهم يوهمون الناس أنهم أصحاب علاقات دافئة، والنتيجة تفريق بين الأزواج والزوجات.

***

التحريش بين الإخوة

- **أما ما يحدثه الشيطان من التحريش بين الإخوة** فنظرة واحدة في المحاكم تطلعك على عظيم الخطر، وأحياناً يقع التحريش من أقارب الزوج فتقوم أخته بالدور، وأحياناً من أقارب الزوجة لتقوم أيضاً بعض قراباتها بالدور.

وكم من علاقات بين إخوان في الله تقطعت بسبب تحريش الشيطان؟ بل الإخوة الأشقاء، قال يوسف: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠] حملهم على ظلمه فتسببوا في بيعه عبداً، وتعريضه للفتنة أمام امرأة العزيز، ودخوله السجن، وكذلك حزن أبيه عليه حتى أضرت بعينيه فرقة الابن ففقد البصر، ويكثر في أيامنا التحريش بين المدير والمرؤوسين، ويقع بين الموظفين بعضهم البعض وهكذا، وكل منهم يظن أنه سيؤذي الآخر ويحفر له ونحو ذلك، القضية قالها رسول الله ﷺ

وحذرنا منها (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبدَهُ الْمُصَلُّوْنَ؛ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُمْ)

***

كيفية التعامل مع التحريش والمحرش

أولا: قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} [القلم: ١٠]

هذه كلمة مهمة جداً في مواجهة هذه المشكلات {وَلَا تُطِعْ} يغفل عنها الناس، ويغفلون عن الآية: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} [القلم:١٠] حَلَّافٍ: وهو كثير الحلف بالباطل، مَهِينٍ وهو الحقير الدنيء الكذَّاب.

{هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١١] هَمَّازٍ هو المغتاب، العيّاب، مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيء من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم.

إذن الحل أولاً لا تطعه؛ قال الشاعر:

تنح عن النميمة واجتنبها ... فإن النم يحبط كل أجر
يثير أخو النميمة كل شر ... ويكشف للخلائق كل ستر
ويقتل نفسه وسواه ظلماً ... وليس النم من أفعال حر

المحرش لا يكون صادقاً:

- ولما دخل رجل على سليمان بن عبد الملك والإمام الزهري جالس في المجلس، قال سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، أنا أثق بالمخبر، فقال الزهري رحمه الله: لا يكون النمام صادقاً، الذي نقل إليك عنه نمام، والنمام لا يكون صادقاً، فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

- وعاتب معاوية الأحنف في شيء فأنكره، فقال: أخبرني الثقة أنك قلت عني كذا وكذا، فقال: إن الثقة لا يبلغ، لو كان ثقة ما بلغك عني هذا الكلام.

- وكتب بعض الخلفاء على رقعة أرسلها إليه نمام، قال: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.

وهكذا يفعل النبهاء إذا جاءهم الوشايات، الواشي ليس بثقة، الواشي ليس بصادق، ولا بد من التحقق، ولا تطع كل مشاء بنميم.

ثانيا: الرد القوي على الساعي بالفتنة

فإن الارتباط بين النفاق والتحريش واضح كما في قوله تعالى {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: ٤٧] لو خرج المنافقون معكم -أيها المؤمنون- للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء، يبغون فتنتكم بتثبيطكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم -أيها المؤمنون- عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلوها إليهم، والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك".

قوله تعالى: (وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم، وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل، قال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

قوله تعالى: (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) فيه قولان: أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، والثاني: مَن يسمع كلامهم ويطيعهم.

ولما جاء رجل إلى وهب رحمه الله يقول: فلان يقع فيك ويقول كذا وكذا وأنا سمعته في المجلس، فقال وهب: أما وجد الشيطان رسولاً غيرك؟ وهكذا يكون الرد قوياً لهؤلاء حتى لا يتمكنوا من شيء.

ثالثا: الاستعاذة بالله من الشيطان

- قال تعالى {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٦] وإما يلقينَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمور خلقه جميعها.

- وفي الصحيحين، قال سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آنفًا؟ قَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي؟

رابعا: قول الكلمة الحسنة

- قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣] الكلمة الحسنة هي التي تغير الواقع السيئ، الكلمة الحسنة هي التي تعدل الأمور، الكلمة الحسنة هي التي ترد الكيد، ليس الحسن فقط، بل يختار من **الكلمات الأحسن** ليقولوه.

وكونك تختار أجمل الكلام وأحسن الألفاظ أثناء مخاطبة الناس فهذا من رحمة وهداية الله لك، قال تعالى {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج: ٢٤] وفي سنن الترمذي، قال بلَال بْن الحَارِثِ الْمُزَنِيّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ

أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وفي سنن الترمذي، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»

خامسا: الاعتذار وقبول الاعتذار مهم في رد التحريش

مثال للاعتذار وقبول الاعتذار

يوم أن وقعت بين أبي ذر رضي الله عنه وبلال رضي الله عنه خصومة، فيغضب أبو ذر ويقول لبلال: يا ابن السوداء فيتأثر بلال، يوم أكرمه الله بالإسلام، ثم يعير بالعصبيات والعنصريات والألوان، ويذهب إلى النبي ﷺ - ويشكو أبا ذر، ويستدعي النبي ﷺ أبا ذر -كما في الحديث المتفق علي صحته- فيقول النبي ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"، فيتأثر أبو ذر ويتحسَّر ويندم، ويقول: وددت —والله- لو ضرب عنقي بالسيف، وما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ ويضع أبو ذر خده على التراب معتذرا ويقول: يا بلال؛ ضع قدمك على خدي، لا أرفعه حتى تضعه، فتذرف عينا بلال رضي الله عنه الدموع، ويقول: يغفر الله لك يا أبا ذر، يغفر الله لك يا أبا ذر، والله ما كنت لأضع قدمي على جبهة سجدت لله رب العالمين، ويتعانقان ويبكيان، وقد ذهب ما في القلوب من حنق وبغضاء، هذه هي حياهم يوم تعاملوا بالإسلام كمنهج للحياة رضي الله عنهم أجمعين.

الاعتذار

قصة آدم وحواء في الجنة: لقد قص الله علينا قصة آدم وحواء في الجنة، لنتعلم منهما فقه الاعتذار ومراغمة الشيطان؛ فلما أخطأ أبونا آدم وأخطأت

أمنا حواء، لم يتبجحا و لم يستكبرا، إنما تعلما من الله معنى التوبة، وطريق الاعتذار، نعم لقد تلقيا من الله كلمات ميسورة الألفاظ، لكنها عميقة النتائج: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ٣٧] يقول الرازي: لقد اختلفوا في تلك الكلمات ما هي؟ والأَولى هي قوله: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف:٢٣] فإذا كان القدَر قد سبق بالمغفرة لآدم، فلِمَ طلب الله منه الاعتذار؟ إنه أدبٌ وتعليم وتدريبٌ، أدب الحياء من الله والتواضع عند الخطأ، وتعليم لفقه الاعتذار، وتدريبٌ على الاعتراف بالذنب والتوبة.. لقد كان الاعتراف بالذنب صريحا واضحا، بل لقد سمَّى آدمُ نفسَه ظالما، فحين شعر بنيران الذنب بين جنبيه، انبعثت إرادته للنهوض وتدارك رحمة الله؛ **فاعترف بالذنب وندِم عليه وطلب الصفح من الله**، قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥] وهكذا مضت قافلة البشر، وهكذا تعلم الأنبياء والصالحون.

موسى عليه السلام: لَمَّا وكز الرجل وقتله، لم يتغنَّ ببطولته، و لم يُبرّر عملَه، بل اعترف بظلمه لنفسه وقال في ضراعة: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ} [القصص: ١٥-١٧] فموسى عليه السلام قدم الاعتذار عن الخطأ، قدم الاعتذار عن القتل الذي لا تقره قيمه ولا أخلاقه ولا دعوته {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء:٢٠] اعتراف واضح صريح بالخطأ والاعتذار عنه فالخطأ هو الخطأ والقتل ضلال، مهما تكن أسبابه ودوافعه..

بلقيس ملكة سبأ: هذه المرأة التي نشأت في بيئة وثنية، اعترفت بذنبها فقالت: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} [النمل: ٤٤] {ظَلَمْتُ نَفْسِي} قالتها امرأة حين استحيت من أعمالها السالفة.

إن الاعتراف بالخطأ والاعتذار حين وقوعه منك قد يزيد من احترام الناس لك وتسلم من الفتن وتأمن الجانب وتصلح ما بينك وبين الآخرين من سوء فهم أو سوء علاقة: يقول الأستاذ جاسم المطوع أنه أثناء تقديمه لدورة مهارات التعامل مع الأبناء وكيفية استيعابهم أنه رأى رجلاً في الدورة أثناء الحوار والنقاش قد تغير لونه وانحدرت دمعة من عينه على خده وخلال فترة الراحة جاءني هذا الرجل وحدثني علي انفراد قائلاً: هل تعلم لماذا تأثرت بموضوع الدورة ودمعت عيناي؟ قلت له: لا والله! فقال: إن لي ابناً عمره سبعة عشر سنة وقد هجرته منذ خمس سنوات لأنه لا يسمع كلامي، ويخرج مع صحبة سيئة، ويدخن السجائر، وأخلاقه سيئة مع أمه وفي البيت، فقاطعته ومنعت عنه المصروف وبنيت له غرفة خاصة على السطح، ولكنه لم يرتدع، ولا أعرف ماذا أعمل، ولكن كلامك عن الحوار وأنه حل سحري لعلاج المشاكل أثر بي، فماذا تنصحني؟ هل أستمر بالمقاطعة أم أعيد العلاقة؟ وإذا قلت لي ارجع إليه، فكيف السبيل؟ قلت له: عليك أن تعيد العلاقة اليوم قبل الغد، وإن ما عمله ابنك خطأ، ولكن مقاطعتك له خمس سنوات خطأ أيضاً، أخبره بأن مقاطعتك له كانت خطأ، وعليه أن يكون ابناً باراً بوالديه، ومستقيماً في سلوكه، فرد علي الرجل قائلاً: أنا أبوه أعتذر منه؟ نحن لم نتربى على أن يعتذر الأب من ابنه!

قلت: يا أخي الخطأ لا يعرف كبيراً ولا صغيراً وإنما على المخطئ أن يعتذر، فلم يعجبه كلامي، وتابعنا الدورة وانتهي اليوم الأول، وفي اليوم الثاني للدورة جاءني الرجل مبتسماً فرحاً ففرحت لفرحه، وقلت له: ما الخبر؟

قال: طرقت علي ابني الباب في العاشرة ليلاً وعندما فتح الباب قلت له: يا ابني إني أعتذر من مقاطعتك لمدة خمس سنوات، فلم يصدق ابني ما قلت وأرتمى برأسه علي صدري، وظل يبكي فبكيت معه، ثم قال: يا أبي أخبرني ماذا تريدني أن أفعل، فإني لن أعصيك أبداً

قبول الاعتذار

فإذا اعتذر أخوك لك عن شيء من التقصير فاقبل منه؛ لئلا يستمر الجفاء بينك وبينه، ولتعلم أن قبول الاعتذار مما يدل على اللين والسهولة، وهذا من صفات أهل الجنة، ففي المعجم الأوسط للطبراني، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ قَالَ: «الْهَيِّنُ، اللَّيِّنُ، السَّهْلُ، الْقَرِيبُ»

ولأن بعض الناس قد يزهد في العفو وقبول العذر لظنه أنه يورثه الذلة والمهانة فقد أتى النص القاطع يبين أن العفو يرفع صاحبه ويكون سبب عزته: ففي صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، **وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا**، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»

ثقافة التسامح والاعتذار حتى مع أهل الكتاب

ثقافة التسامح والإعتذار هي الثقافة التي كانت تسود المجتمع المسلم فعاش الناس في سعادة وطمأنينة حتى أولئك المخالفين لنا في الدين والعقيدة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم فلم تغمط حقوقهم

وإذا حدث خطأ فسرعان ما يكون الاعتذار والرجوع الى الحق لأن المسلم يعتبر ذلك من الدين الذي أمر به شرعا:

- عندما لطم ابن عمرو بن العاص القبطي في مصر جاء القبطي إلى الخليفة عمر ﵁ يشتكي فاعتذر عمر منه، واستدعى عمرو بن العاص، وقال له كلمته الشهيرة "متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، وطلب من القبطي أن يقتص من عمرو وولده لم يقل الخليفة هذا ابن أمير مصر وهو أبن صحابي جليل كلا... بل طلب منه الإعتذار عما بدر منه وأن يستعد للقصاص وكتب إليه بعد ذلك عمر وهو في مصر قالاً: "واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤] يريد (أي من المؤمن) أن يُقتدى به، وأن معك أهل ذمة وعهد، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم، وأوصى بالقبط فقال: (استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً)، ورحِمُهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال ﷺ (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا خصمه يوم القيامة) احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً، فإنه من خاصمه خَصَمه" (كتر العمال (١٤٣٠٤)

- ومن عجيب الأخبار، أن عمير بن سعد ترك ولاية حمص لإساءته إلى ذمي، فقد قال للخليفة عمر ﵁ مستعتباً عن الرجوع إلى الإمارة: (قلت لنصراني: أخزاك الله ...) ولم يجد الخليفة بُداً من قبول هذه الاستقالة (الطبراني في معجمه الكبير (٥٢/١٧) وفي تاريخ دمشق أن عميراً قال للخليفة عمر: "فما يؤمنني أن يكون محمد ﷺ خصمي يوم القيامة، ومن خاصمهُ خصمه" (عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٣/٤٦)

- ومرّ عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى مترله فرضخ له بشيء من المترل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وأمثاله فو الله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن أمثاله (كتاب الخراج، أبو يوسف (١٢٦)

تأمل في سيرة قائدنا ورائدنا محمد ﷺ

لترى اللين والتساهل والتسامح والعطف، وكل معاني الرحمة:

- في الصحيحين، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، فَقَالَ «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ -الرسول ﷺ ما وجد ولياً ولا نصيراً، يريد من كفار قريش أن يجيبوه وينصروه فلا يجد- فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي- هذه الألفاظ أيها الأخوة تصور:

- محنة الداعية التي يعيشها حينما يعرض الناس عنه
- محنة الداعية التي يعيشها حينما يرفضه كل الناس، حين يطرده جميع الناس
- عندما يوصدون الأبواب في وجهه، ولا يرضون بالحق الذي يقول به، ويعرضون عنه

○ وعندما يكون الظلم من الأقرباء يكون وقعه شديداً على النفس، تجد نفسك تقول: طب لو جاءت من الغريب ولكن ممن أعيش معهم، يقول طَرَفَة بن العبد:

وظُلمُ ذوي القُرْبى أشَدُّ مَضَاضَةً... على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهنّدِ ١

فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِى، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِى رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِى بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ» -حانت لحظة الانتقام، لا خير في هؤلاء، ولكن الدعوة إلى الله لا يوجهني فيها نفسيتي، ولكن الذي يوجهني شرع ربك- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»

- عندما أساء أهل ثقيف إلى النبي ﷺ وهم أشد الناس كرها له، رفع يديه إلى السماء، في صحيح البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» وتدبر:

○ فقد دعا ﷺ لقومه بالمغفرة

○ والتمس لهم العذر: "فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"

○ واستعطف ربه تعالى بنسبتهم إليه: "لِقَوْمِي".

١- ذوي القربى: الأهل، المضاضة: الحرقة والحزن، الوقع: الضرب، الحسام المهند: السيف المصنوع في الهند.

إننا بحاجة إلى تربية نفوسنا على ثقافة الإعتذار وطلب العفو والتسامح ممن قصرنا أو أخطأنا في حقهم بقصد أو بدون قصد حتى يستمر العطاء وتزداد الروابط وتطيب النفوس وتنجز الأعمال ويُعرف مكان الخطأ حتى يتجنب الجميع تكراره ويسلم المرء والمجتمع من تبعات العناد والكبر والإصرار على الخطأ الذي قد يدمر مجتمعات وأمم وشعوب وحضارات، وأهم من ذلك كله أن المرء ينجو بإعتذاره عما بدر منه تجاه الآخرين من تبعات السؤال بين يدي الله يوم القيامة، فلا تتأخروا أو تتثاقلوا عن الاعتذار حين يكون هو الحل وهو العلاج.

اللهم إنا نسألك أن تصلح ذات بيننا، وأن تتوب علينا، وأن تجعلنا إخوة متحابين في سبيلك يا رب العالمين.

***

ملخص

أولا: من أسلحة إبليس

سلاح التسليط – سلاح التحريش بين المسلمين

- خطورة التحريش
- تعريف التحريش
- التحريش خطة المنافقين واليهود
- التحريش في الحياة الزوجية
- التحريش بين الإخوة

- كيفية التعامل مع التحريش والمحرش:

أولا: قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} [القلم: ١٠]

ثانيا: الرد القوي على الساعي بالفتنة

ثالثا: الاستعاذة بالله من الشيطان

رابعا: قول الكلمة الحسنة

خامسا: الاعتذار وقبول الاعتذار مهم في رد التحريش

- مثال للاعتذار وقبول الاعتذار
- الاعتذار
- قبول الاعتذار
- ثقافة التسامح والاعتذار حتى مع أهل الكتاب
- تأمل في سيرة قائدنا ورائدنا محمد ﷺ لترى اللين والتساهل والتسامح والعطف، وكل معاني الرحمة



ثانيا : من أسلحة إبليس

سلاح الشهوة

وقد أحسن استغلال هذا الفخ فانظر إلى: الشوارع فقط، انظر عن يمينك وشمالك وأمامك وخلفك (بالضبط كما وعد، وبالضبط كما وصف)

الفتنة ليست نائمة، بل تمشي في الشوارع كاسية عارية، تنادي ودوما هناك حياة واستجابة لمن تنادي، في مسند أحمد، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ -اسم فعل أمر، معناه: اكْفُف- فَقَالَ «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا» قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» -انظر لحكمة النبي ﷺ واعلم أن التعصب أول خطوة من خطوات الفشل في إدارة أية حوار سواء التعصب لرأيك أو العصبية الغضب وما شابهه- قَالَ ﷺ «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» -لكن بما أن الشهوة أحيانا لا منطق لها، فإن ذلك لم يكن كل شيء بل- قَالَ: فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ، ذلك الشاب أراه اليوم قد بعث في المئات، بل الآلآف بل الملايين من الشباب الذين يسيرون في الشوارع -وتأملوا في خروج الشباب والفتيات كل خميس على الأقل في شوارع الاستاد وغيرها-

- إنهم ليسوا عصاة كلهم

- البعض منهم انتصر

- والبعض منهم سقط تماما في الفخ المنصوب بإحكام

- والبعض منهم يسقط تارة ويتوب تارة أخرى

الأغلبية منهم لا ترفض الدين ولا تكفر بالله، بل إنهم يتمنون لو استطاعوا التوفيق بين شهواتهم وبين طاعته كما جاء ذلك الشاب يطلب رخصة، ولعل بعضا منهم يوهم نفسه أنه يتمتع برخصة عبر ورقة ما، أو فتوى ما، أو صيغة ما من تلك الصيغ التي يخادعون الله بها، وما يخدعون إلا أنفسهم

بل لعلهم يقولون: إن وضعنا اختلف الآن عما كان عليه قبل، فالزواج أصعب، والمغريات أكثر.

وإذا قلت لهم ما قاله الرسول ﷺ «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» فإنهم سيهبون قائلين: إن الفتيات الآن هن اللائي يركضن وراء ذلك، وإنهم لا يجبرون واحدة منهم على ذلك، متجاهلين أن القضية ليست قضية من الطالب.

رغم ذلك أعترف أن الشهوة لا منطق لها وعندما يسيطر ذلك الشيء فإن المسألة الوحيدة التي يمكن التفاوض عليها هي كيفية تهدئته، وعندما تسيطر الشهوة على الرؤوس: فلا رؤوس هناك، وعندما لا رؤوس يكون الوضع الأمثل بالنسبة لإبليس.

***

كيف نواجه الشهوة؟!

ينبغي أن يعلم الشاب والفتاة أنه ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، إن الله تعالى هو الذي خلق الناس ويعلم دواخلهم

وغرائزهم، وهو الذي شرع لهم شرعه، **فلا يمكن أن يأمر الله تبارك وتعالى الناسَ بما لا يطيقون فعله، ولا أن ينهاهم عما لا يطيقون تركه.**

ومن أهم وسائل العلاج لهذا الداء:

أولا: قوة الإيمان

إن الإيمان بالله عز وجل هو العاصم -بعد توفيق الله سبحانه- للعبد من مواقعة الحرام، أليس النبي ﷺ يقول «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...» (متفق عليه) إذًا فحين يعمر الإيمان قلبك، ويملأ فؤادك ومشاعرك، لن تتجرأ بإذن الله على محارمه.

فالإيمان يردع صاحبه عما حرم الله تعالى

والإيمان يُوجِد في القلب الحلاوة واللذة التي لا تعدلها حلاوة الشهوة ولذتها

والإيمان يملأ القلب بمحبة الله تبارك وتعالى، فلا يبقى في القلب إلا حب الله عز وجل وحب ما يحبه تبارك وتعالى، فاحرص أخي واحرصي أختي -رعاكم الله- على تعاهد بذرة الإيمان في قلوبكم فهي حين تنمو تثمر سعادة الدنيا والآخرة.

الوقاية قبل العلاج: أي الطريقين أسهل على نفسك؟ وأي السبيلين تختار؟ أن تطلق العنان لنفسك، وتفتح الأبواب على مصارعها، ثم تظل تدافع الشهوة وتصارعها؟ أو أن تغلق الأبواب وتسد الذرائع؟ إن العاقل الحصيف، والكيس الفطن يختار غلق الباب و سد الذريعة، بل إنه المنهج الشرعي.

فهل من العقل واتباع الشرع أن تطلق النظر فيما حرم الله عز وجل، ثم تشتكي من الشهوة واستيلائها على قلبك؟!

وهل يليق بك أن تتصفح المجلات الهابطة، أو تتابع الأفلام الساقطة، ثم تسأل أين طريق العفة؟!!

وهل تريد النجاة وأنت تسمع أغاني الحب والغرام الساقطة؟!!!

أخي الشاب أختي الفتاة:

إن أردتم النجاة؛ فاختصروا الطريق من أوله، واغلقوا الباب الذي يأتيكم منه الريح، وأنتم أعلم بأنفسكم، فأي طريق (زميل، كتاب، مجلة، شريط....) يدعوكم للمعصية ويثير فيكم الغرائز الكامنة، فقولوا له: {هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف: ٧٨].

ثانيا: وصفة نبوية ناجحة "الزواج"

إن النبي ﷺ قد أعطى لكل ذي حق حقه، ونصح لكل الأمة.

أتراه يترك هذا الأمر دون توجيه أو بيان؟ حاشا لله، بأبي هو وأمي ﷺ ما ترك خيرًا إلا دل عليه، ولا شرًّا إلا حذر منه، ولذا لم يكن ﷺ ليترك هذا الأمر دون بيان، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَعَلَيْهِ بِالْصَّوْمِ فَإِنَّه لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه) فيا لها من وصفة ناجحة من طبيب القلوب والأبدان.

وبادري يا أختي بالقبول بالزوج الصالح، فالتأخير مخالفة للسنة، ومدعاة للوقوع في الحرام

إن النكاح يتيح للزوجين صرف الشهوة في الحلال، دون ضغوط أو آثام، بل يؤجران على ذلك ويثابان، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا») رواه مسلم).

الشيطان يزين لك غير الحقيقة: الشيطان يزين لك غير الحقيقة، هذه المرأة (يسلالالالالاللللم) لو أتزوجها ديه بقه أكيد سأجد عندها ما ليس عند التي

معي- أقول وللأسف: ربما مشاكل الشهوة مع المتزوجين أشد وأكثر مع غير المتزوجين، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى- **اسمع إلى هذا العلاج النبوي الذي خرج من مشكاة النبي ﷺ** في صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا - قَالَ أَهْلُ اللغة: المعس الدلك، والمنيئة: عَلَى وَزْنِ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ وَذَبِيحَةٍ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ- فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ -قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له- فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ» إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بَيَانًا لَهُمْ وَإِرْشَادًا لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ فَعَلَّمَهُمْ بِفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، **قال النووي في شرح مسلم:** "لَا بَأْسَ بِطَلَبِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ إِلَى الْوِقَاعِ فِي النَّهَارِ وَغَيْرِهِ وَإِنْ كانت مشتغلة بما يمكن تركه"، ولا أريد أن أستطرد في هذه الجزئية، ولكن هذه القضية التي بدأ يظهر فيها كثير من الخلل:

يطلبها زوجها فتكون الإجابة: "هو احنا ماورناش إلا كده ولا إيه، وهو يعني فضيلتك مشغولة بأي شيء"

يطلبها زوجها فتكون الإجابة: "أصل أنا تعبانه شويتين، والله يعلم منها غير ذلك"

وتسمع شكاوى الأزواج في مثل هذا الباب تجد العجب العجاب، كنت أقول للأخوات والزوجات في محاضرات "مفاتيح الأزواج": من العلامات التي تعرف بها المرأة هل هي تؤدي حق زوجها أم أنها مقصرة؟؟!! أن تنظر حالها

وردود فعالها تجاه هذا الأمر في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» **أيتها الزوجة الفاضلة:** أنت لا تدري ما يدور بخلد زوجك، فكوني له عونا على الطاعة لا دافعة إلى المعصية

ثالثا: الصيام

حين لا يتيسر أمام الشاب والفتاة أمر الزواج، فهناك حل آخر: إنه الصيام، فلِمَ لا تفكر أن تصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أو يومي الاثنين والخميس؟ فالصيام يربي في الإنسان قوة الإرادة والصبر والتحمل، والاستعلاء على رغبات النفس وملذاتها، فبادر أخي وبادري أختي وفقني الله وإياكم لذلك، واجتهدوا في صيام ما تستطيعون من الأيام.

رابعا: إياك والصغائر

قد تدعوك نفسك للتساهل ببعض الصغائر "النظر، المقدمات..."، وقد يتطور إلى الخلوة المحرمة، ولا شك أن الصغائر ليست كالفواحش الكبيرة، **لكن:** الصغائر التي يحتقرها المرء حين يجتمع بعضها على العبد تهلكه كما ذكرنا، ولا تنس أنك في معركة دائمة مع عدو لدود يدعوك للهلاك من كل سبيل، ويسلك لإغوائك كل مسلك، إنه القائل: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: ١٧]

فأنت -يا أخي- حين تتساهل بالمعصية، تُفَرِح هذا العدو الحاقد، وتمده بالسلاح الذي يقاتلك به.

إن وقوعك في المعصية الصغيرة وتساهلك بها؛ يزيل استقباح المعصية من قلبك فتعتاد عليها، حتى تقع فيما هو أكبر منها.

خامسا: احذر من أن تشهد عليك جوارحك

هل تستطيع يومًا من الأيام أن تقارف معصية دون أن تستخدم جوارحك؟!! {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت:٢٠،٢١] إنه مشهد رهيب وموقف عصيب، يوم تنطق هذه الجوارح التي هي أول ما يتمتع بلذة المعصية، يوم تنطق على المرء بما كان يعمل.

سادسا: تذكر مراقبة الله تعالى لك

حينما تغلق الباب على نفسك ولا يراك أحد، وتتحرك كوامن الشهوة في نفسك وتبحث لها عن متنفس، فتذكر أن الله عز وجل يراك، فلو استحضرت هذه الحقيقة، لما تجرأت على المعصية.

سابعا: عواقب الشهوات

الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة

لن أطيل النفس كثيرا في كيفية مواجهة الشرير في تلك الحركة من اللعبة إلا بتوسيع المدارك في عواقب الشهوة، لأن الانشغال باللذائذ والشهوات دليل على خفة العقل وضعف البصيرة، **قال الإمام ابن القيم رحمه الله:** (الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة..

١- وإما أن تقطع لذةً أكبر منها

٢- فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة

في صحيح البخاري، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ -عند أحمد إلى أرض فضاء،

أو أرض مستوية- فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا -فكأنه قال: يتوقد ناره تحته، فيصح نصب نارًا على التمييز- فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟..... وفي آخر الحديث (وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي) ومناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

أكيد وبالتأكيد: أن الذي يأتي في ذهنه فكرة الزنا أنه لم يعش مع مثل هذه الأحاديث!!

عواقب الشهوات لا تقتصر على العواقب الأخروية فحسب بل هناك عقوبات يصطلي بنارها أهل الشهوات في الدنيا قبل أن يصطلوا بنار الآخرة، وإلى الشباب المسلم الذكي النقي التقي العفيف الغني أريد منكم أن تتأملوا أن شهوة واحدة من شهواتك لم تسيطر عليها وأخوك شهوة واحدة، وثالث شهوة أخرى بتراكم ذلك ما الذي يحدث؟؟!! إذن القضية ليست جزئية ولكن انظر إلى تأثير ذلك على مجتمع المسلمين، **ومن ذلك:**

١- الطواعين العامة والأمراض الفتاكة التي يسلطها الله على أهل الشهوات، ومن أشهر هذه الطواعين والأمراض، كما في سنن ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أن النبي ﷺ: "لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا" مرض الإيدز الذي يفتك كل عام بملايين البشر، والذي يصيب شخصاً كل أربعة دقائق في العالم.

٢- الموت العام الذي يسلطه الله على الناس لعلهم يرجعون عن غيهم ويعودون إلى رشدهم، وقد كثر الموت العام في هذه العصور المتأخرة وتنوعت أسبابه من زلازل وفيضانات وانهيارات أرضية وتغيرات مناخية وجفاف، وغير ذلك.

٣- تفكك عرى الحياة الزوجية بسبب الخيانات الزوجية وانفلات كل من الزوجين، وانشغال كل منهما بإشباع غريزته التي تزداد يوماً بعد يوم قوة وسعاراً.

٤- تزايد جماعات الشواذ والاعتراف بحقوقهم حتى صار الزواج بين المثلين – الرجل والرجل، والمرأة والمرأة- أمراً شائعاً لا غرابة فيه!! وهذا –بلا- شك يهدد بفناءِ الجنس البشري، ويدمر العلاقات الإنسانية بين بني البشر.

٣- وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه

٤- وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذّ من قضاء الشهوة

٥- وإما أن تجلب همّاً وغمّاً وحزناً وخوفاً لا يقارب الشهوة، تُوقِعُ الْوَحْشَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الْقَلْبِ فَيَجِدُ الْمُذْنِبُ نَفْسَهُ مُسْتَوْحِشًا، قَدْ وَقَعَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، تضيع لذة المناجاة

٦- وإما أن تضيّع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، ونحن في حاجة إلى إعادة صياغة مفهوم "التحسر، والحزن" لا يتحسر .أهل الجنة إلا على ساعة مرة بهم ولم يذكروا الله فيها

٧- وإما أن تشمّت عدوّاً وتحزن ولياً

٨- وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه

٩- وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك

١٠- وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، وَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ الْخَلْقِ وَهَانَ عَلَيْهِمْ عَامَلُوهُ عَلَى حَسْبِ ذَلِكَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ: أَنْ يَرْفَعَ لَهُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ، وَيُعْلِي قَدْرَهُ، وَلِهَذَا خَصَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ:

- كَمَا قَالَ {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [سُورَةُ ص ٤٥:- ٤٦] إلى من يبحث عن القدوة: قال ابن الجوزي في زاد المسير: اذْكُر صبرهم، فإبراهيم أُلقي في النار، وإسحاق أُضجع للذبح، ويعقوب صبر على ذهاب بصره وابتُلي بفقد ولده و لم يُذْكَر إسماعيل معهم، لأنه لم يُبْتَلَ كما ابتُلوا، أُولِي الْأَيْدِي يعني القوة في الطاعة، وَالْأَبْصارِ البصائر في الدِّين والعِلْم، قال ابن جرير: وذِكْر الأيدي مَثَلٌ، وذلك لأن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قُوَّة القويِّ، فلذلك قيل للقويِّ: ذو يدٍ وعنى بالبصر: بصر القلب، وبه تُنال معرفة الأشياء "وخَصَصْنَاهُمْ بِخِصِّيصَةٍ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي يُذْكَرُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ

- وَهُوَ لِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي سَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ ﷺ حَيْثُ قَالَ: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٨٤]

- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ بَنِيهِ {وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٥٠].

- وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [سُورَةُ الشَّرْحِ: ٤].

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مِيرَاثِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ.

١١- وإما أن تنسي علماً ذكره ألذّ من نيلِ الشهوة: قَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.

١٢- وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، قَالَ اللَّهُ تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الْأَعْرَافِ: ٩٦] وَقَالَ الله تعالى {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [الْجِنِّ: ١٦- ١٧]

أَيْنَ هَذَا الْأَلَمُ مِنْ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ لَوْلَا سُكْرُ الشَّهْوَةِ؟؟؟!!!

ثامنا: تذكر نعيم الجنة

أعد الله في الجنة لمن أطاعه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويتنعم أهل الجنة بسائر ألوان النعيم وأصنافه، بل كل ما يتمناه المرء هناك يحصل له.

ومما يتنعم به أهل الجنة إتيان هذه الشهوة، لكن شتان بين ما في الدنيا والآخرة، وأنى لبشر مهما أوتى من البلاغة أن يصف هذا النعيم.

تاسعا: الدعاء سلاح المؤمن

إنه سلاح لا يخون في النوائب، يلجأ إليه العبد لا سيما في وقت الشدة والكرب {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...} [النمل: ٦٢]، أليس لكم في أنبياء الله قدوة حسنة؟ ها هو يوسف عليه السلام تواجهه الفتنة وهو في سن الشباب فيرفع كف الضراعة لمولاه: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] فماذا كانت النتيجة؟ اقرأ معي الآية التي تليها: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: ٣٤] فهل جربت

الدعاء؟! وهل رفعت يوما كف الضراعة إلى الله لكي يحميك من الرذيلة ويصرف عنك السوء والفحشاء؟ فأخلص الدعاء إلى الله بقلب خاشع متضرع ولا تستعجل النتائج.

***

ملخص

ثانيا: من أسلحة إبليس: سلاح الشهوة

- الفتنة ليست نائمة، بل تمشي في الشوارع كاسية عارية، تنادي ودوما هناك حياة واستجابة لمن تنادي

- كيف نواجه الشهوة؟!

أولا: قوة الإيمان

ثانيا: وصفة نبوية ناجحة "الزواج"

ثالثا: الصيام

رابعا: إياك والصغائر

خامسا: احذر من أن تشهد عليك جوارحك

سادسا: تذكر مراقبة الله تعالى لك

سابعا: عواقب الشهوات (الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة)

ثامنا: تذكر نعيم الجنة

تاسعا: الدعاء سلاح المؤمن



ثالثا : من أسلحة إبليس

سلاح التشاؤم

إبليس لا يحبط أبدا

إبليس أو كما يصفه الكتاب المقدس "الشرير" لا يحبط أبدا، وعندما تنتصر على إبليس في نقلة أو تهدد ملكه في حركة، فلا بد أن تعلم أن هذا ليس نهاية المطاف، وأن حركاته غريبة ومتجددة، وأن إبليس لا يكل ولا يمل، والبعض من هذه الحركات يكون عجيبا جدا أن يصدر منه، فإبليس متفاؤل دائما.

أصبحنا نسمع كثيرا عبارات كـــ: (أنا متشائم، وأنا مش مطمن، وأنا مش متفائل، وأنا خايف من المستقبل...) وبذلك وصل الشيطان إلى النفسية التي يريدها، عندما تدخل في هذا الإطار النفسي تكون قد خسرت قبل بدء اللعبة.

***

معنى التفاؤل

التفاؤل: هو حسن الظن بالله تعالى.

التفاؤل: توقع الخير.

التفاؤل: ألا تسمح للمصائب أن تأخذك إلى اليأس.

التفاؤل: أن ترى ما عند الله تعالى.

التفاؤل: أن تكون واثقاً بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك تعالى.

التفاؤل: أن تكون غنياً بالله تعالى.

التفاؤل: أن تنقل اهتماماتك إلى الدار الآخرة، فالدنيا عندئذٍ لا تعنيك.

التفاؤل: أن ترى الهدف البعيد، فإذا حالت عقبات دونه وأنت مُصر عليه فأنت متفائل.

التفاؤل: ببساطة يعني الأمل، وهو نظرة مستبشرة نحو الغد وتوقع الأفضل دائما.

***

من صور التفاؤل

- توقّع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وتوقُّعُ تفريج الكروب ودفع المصائب والنوازل عند وقوعها

- فالتفاؤل صفة العظماء، والتفاؤل صفة المؤمنين، والتفاؤل صفة الموحدين، والتفاؤل صفة الذين عرفوا أن الأمر بيد الله جل جلاله.

فاشدد يديك بحبل الله معتصماً　　فإنه الركن إن خانتك أركانُ

***

أربعة أسباب تدفعك للتفاؤل

السبب الأول: التفاؤل هدي الرسول ﷺ

(وَلَكِنَّكُمْ قوم تَسْتَعْجِلُونَ)

اهتمام النبي ﷺ ببث روح التفاؤل في الأمة

كان التفاؤل من هدي الرسول، وقد ترجمه ﷺ واقعًا في حياته، فكان رسول الله ﷺ لا توقفه عن سيره إلى غايته ومقصوده نازلةٌ مهما عظمت، ولا شدةٌ مهما كبرت، هكذا كان ﷺ في جميع مراحله، **والمتأمّل في سيرة النبي ﷺ يجد تأكيده الأكيد والحرص الشديد على التبشير في موضع الخوف وبسط الأمل في موضع اليأس والقنوط**؛ حتى لا تُصاب النفوس بالإحباط.

في الهجرة

خرج ﷺ وأبو بكر ﷺ مطاردين أحاطت بهما المخاوف من كل صوب، ومع ذلك قال لصاحبه ﷺ {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠] فصدق الله رسوله {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة:٤٠]

وعندما كان هو وصاحبه والعرب قاطبة تطاردهما ليظفر كل منهم بمائة من الإبل رصدها كفار قريش، إذ بهما وقد أدركهما أحد الذين أوشكوا أن يستلموا الجائزة، فيقول له ﷺ في هذا الوقت المدلهم وعند هذه الصعوبة وعند هذه الشدة التي تهتز عندها النفوس «كيف بك –يا سراقة– إذا لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى؟!» في شرح الأربعين النووية لعطية سالم: "وكسرى كان اسمه يرعب العرب، وكانوا يخشونه أشد ما يكون، فسراقة يلبس سواري كسرى، وكسرى يقضى عليه... ففي خلافة عمر ﷺ فتحت المدائن، وجيء بلباس كسرى، فنظروا أي الرجال أطول ليروا عليه حلة كسرى؟ فنظروا في جميع الحاضرين فلم يجدوا أطول من سراقة، فجاء سراقة ولبس الحلة والسوارين، فقال له عمر: انزعها؟ فقال: لا انزع هذا اللباس! قال: لماذا؟ قال: أعطانيها رسول الله ﷺ حينما خرج مهاجراً ولحقت به، فقال لي (كيف بك إذا أنت لبست سواري كسرى؟!) فضحك عمر ﷺ وقال: هل قال لك: امتلكت، أو قال: (لبست)؟ قال: (لبست)، قال: ها أنت لبستها، فانزعها، وهذا من فقه عمر ﷺ

في معركة بدر

يقف النبي ﷺ وأمامه الكفار جموع، فيرفع يديه متفائلاً: "اللهم نصرك الذي وعدتني به" ويلتفت إلى أصحابه قبل معركة بدر، ويقول هذا مصرع أبي

جهل، وهنا مصرع أبي لهب، وهنا مصرع أمية بن خلف، فإن أبا لهب لم يحضر بدراً، قال: وهذا مصرع فلان وفلان، ولازال ﷺ يشير إلى مصارع القوم حتى مات كل واحد في المصرع الذي أشار النبي ﷺ إليه؛ قمة التفاؤل.

يوم الأحزاب

في الفترة التي أجلب عليهم المشركون فيها بخيلهم ورجلهم، بحدهم وحديدهم، بقدهم وقديديهم، وأشرافهم وكبرائهم، واجتمعت قريش وغطفان وأسد وفزارة وأشجع وقبائل، وقالوا هذه هي، ضربة واحدة، هجمة واحدة، اتحاد القبائل العربية المشركة للهجوم على المدينة، وتحزبوا، في الفترة التي نزل فيها القرآن يصف فيها حال المسلمين المجاهدين مع النبي ﷺ {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١٠-١١]

في هذه اللحظات كان النبي ﷺ يفتح للأمة الإسلامية آفاق مستقبل واعد ينتظر هذا الدين كما في مسند أحمد، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَق، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ

إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» وقد كان ما أخبر به النبي ﷺ {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤]

وكان ﷺ إذا استسقى قَلَبَ رداءَه بعد الخطبة؛ تفاؤلاً بتحوّل حال الجدبِ إلى الخصب، وهكذا كانتْ حياة رسولِ الله ﷺ مليئة بالتفاؤل

وصدق المؤمنون بهذه البشارات؛ أما المنافقون فقال قائلهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: ١٢].

والله لقد نظرت في سيرة النبي ﷺ ولم أجد ولم أستطع أن أقف ولا على حادثة واحدة كان النبي ﷺ فيها متشائماً، بل والله ولا كلمة تشم منها رائحة التشاؤم أو الجزع أو الضعف أو حتى قلة تفاؤل؛ بل كان في حياته ﷺ كلها مهما اشتدت عليه الكربات سواءً على المستوى الشخصي في الحوادث الشخصية أو لا، **ومن أمثلة ذلك:**

- لما اتهمت عائشة رضي الله عنها بما هي منه بريئة

- لما شُج النبي ﷺ

- لما قعد ﷺ تحت شجرة وقد طرده أهل الطائف وجراحه تسيل دما وقد مشى عشرات الكيلومترات من التعب حتى جلس فلما جاءه جبريل، قال إن الله يقول هذا ملك الجبال مره بما شئت فيقول ﷺ: "لا، بل أستأني بهم" سوف أصبر على كفار مكة، أصبر على أبي جهل وأصبر على أبي لهب وعلى أمية بن خلف، بل أصبر؛ بل أستأني بهم؛ انظر إلى قمة التفاؤل، يقول: "لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً" أنا أنظر إلى جسد أبي جهل، صحيح أنه جسد كافر، أنه جسد ضال، أنه جسد محارب، لكن

فيه شيء من الجوانب المشرقة أن الله قد يخرج من صلبه –من ذريته– من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.. قمة التفاؤل..

كل ذلك وغيره مما يدل على أنه ﷺ كان يتحلى بالتفاؤل دائماً أمام أصحابه، ولا يمكن أن يأتي إليه أحد من أصحابه فيشم رائحة التشاؤم أو اليأس أو الجزع أو القنوط، والله أيها المسلمون ما أحوجنا اليوم إلى أن نتحلى بمثل هذا الخلق {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١]

***

السبب الثاني: "وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ"

التفاؤل يدفعك إلى مزيد عمل وإنتاج سواء في العمل الأخروي أو الدنيوي

التفاؤل يشجع على العمل، فلو وقعت في محنة ومشكلة، هذه المشكلة تحتاج إلى حل، كيف تخرج من هذه المشكلة، وأنت تندب حظك، وتتشاءم من المستقبل العاثر ولا مخرج لك، أما المتفائل فيبدأ في العمل مهما كانت المشكلة والظروف والأحوال، ووقتئذ وساعتئذ وحينئذ يعينك الله تعالى.

نحن مأمورون من الله بالعمل والحركة والأخذ بالأسباب، فقد أمر الله تعالى السيدة مريم وهي في شهرها الأخير من الحمل أن تأخذ بالأسباب، فقال تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم: ٢٥] وهنا أمر الله تعالى مريم عليها السلام بأن تهز النخلة ليتساقط لها الرطب، مع قدرته سبحانه على إنزال الرطب إليها من غير هز أو تحريك، ورحم الله القائل:

ألم تر أنَّ اللهَ قال لمريمَ وهُزِّي إليك الجذْع يَسَّاقطِ الرُّطَبْ

ولو شاء أن تَجنيه من غير هزِّه جَنَتْه ولكن كل شيء له سَبَبْ

أستطيع أن أقول: التفاؤل هو عكس الاكتئاب وهذه نتيجة، يعني التشاؤم سيجعلك واقفا في مكانك أو متأخرا، ويؤدي في النهاية للاكتئاب، **لأجل ذلك كان النبي ﷺ يعجبه الفأل**، قال الإمام البخاري في صحيحه: (باب الفأل، ثم روى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ (لاَ طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قَالَ وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُم) ثم روى بإسناده عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ"

ومن أمثال التفاؤل

- **أن يكون له مريض، فيتفاءل بما يسمعه**، فيسمع من يقول: يا سالم، أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول: يا واجد، فيقع في قلبه رجاء البرء أو الوجدان، وفي المعجم الصغير، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنّ النَّبِيَّ ﷺ: "كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ: يَا نَجِيحُ، يَا رَاشِدُ" فلا تدخل على مريض، تقول له: الله المستعان، مات منه ابن عمي وجدي وخالتي.

- روى البخاري ومسلم في قصة صلح الحديبية "أنه لما جاء سُهَيْلُ بْنُ عُمَرو، قال النبي ﷺ (سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ) وفي رواية في الأدب المفرد (سهل الله أمركم)

- وقيل إن امرأة عمران سمت بنتها مريم تفاؤلاً، لأن معنى هذه الكلمة في لغتهم "العابدة" وكذلك كانت.

- لما قدم النبي ﷺ المدينة غيّر اسم البلد، كان اسمها "يثرب" سماها "طيبة" رواه أحمد وإسناده حسن، لأن يثرب من التثريب، والتثريب هو الملامة والتوبيخ، وليس اسماً حسناً، لكن طيبة، طابة، اسم جميل.

- التفاؤل بالأسماء الحسنة حتى عند الدفن، فإذا كان اسمه أنسا مثلا تتفائل له بالأنس في وحدة القبر: "اللهم آنس أنسا في قبره".

قال ابن بطال: جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن كان لا يملكه ولا يشربه.

البلاء موكل بالمنطق

يقول أحدهم "دا أنا مصيبة، أنا مشكلة، أنا مستحيل أتغير، يا عم الجنة أغلقت أبوابها، والمرأة التي تقول "حماتي هاتخلي حياتي هباب" في صحيح البخاري، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ «لاَ بَأْسَ -لا شدة عليك ولا عذاب أي رفع الله عنك ذلك- طَهُورٌ -تكفير للذنوب- إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ لَهُ «لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا -أي ليس كما قلت- بَلْ هِيَ حُمَّى -أي مرض مصحوب بالحر- تَفُورُ -يظهر حرها - أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ -من أزاره إذا حمله على الزيارة وأجبره- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَنَعَمْ إِذًا -أي لك ما أحببت ورغبت به من الموت-» أنشد القاضي ابن بهلول:

لا تنطقن بما كرهت فربما... نطق اللسان بحادث فيكون

وأنشد غيره:

لا تمزحن بما كرهت فربما... ضرب المزاح عليك بالتحقيق ١

١- **قال ابن القيم:** وقد استشكل هذا من لم يفهمه، وليس بحمد الله مشكلًا، فإن مسبب الأسباب جعل هذه المناسبات مقتضيات لهذا الأثر، وجعل اجتماعها على هذا الوجه الخاص موجبًا، له وأخر اقتضاءها لأثرها إلى أن تكلم به من ضرب الحق على لسانه، فحينئذ كمل اجتماعها وتمت، فرتب عليها الأثر.

صح عن ابن مسعود ﷺ أن البلاء موكل بالمنطق، كما قاله الشيخ الألباني رحمه الله، وصح عن إبراهيم النخعي رضي الله عنه أنه قَالَ «إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِالشَّيْءِ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنِ ابْتَلَى بِمِثْلِهِ» رواه ابن أبي الدنيا و غيره، **والذي يظهر –والله تعالى أعلم– أن السبب أن يقع الرجل فيما تكلم به راجع إلى ظن بربه**، وذلك لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) فمن تكلم البلاء وظن أن ربه سيوقعه فيه، فقد يقع فيه.

فتفائل –بارك الله فيك– وأقول لك: قل لنفسك: "سهل جدا أن أغير من نفسي، الأمر كله يحتاج إلى وقفة صادقة"

لقد قرر ابن نوح ألا يتغير

وقررت امرأة فرعون أن تتغير

مع أن ابن نوح نشأ تحت رعاية أكبر داعية في التاريخ

وامرأة فرعون نشأت تحت سقف أكبر طاغية في التاريخ

فمهما كانت الظروف حولك فأنت صاحب قرار التغيير

***

السبب الثالث: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦]

العبد لا يقترح على الله بل يفوض الأمر إليه

أم سلمة رضي الله عنها

في صحيح مسلم، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦] اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ

أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ -وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته، أم سلمة أسلمت وزوجها أبو سلمة في مكة من أوائل المسلمين، وكان أبو سلمة رجلًا كريمًا عاشرها عشرة طيبة تعلقت به، وحصل ما حصل من تفريق الكفار بين أبي سلمة وأم سلمة، حتى أن المرأة أوذيت ﵂ في نفسها وفي أولادها، وهاجرت، وتحملت، وبذلت، ثم اجتمعت مع زوجها في المدينة، وبعد مدة يجري قضاء الله تعالى فيأخذ الله أبا سلمة- ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا -العبد لا يقترح على الله بل يفوض الأمر إلى الله تعالى- فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»

فأخلف الله لي رسول الله ﷺ فصارت أم سلمة أمنا جميعًا، أم المؤمنين مع رسول الله ﷺ في الجنة، ولذلك قيل:

فوض الأمر إلينا نحن أولى بك منك

كلمة الواثق المطمئن بوعد الله، الذي يعلم كفاية الله لخلقه {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر: ٣٦]

كان من دعاء رسول الله ﷺ كما في الصحيحين: اللهمَّ أسلَمتُ [نفسي إليكَ، وَوَجَّهتُ ٨/١٩٦] وَجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهري إليكَ، رَغبةً ورَهبةً إليكَ، لا مَلجأ، ولا مَنْجا منك إلا إليكَ" قال "وفوَّضتُ أمري إليكَ" العبد لا يقترح على ربه بل يفوض الأمر إليه، ويتوكل عليه:

نحن عاجزون عن الحسابات الصعبة

نحن عاجزون عن معرفة كل الاحتمالات في المستقبل

المفوِّض لا يفوِّض أمرَه إلى اللهِ إلا لإرادتِه أن يقضي له ما هو خيرٌ له في معاشِه ومعادِه، وإن كان المقضي له خلافُ ما يظنُّه خيراً فهو راضٍ به، لأنه يعلم أنه خيرٌ له، في صحيح مسلم، عَنْ صُهَيْبٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» إنَّ المؤمنَ حقًّا يعلم أنَّ ما أصابَه لم يكنْ ليخطئه، وما أخطأه لم يكنْ ليصيبه؛ فكنْ -أيها المبارك- على هذا الوصفِ مُقيمًا، فلا تستبطِئ الرزقَ، ولا تستعجل النجاةَ، ولا تقلق على حال الأمة، تفاءَلْ حتى لو نزلتْ بك مصيبةٌ أو دَهَمَكَ مرضٌ أو فَقْرٌ، أو فَقَدْتَ وَلَدًا أو زوجة، تفاءَلْ حتى لو خَسِرْتَ في تجارة، أو تكالبتْ عليك الديونُ، تفاءَلْ حتى لو أعْيَاكَ البحثُ عن وظيفة، أو أعجزتْكَ النفقةُ عن بناء منزلٍ، تفاءَلْ في كلِّ أحوالك مع العمل على دَفْعِ ما تقْدِر عليه من بلاء أو تخفيفه، وأبْشِرْ بثواب الصابرين، وتفريج الكُربات وتنفيس الهموم؛ {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥، ٦]

مات لبعض السلف سبعة في الطاعون سبعة من الأبناء دفعة واحدة في الطاعون فقال: **اللهم إنا مسلِم مسلّم**، هذا حال المؤمن.

الابتلاء ليس اختبارا لقوتك الذاتية
بل اختبار لقوة استعانتك بالله تعالى

الدنيا طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذاء والأكدار؟ لا يمكن فما هو موقف المؤمنين؟ التسليم، الصبر، احتساب الأجر، والله لا يخلف الوعد وقد وعد بالعوض فلا بدّ أن يأتي.

العلاج الرّوحي كما علمنا القرآن

القرآن يعلمنا {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩]

كيف تتعامل مع هذه الآية؟؟!!

كيف وقع تلك الآية على حياتك العملية؟؟!!

كيف تجد أثرها على أقوالك وأفعالك؟؟!!

- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يغفِرُ ذنبًا، ويكشف كربًا، ويُفرِّج همّا
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْن: يعطي محرومًا، ويُغني فقيرًا، ويعلِّم جاهلاً
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يشفي سقيمًا، ويُخْصِبُ عقيمًا، ويَجْبُر كسيرًا
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يهدي ضالاً، ويرشد حيرانًا، ويغيث لهفانًا
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يفك عانيًا، ويكسو عاريًا، ويُسلِّي صابرًا
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يزيد شاكرًا، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا
- كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: ينصر مظلومًا، ويقصم ظالًما، يُقِيلُ عثرةً، ويسترُ عورةً، ويؤمِّن روعة، ويزيل لوعة

وكل ذلك في غير استحقاقٍ من عباده ولا حقّ لهم عليه.

إذا اشتمَلَتْ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ لِمَا به الصَّدْرُ الرحيبُ

وأَوْطَأتِ المكاره واطمأنّتْ وَأَرْسَتْ في أماكنها الخطوب

ولَم تر لانكشافِ الضُّرِّ وَجْهَاً ولا أغنَى بحيلَتِهِ الأريبُ

أتاك على قنوطٍ منك غَوْثٌ يمنّ به اللطيفُ المستجيب

كذاك الحادثاتُ إذا تَنَاهَتْ فمَوْصُولٌ بها الفَرَجُ القَرِيب

***

السبب الرابع: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [آل عمران: ١٣٩]

لم يأمرنا الله بالحزن، ولا تعبدنا به، بل نهى عنه في كتابه حتى ولو كان من أجل الدين ؛ لأنه لا فائدة فيه ولا نفع من ورائه، ومن هنا نعلم خطأ وضلال من جعلوا التحزن عبادة، كما هو حال الرافضة وأشباههم، فالله تعالى لم يتعبدنا بالحزن أبداً.

لم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه أو منفيًا

فالمنهي عنه: كقوله تعالى {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [آل عمران: ١٣٩] وقولُهُ {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: ١٢٧]

والمنفي: كقوله {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٣٨]

فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ" فهو قرين الهم، والفرق بينهما:

- أن المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يُستقبل: أورثه الهم.
- وإن كان لما مضى: أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مُفتِّر للعزم.

وسر ذلك: أن الحزن موقف غير مُسَيِّر، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه قال الله تعالى {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة:١٠] ونهى النبي الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث لأن ذلك يحزنه (لا يريد الهمّ منك أكثر من أن تريدَه.. فيأتي!)

تأمل بارك الله فيك: يوجد شباب سيكونون في ظل عرش الرحمن كما في الصحيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: منهم: "وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ.." وارد جدا أن تكون

ممن "وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ" لماذا لا تكون من هذا الصنف؟ يوجد شباب سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، لماذا لا تكون في زمرة هؤلاء "سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب"؟!

التفاؤل يصنعُ المجدَ، ويعتلي به المرءُ القمَّة، أما التشاؤمُ، فهو ركونٌ وقعود وذِلَّة، ورحم الله القائل:

كُنْ بَلْسَمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمَا ... وَحَلاَوَةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلْقَمَا [1]

***

كيف تبعث في نفسك روح الأمل والتفاؤل؟

أولا: الدعاء

في الصحيحين، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»

وفي مسند أحمد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»

إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنتُ- ياذا المنِّ والجود-مجرما

ولّما قسا قلبي، وضاقت مذاهبي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلّمَا

١- الأَرْقَمُ: ذكر الحيَّاتِ أو أخبَثُها.

تعاظمني ذنبي فلَّما قرنتهُ بعفوكَ ربي كانَ عفوكَ أعظما
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي ويسترُ أوزاري وما قد تقدما

ثانيا: اعلم أنه لابد من الابتلاء

قال تعالى: قال: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ١ - ٣]

فالإنسان المؤمن لا بد أن تكون لدية قناعة بدَهيَّة أن الحياة كلها ما هي إلا ابتلاء؛ كما قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ٢] فما دمت مؤمنا فلابد من أن يبتليك الله سبحانه لترضى وتصبر فيكتب لك أجر عظيم، وبعد المحنة تأتي المنحة فكن راضيا ولا تياس أبدا......

ثالثا: لست أنت فقط من مرَّ بمحن ومشاكل، فالمتأمِّل في التاريخ يجد أن الأمة مرَّت عليها أزماتٌ

واضطرابات أعظمُ من ذلك بكثير، فالذي يُحبطه الاضطرابات السياسية مثلاً، نقول له: ألم تقرأ عن القرامطة وما فعَلوه من الاضطرابات؟ حتى وصَل بهم الحال أن اعتدَوا على الحُجَّاج في الحرم، وقتلوهم، وهدموا أجزاء من الكعبة، واقتَلَعوا الحجر الأسود، فمكَث عندهم لمدة ٢٢ سنة، ولم تَستطِع الدولة بجيوشها الجرارة أن تَستعيده، ولم يقدِروا عليهم، حتى ساوَموهم عليه بالمال، فدَفعوا فيه خمسين ألف دينار.

وأما عن الغلاء وصعوبة العيش، فلقد مرَّت على أمتنا فترات بلَغ فيها الغلاء حدًّا لا يُصدَّق، ومنها ما حدَث هنا في مصر؛ كما يذكُر لنا الحافظ ابن كثير

-رحمه الله- في حوادث سَنة ستين وأربعمائة، حيث قال: وفيها كان غلاءٌ شديد بمصر، فأكَلَوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يُباع الكلب بخمسة دنانير، وأُفنيتِ الدواب، فلم يبقَ لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يومًا عن بغلته، فغفَل الغلام عنها لضعْفه من الجوع، فأخذَها ثلاثة نفر فذبَحوها وأكلوها، فأُخِذوا فصُلِبوا، فما أصبحوا إلا وعِظامهم بادية، قد أخذ الناس لحومَهم فأكلوها، وكان لا يَجسُر أحد أن يَدفِن ميِّته نهارًا؛ وإنما يدفِنه ليلاً خُفية؛ لئلا يُنبَش فيؤكل!

وأكل الصحابة أوراق الشجر في فترة مقاطعة أهل مكة لهم... ثم جاء الفرج، فلماذا التشاؤم؟؟!!

رابعا: وعد الله بالنصر والاستخلاف في الأرض

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥] إن المؤمنين يحدوهم الأمل في أن الله ناصرٌ دينَه ومعزٌ أولياءه، وأنّ من تمسك بهذا الدين لابد له من النصر والتمكين.

وقال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]

إخوتي: إن ما تمر به أمة الإسلام من أحداث في شتى بقاع الأرض مع ما يترتب عليها من قتل للأنفس، وإزهاق للأرواح، وإخلال بالأمن شيء عظيم وكبير لكننا مع ذلك نرى من خلال هذه العظائم شعاعاً يبث في النفوس

روحاً من الأمل الصادق بنصر الله للدين الحق، وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون، إنه أملٌ يشحذ همم المؤمنين للعمل على نصرة دينهم، ويدعو الصادقين إلى التمسك به مهما اشتدت الفتن وادلهمت الخطوب، ويدفعهم للذّبّ عن حياضه مهما عمل الأعداء على حربه واستماتوا في إطفاء نوره.

خامسا: أن الله هو الرزاق

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨] فإن ضاق الرزق فلا تيأس واعتمد على الله واعلم بأنه هو الرزاق.

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى: ٢٨] قال ابن كثير: "وقوله: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا} أي: من بعد إياس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، كقوله: {وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} [الروم:٤٩] {وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} أي: هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله"

وقال تعالى: {لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} [فصلت:٤٩] قال الطبري: "{فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه"

سادسا: الإيمان بأن الله قادر على كي شيء

إننا بحاجة ماسة إلى تغذية الإيمان بالله تعالى على أساس واضح من الثقة الكاملة في قوة الله التي لا تُقهر؛ فالله وحده هو الخالق: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: ١٧] والله وحده هو المالك لهذا الكون: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: ٢٦]

سابعا: عبادة الله تعالى

للعبادة أثر كبير في تهذيب النفوس وتطهير الضمائر والقلوب ومساعدة الإنسان على التخلص من الإمراض والعقد النفسية من خلال ممارسة العبادات و التوجه إلى الله بمختلف الطاعات كالدعاء والاستغفار والتسبيح والعبادة توثق الصلة بين الإنسان وربه فيحسن الظن به ويتوكل عليه ويفوض الأمر إليه قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]

قال أبو القاسم الشابي:

ولا بد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

***

ملخص

ثالثا: من أسلحة إبليس: سلاح التشاؤم

- إبليس لا يحبط أبدا
- معنى التفاؤل
- من صور التفاؤل

أربعة أسباب تدفعك للتفاؤل

السبب الأول: التفاؤل هدي الرسول ﷺ (وَلَكِنَّكُمْ قوم تَسْتَعْجِلُونَ)

اهتمام النبي ﷺ ببث روح التفاؤل في الأمة (في الهجرة- في معركة بدر- يوم الأحزاب)

السبب الثاني: "وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ"

التفاؤل يدفعك إلى مزيد عمل وإنتاج سواء في العمل الأخروي أو الدنيوي

البلاء موكل بالمنطق

السبب الثالث: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦] العبد لا يقترح على الله بل يفوض الأمر إليه (أم سلمة ﵂)

فوض الأمر إلينا نحن أولى بك منك

الابتلاء ليس اختبارا لقوتك الذاتية، بل اختبار لقوة استعانتك بالله تعالى

العلاج الرّوحي كما علمنا القرآن

القرآن يعلمنا {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩]

السبب الرابع: { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [آل عمران: ١٣٩]

لم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه أو منفيًا

- كيف تبعث في نفسك روح الأمل والتفاؤل؟

أولا: الدعاء **ثانيا**: اعلم أنه لابد من الإبتلاء

ثالثا: لست أنت فقط من مرَّ بمحن ومشاكل، فالمتأمِّل في التاريخ يجد أن الأمة مرَّت عليها أزماتٌ

رابعا: وعد الله بالنصر والاستخلاف في الأرض **خامسا**: أن الله هو الرزاق

سادسا: الإيمان بأن الله قادر على كي شيء **سابعا**: عبادة الله تعالى



رابعا: من أسلحة إبليس

سلاح التضخيم

من نقلات إبليس الناجحة على تلك الرقعة المربعة أنه يحاول أن يخوفك أكثر مما يجب، ومن معاصيك تحديدا لدرجة أنه يجعلك يائسا تماما من رحمة الله تعالى.

فمن تلبيس إبليس

أن يضخم الذنوب أمام الراغب في التوبة ليصرفه عنها

وأريد من الآباء والأمهات الفضلاء أن ينتبهن لتلك القضية لأن ذلك يحدث في الغالب للشباب فيقع على الأسرة دور كبير في بيان تلك الأمور.

يأتي أحد الشباب وإحدى الفتيات يردن العودة إلى الله تعالى، فعندما يرى إبليس في عينيه رغبة في العودة إلى الله، وميلا إلى الندم على ما فات، ومعاتبة لنفسه على ما أسرف في حياته، ولوما لها على ما قصر في حق ربه وخالقه، اليوم.. يلبس زي المثبطين والمقنطين، ويقول له:

- تتوب!! بعد ماذا؟!! وهل تقبل توبتك بعدما فعلت كذا وكذا؟!
- هل نسيت يوم عصيت الله بكذا؟! هل؟ هل؟ حتى يصرفه عن توبته إن استطاع.
- بل ويذكرهم بالمعاصي التي ربما يكون الإنسان قد نساها
- وظهرت الأمثلة الشيطانية كـــ: هو انت فاكر ان انت تدخل الجنة، الجنة قفلت أبوابها، انس

والبعض يهرب من المواجهة:

⇦ بمزيد من النوم

⇦ من الانغماس في الحياة والمعاصي، ربما لينسى

⇦ وربما لأن إبليس أقنعه بأنه هالك لا محالة، أنت ساقط في الامتحان والاختبار لا محالة فلا تحاول، فاستمتع بحياتك الدنيا على الأقل.

يضخم ويضخم ويضخم لتصل لدرجة اليأس سيتركك هناك، وعندها تخطىء وتخطىء وتخطىء، وتيأس كما يأس الكفار من أصحاب القبور، ويضيق صدرك من أي تذكرة، من أي كلمة نصح أو موعظة.

مع أن الشيطان نفسه لا يسير بهذا مع عتوه وتمرده:

- كما قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: لا يمنعنَّ أحدًا الدُّعاءُ ما يعلمُ في نفسه (يعني من التقصير) فإنّ الله قد أجابَ دعاءَ شرِّ خلقهِ، وهو إبليس حين قال {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الحجر:٣٦] (فتح الباري ١١/١٤٣)

- عن ابن جريج قال: لما نزلت {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف:١٥٦] قال إبليس: أنا من كل شيء، قال الله {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} الآية، فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة! فأنزل الله {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ} فنزعها الله عن إبليس، وعن اليهود، وجعلها للمتقين من أمة محمدٍ ﷺ

***

في الفقه الشيطاني

أن صرف الناس عن التوبة وتقنيطهم من رحمة الله عز وجل أولى من جرهم إلى ارتكاب المعاصي:

- لأن مرتكب المعصية (العاصي) قد يتوب بين عشية وضحاها
- أما القانط من رحمة ربه (الآيس) فإنه عن الرجوع إلى الله أبعد

ولعل هذا مما يجعل العالم الذي يعبد الله على علم وفقه أشد على الشيطان من ألف عابد.

اسم الله العفو لا يأتي في القرآن إلا مع الذنوب الكبيرة

الذي يعيش معاني وأسماء الله تعالى يبرز له أمام تلك الأسلحة الإبليسية اسم الله العفو، وكلما تأملت في كتاب ربك جل وعلا وجدت أن اسم الله العفو لا يأتي إلا مع الذنوب الكبيرة الرهيبة، تأمل:

- بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، قال تعالى {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } [البقرة: ٥١] هذه لا تكفيها توبة عادية، ولذلك قال بعدها: {ثُمَّ **عَفَوْنَا** عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ٥٢]

- الذين تولوا عن رسول الله في معركة أحد، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا **وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [آل عمران: ١٥٥]

- قال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ **وَيَعْفُو** عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى:٣٠] انظروا لقوله: يعفو عن كثير! فلو حاسب الله الناس بما كسبت أيديهم لما بقوا في الدنيا يوماً واحداً، ولكنه سبحانه يعفو عن كثير، لأن الكثير بحاجة إلى عفو، فيقود إلى توبة.

وانظروا إلى تلك الصواريخ الموجهة

- قال تعالى: { قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣]

- قال تعالى: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧] وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رحمة الله، وَلاَ تَيْأَسُوا مِن فرج الله،

وَلاَ تَيْأَسُوا مِن توسعة الله، قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب، وقال أهل المعاني: لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله، إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ لأن المؤمن يرجو الله في الشدائد.

- وقال تعالى: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: ٥٦]

- في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ"، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»

ومثل تلك النصوص تفتح لنا باب التوبة والعودة والأوبة إلى الله تعالى، لا أن تفتح لنا باب الجرءة على الله تعالى

***

ملخص

رابعا: من أسلحة إبليس: سلاح التضخيم

- فمن تلبيس إبليس: أن يضخم الذنوب أمام الراغب في التوبة ليصرفه عنها
- في الفقه الشيطاني ...
- اسم الله العفو لا يأتي في القرآن إلا مع الذنوب الكبيرة - صواريخ موجهة



خامسا: من أسلحة إبليس

سلاح الغرور - سلاح الأنا

يستخدم إبليس ما كان سببا في هلاكه: عندما قال لله عز وجل {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢] فما كان مصيره؟ كان مصيره النار خالداً مخلداً فيها أبداً.

والإعجاب بالنفس شر كبير: في مسند البزار عد النبي ﷺ ثلاثاً مهلكات، كما روى ذلك أَنَس ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قَالَ « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا» قال ابن مسعود ﷺ (الهلاك في شيئين: الْعُجْبُ، وَالْقُنُوطُ)

الغرور والعجب أنواع كثيرة

منها على سبيل المثال:

أولا: غرور العبادة والطاعة

ما أن يهتدي المسلم إلى طريق الله عز وجل، وما أن تعرف أقدامه الطريق إلى بيت الله، فيصلي الخمس في الجماعة (الأولى) ويحرص على أداء نوافل الصلاة، ونوافل الصيام (الاثنين والخميس من كل أسبوع، أيام ١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر عربي) ويحرص على السنن الظاهرة... إلخ، حتى يتسلل الغرور (غرور التوبة والطاعة) إلى قلبه، فإنه يظن أنه –بعمله– فقط قد استحق الدرجات العليا، وقد أصبح من أهل الجنة، فتجد البعض يحدث نفسه في داخله: لو مت الآن أنا من أهل الجنة، فكأنه وكأنها أمنت من مكر الله تعالى.

لفتة مهمة جدا: قد التزمت وجددت تأثيث حياتك بالطاعات والعبادات وتركت المعاصي والكبائر، وبدأت من جديد، لكن في الأعماق يلعب إبليس لعبته، ويجعل توبتك ناقصة، نفخ في داخلك الكبرياء، لا ندم لقد كبرنا وعقلنا

لا ندم! مرحلة وانتهت

لا ندم! شقاوة شباب وتجارب لا بد منها

ضرورات المراهقة والرجولة، أمور طبيعية في وقتها، ولا ندم !

***

ثانيا: غرور العلم والحفظ

وهناك من رزقه الله علماً، أو أكرمه بحفظ كتابه الكريم، فيكون العلم والقرآن باب فتنة له، وما لم يكن مسلما حقا، مخلصاً في قوله وعلمه، فسوف يكون عرضة لأن يلعب الشيطان برأسه، ليبدد عليه ما جمع من علم، وما حفظ من قرآن.

ينفخ إبليس فأصبح البعض يقيس الناس بمقدار ما يحفظ من القرآن، أنا أحفظ القرآن أنا من أصحاب الفردوس الأعلى، وهو لا يحفظ القرآن لن يدخل الجنة، في شعب الإيمان للبيهقي، قال أبو وَهْبٍ: سَأَلْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ: مَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: "أَنْ تَزْدَرِيَ النَّاسَ"، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْعُجْبِ، قَالَ: "أَنْ تَرَى أَنَّ عِنْدَكَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكَ"، قَالَ: "وَلَا أَعْلَمُ فِي الْمُصَلِّينَ شَيْئًا شَرًّا مِنَ الْعُجْبِ" المصلين أيها الإخوة الكرام.

وحفظ القرآن ليس غاية أو مقصدا في ذاته، لكننا نحفظ القرآن لنعمل، نحفظ القرآن فهو دستورنا، وبعض طلبة العلم يقف مع صورة العمل، مع القراءات والأسانيد، ويقف مع الأقوال يجمعها في الفقه والخلاف، ثم ينسى قضية

العمل، ولذلك ابن الجوزي وعظ نفسه في هذا، قال لما رآها وقفت مع صورة العلم فقط، قال: صحت بها:

- فما الذي أفادك العلم؟ - أين الخوف والحذر؟

- أو ما سمعت بأخبار أخيار الأحبار في تعبدهم واجتهادهم؟

- أما كان رسول الله ﷺ سيد الكل، ثم قام حتى ورمت قدماه؟

- أما كان أبو بكر شجي النشيج كثير البكاء؟

- أما كان في خد عمر خطان من الدموع؟

- أما كان عثمان يختم القرآن في ركعة؟

- أما كان علي يبكي الليل في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع، ويقول (يا دنيا! غري غيري؟).

- أما كان سعيد بن المسيب ملازماً للمسجد، فلم تفته صلاة الجماعة أربعين سنة؟

- أما صام الأسود بن يزيد حتى اخضر واصفر؟

- أما قالت بنت الربيع بن خثيم له: مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال: إن إباك يخاف عذاب البيات؟

- أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة، وكان يقول: والهفاه ! سبقني العابدون وقطع بي؟

- أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟

- أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟

- أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد؟

***

ثالثا: غرور الشكل والهيئة

فقد يرزق الله عبداً شكلاً حسنا وهيئة طيبة، فيبدو إذا مشى بين الناس مغرورا بهيئته -أتذكر أخا من الإخوة الأفاضل قلت له: ربنا يزوجك، فرد علي قائلا: نفسي، لكن من التي تستحقني؟؟!!- في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ -والفرق بين الناس بالتقوى ليس بالأشكال أو الألوان أو الطول أو القصر أو الرفع أو البدانة أو البياض أو السواد فَيَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فجاء الجزاء من عند رب العالمين- فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وفي رواية (قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ) (ش (جمته) الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين (يتجلجل) أي يغوص في الأرض حين يخسف به والجلجلة حركة مع صوت ١

***

رابعا: غرور المال

قصة قارون

وأقف وقفة سريعا مع قصة قارون وما فيها من عبر، كان قارون أعظم من ملك المال في الدنيا، ثم لعنه الله لعنة تحيق به؛ ونحن ماذا نملك مما ملكه قارون؟ إن كان عند أحدنا فلة أو سيارة، أو بعض الأبناء، أو وظيفة فما تساوي ذرة من ذرات كنوز قارون، قارون كانت مفاتيح كنوزه تنوء بها العصبة من

١- في شرح النووي على مسلم (١٤/٦٤): قِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَقَعُ هَذَا، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّنْ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وهذا هو الصحيح، وَهُوَ مَعْنَى إِدْخَالِ الْبُخَارِيِّ لَهُ فِي بَابِ ذكر بنى اسرائيل، والله أعلم)

الرجال، عشرة من الرجال لا يستطيعون حمل المفاتيح، فما بالك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فماذا فعل؟

خرج في أبهة وجبروت وكبر، والإنسان إذا نسي الله وما أصبح عنده صلاة ولا أوراد، جفل قلبه وأصبح قطعة حجر، أصبح قلبه مثل قلب الثور، لا يعي ولا يعرف ولا يفقه، يأكل ويشرب لكن له قلب لا يفقه به، له سمع لا يسمع به، وبصر لا يبصر به، فــ قارون أعطاه الله المال وقال: خف من الله في هذا المال، إنما هو يمتحنك الله به.

خرج قارون ومعه حلة يتبختر فيها، فقال له علماء قومه: اتق الله! {وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} [القصص:٧٧] وعظوه، كما يفعل بعض الناس الآن إذا أغناه الله بعد الفقر، وأَصَحَّ جسمه بعد السقم، وآتاه ذرية بعد أن لم يكن عنده ولد، نسي الله فتجبر على عباد الله، وصعَّر خده لأولياء الله في أرض الله، فــ قارون فعل مثل ذلك، **قالوا له**: اتق الله، قال {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص: ٧٨]

- الله يدري أنني أستحق الملك
- أنا أخذته بعرق جبيني وجهدي وذكائي ودهائي
- هذا بعبقريتي وذكائي، أنا كنت أعلم أنني سأكون غنياً ؛ لأنني ذكي أحسن التدبير والخطط
- أنا كم تعبت، لكن كم من أناس يتعبون و لم يركبوا مثل ما ركبت من سيارات؟؟!!
- هو كذاب على الله، دجَّال ما منحه المال إلا الله، ولا يرزق إلا الله

انظر إلى أحوال الناس تجاه الدنيا وزينتها:

- فإن قارون لما خرج على قومه في زينته الدنيوية، قال بعض قومه ممن قصرت عقولهم عن معرفة حقيقة الدنيا {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ} [القصص: ٧٩]

- {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [القصص:٨٠] العقلاء الذين يخافون لقاء الله ويتذكرون القبر وما بعده {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص:٨٠]

مصير قارون

كان مصير قارون أن قال الله فيه {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص: ٨١] هذا هو الردى وهذه هي اللعنة والخسران وسوء الخاتمة {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ} [القصص:٨١] من الذي ينصر إلا الله، وإذا لم ينصر الله العبد لا ينصره أحد، والله لو كانت الدنيا وسكان الدنيا معك في أسرة لك فلا تعتز بأسرتك من دون الله، العزيز من أعزه الله بالطاعة، والذليل من أذله الله بالمعصية {فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ} [القصص: ٨١] يقول الله عزَّ وجلَّ: هل له أسرة؟ هل كان معه قبيلة قامت تقاتل عنه بالسيوف؟ لا، قوة الله لا تغلب.

والله عزَّ وجلَّ يقول {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر:٥١] من الذي ينصر الرسل والمؤمنين؟ إنه الله، أما غير المؤمنين فلن ينصرهم الله {يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:٥٢] {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ

لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [القصص: ٨١ - ٨٢] وَيْكَأَنَّ: ألم تر أنَّه؟

يقول الله تعالى في آخر القصة {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص:٨٣]

قصة صاحب الجنتين

وكذلك صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف الذي قال الله عز وجل فيه {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَاب} [الكهف: ٣٢] هذا الرجل قال لصاحبه وهو يحاوره {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف:٣٤] فماذا كان جزاؤه؟ {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف: ٤٢] صاحبه قال له {إِنْ تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} [الكهف: ٣٩].

فلعل بعضكم يقول: هذا الرجل الصالح قال: (أنا) أيضاً؟! نقول: هناك فرق شديد بين (أنا) هنا و (أنا) هناك، إنك لو حذفت كلمة (أنا) في قول الرجل المتكبر ما استقام المعنى، ولو حذفتها في كلام الرجل الصالح لاستقام المعنى {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا} [الكهف:٣٤] احذف كلمة أنا تجد أن المعنى لا يستقيم، فهذا يدل على أن كلمة (أنا) يدور حولها المعنى، بخلاف قول هذا الرجل الصالح {إِنْ تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} [الكهف: ٣٩] فلو حذفت كلمة (أنا) استقام المعنى (إن ترني أقل منك مالاً وولداً) فيدل على أنه لم يعني كلمة (أنا) إنما قالها في مقابل قول الرجل {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف:٣٤] **فهو يقول له**: إن كنت تراني أنا – هذا المستضعف– أقل منك مالاً وولداً {فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا} [الكهف: ٤٠].

قصة سليمان عليه السلام

في مقابل هذه الأمثلة المهينة، تحضر قصة سليمان عليه السلام، الذي آتاه الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، سلطانا من جنود الانس والجن والطير والريح والثروات، ومع كل ذلك، ما طغى ولا بغى، وما ينبغي له، بل كان معترفا بفضل الله عليه،شاكرا لأنعمه، وهو يقول {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل:٤٠] ويقول {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]

ولما بعثت اليه ملكة سبأ بهدايا افتخارا واختبارا {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} [النمل: ٣٦]

***

فمن صور إنكار الذات: نسبة الفضل إلى الله تعالى

من صور إنكار الذات: إن كان من توفيق بفعل طاعة أو اجتناب معصية أو تحقق له نعمة من نعم الدنيا نسب الفضل إلي الله تعالي وليس إلي نفسه: يقول ربنا تبارك وتعالي {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]

وهذا ليس فقط خبراً أخبر به رب العالمين بل هو كذلك منهج المؤمنين الصادقين قال تعالي مخبراً عن نبي الله يوسف ﷺ {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٧، ٣٨] وقال سبحانه عمن زكى نفسه بزعم الإيمان {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ

إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
[الحجرات: ١٧]

والله الذي لا إله إلا هو إن لم يرزقك الله، فلن يرزقك أهل الدنيا ولو اجتمعوا عن بكرة أبيهم

مفاتيح الخزائن والمال بيد الله عز وجل، القطر بيديه، الرزق بيديه، الإحياء والإماتة بيديه، في سنن الترمذي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ.

لتعلموا أيها الأخوة الأحباب: أن المال عصب الحياة

لكل وجود اجتماعي وعمراني وحضاري، ولكل مستلزمات العيش والحماية والجهاد والاقتصاد.. بل هو المحرك الحيوي في العلاقات وتبادل المنافع والمصالح بين الناس { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: ٤٦] لكن كل ذلك مشروط بمراعاة الحقائق المذكورة والتزام الضوابط الشرعية التي يكون بها المال طيبا في كسبه، طيبا في انفاقه، فيصبح بذلك وسيلة لبناء الحياة الطيبة في الدنيا ونيل ثواب الآخرة، لكن كل ذلك مشروط بمراعاة الحقائق المذكورة والتزام الضوابط الشرعية التي يكون بها المال طيبا في كسبه، طيبا في انفاقه، فيصبح بذلك وسيلة لبناء الحياة الطيبة في الدنيا ونيل ثواب الآخرة.



ملخص

خامسا: من أسلحة إبليس

سلاح الغرور - سلاح الأنا

- يستخدم إبليس ما كان سببا في هلاكه

- الإعجاب بالنفس شر كبير

- الغرور والعجب أنواع كثيرة

أولا: غرور العبادة والطاعة

ثانيا: غرور العلم والحفظ

ثالثا: غرور الشكل والهيئة

رابعا: غرور المال (قصة قارون - قصة صاحب الجنتين - قصة سليمان عليه السلام)

- فمن صور إنكار الذات: نسبة الفضل إلى الله تعالى

- والله الذي لا إله إلا هو إن لم يرزقك الله، فلن يرزقك أهل الدنيا ولو اجتمعوا عن بكرة أبيهم

- لتعلموا أيها الأخوة الأحباب: أن المال عصب الحياة



سادسا: من أسلحة إبليس

سلاح التسويف

بعض الناس يخطر في باله خاطر الهداية، يأتيه خاطر من الملك أن يهتدي؛ ويترك ما هو فيه من الباطل، فيستغل إبليس الكسل، يدخل إليك منه، يستغل كونك متعبا ومرهقا بعد يوم طويل، فيقتحمك ويزين لك الدعة والراحة، إنسان مفرط في الصلوات جاءه خاطر: أن يواظب على الصلاة، بدلا من أن يصلي عندما يعود من العمل الصلوات الخمس بوضوء واحد، يصلي كل صلاة في وقتها، وبدلا من أن ينام عن صلاة الفجر يستيقظ ويصلي وفي المسجد، فيأتيه شيطانه، وتترك النوم، أيها الرجل: عد إلى صوابك، هل نسيت حلاوة النوم، وتعلمون: هناك من الشباب خاصة شهوته في النوم.

إبليس يغزوك بثلاثة جنود لهم باع طويل في محاربتك وجرك إلى الهاوية:

لعل – سوف – عسى

سيظل هؤلاء دوما في خلفية عقلك، يهمسون في أذنيك وستتصور في نفسك أنك أنت الذي تقول:

- سوف أصلي بعد قليل
- سوف أرتاح قليلا ثم أصلي بعدها
- عاد من العمل سأتناول طعامي ثم أنام قليلا ثم أصلي فينام وينام
- سوف ألتزم بالصلاة فيما بعد.. أنا صغير وسوف أكبر وألتزم
- سوف أمتنع عن المعاصي فيما بعد لا أزال شابا والحياة أمامي طويلة، كل الملتزمين التزموا عندما كبروا.
- عندي عزيمة أن أترك هذه المعصية التي لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى

وأنت أدرى بما ترتكبه على الشبكة العنكبوتية والواتس والتلجرام ومواقع التواصل الاجتماعي، وأقول -للشباب والأزواج والزوجات- كلمة مختصرة جدا في هذه المشكلة العصرية:

أما للشباب: لا تبحث عن زوجة عبر الواتس

وأما للزوجات: لا تبحثي عن زوج بديل عن زوجك عبر الواتس، مهما كانت مبرراتك.

وأما للأزواج: لا تبحث عن زوجة بديلة عن زوجتك عبر الواتس، مهما كانت مبرراتك.

***

سبب أصيل من أسباب الشقاء معصية الخلوات

لن يخص التسويف مسألة الصلاة والالتزام فقط، بل سيجعلك أسيرا داخل سلبيتك وكسلك وعجزك عن مواجهة ظروفك، وبالتالي عاجزا عن تغييرها.

سوف يمر الوقت وأنت تسوف، وبالتدريج سوف تتعود التسويف، سوف يصير ذلك طبعا في داخلك، إن الإنسان إذا استمر في الشر صار الشر عادة، فصار ترك الشر صعباً عليه، كمثل رجلٍ خرجت له نبتةٌ في بيته، في مكان غير مناسب مؤذٍ، فقال: اليوم أقتلعها، غداً أقتلعها وهي تنمو وتكبر اليوم أقتلعها غداً أقتلعها، حتى إذا كبرت وصارت جذورها ضاربةً في الأرض وقويت صار هو في المقابل أضعف وأعجز، والشجرة صارت أقوى وأكبر فأنى له أن يقتلعها؟!

سوف يضيع العمر وأنت كذلك، تقول: "غدا، بعد غد، النية صافية وموجودة، والأعمال بالنيات، لعل ذلك يفيدني، عسى أن يرحمني الله بتلك النية"

كانت تقول: "إذا تزوجت حفظت القرآن، وقد تزوجت!!"

كان يقول: "إذا وصلت إلى الخمسين والستين أواظب على الصلاة في بيت الله تعالى، وقد وصل!! "

***

طول الأمل حائل بين العبد وبين التوبة

ومن أطال الأمل أساء العمل، قال الله تعالى {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: ٣]

الأمل هو: "أن تجعل في مخيلتك أنك ستعيش ستين أو سبعين أو ثمانين أو مائة سنة" ولذلك أكثر الشباب -ونحن منهم- لا يتصور الموت، ونظن أنه لا يموت إلا الكبار، وكأن عادة الناس أنه لا يموت الإنسان إلا إذا كبر، أما الصغار فنادراً أن يموتوا، وبالاستقراء، يقولون: الموت في الشباب أكثر.

قد تموت قبل ذلك

- وتقول نفسٌ {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزمر: ٥٦]

- لو أن الله هداني {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [سبأ: ٥٤]

- وقد يقال له عند موته: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

- خاطب نفسك أن هذا الآيات لك أنت فلا ترضى أن تكون من أهلها، فر منها فرارك من الأسد.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فِي صحيح البخاري، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي (وهنا نتأمل إخوة الإسلام: كيف كان رسولنا ﷺ يتعامل مع الصحابة ﭫ فابن عمر ابن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، ثم يقول له) **فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** (ربما هذه الكلمات لو طرحت على ابن الثلاثين لم يفهم معناها، لم يفهم الفرق بين الغريب وعابر السبيل، **والفرق بينهما كبير**: قَالَ الطِّيبِيُّ: لَيْسَتْ أَوْ لِلشَّكِّ بَلْ لِلتَّخْيِيرِ وَالْإِبَاحَةِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى بَلْ فَشَبَّهَ النَّاسِكَ السَّالِكَ بِالْغَرِيبِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَسْكَنٌ يَأْوِيهِ، وَلَا مَسْكَنٌ يَسْكُنُهُ، ثُمَّ تَرَقَّى وَأَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى عَابِرِ السَّبِيلِ ؛ لِأَنَّ الْغَرِيبَ قَدْ يَسْكُنُ فِي بَلَدِ الْغُرْبَةِ، بِخِلَافِ عَابِرِ السَّبِيلِ الْقَاصِدِ لِبَلَدٍ شَاسِعٍ بَيْنَهُمَا أَوْدِيَةٌ مُرْدِيَةٌ، وَمَفَاوِزُ مُهْلِكَةٌ وَقُطَّاعُ طَرِيقٍ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لَا يُقِيمَ لَحْظَةً وَلَا يَسْكُنُ لَمْحَةً، فلما فهم ابن عمر ﭬ وصية النبي ﷺ كان يقول ﭬ:

إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ

بادر بالتوبة والأوبة إلى الله جل وعلا.

وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ

ففي فترة الشباب يستطيع الإنسان أن يفعل ما لا يستطيع فعله في فترة الشيخوخة، فيستطيع حفظ القرآن والصيام ونشر دين الله تعالى والأخذ بأيدي الناس إلى طريق الجنان.

والشباب يمر دون أن تشعر به: لما رأى أحمد الشيب في لحيته، قال: "والله ما مثلت الشباب إلا بشيء كان في يدي، ثم سقط من يدي"، قال الشاعر أبو العتاهية من شعراء العصر العباسي:

بكيْتُ على الشّبابِ بدمعِ عيني فلم يُغنِ البُكاءُ ولا النّحيبُ

فَيا أسَفاً أسِفْتُ على شَبابٍ نَعاهُ الشّيبُ والرّأسُ الخَضِيبُ

عريتُ منَ الشّبابِ وكنتُ غضاً كمَا يَعرَى منَ الوَرَقِ القَضيبُ

فيَا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْماً فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المَشيبُ

وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ

فأنت لا تدري متى تأتيك المنية، رجل خرج على المعاش كان صولا في الجيش فوجد مجموعة تجلس بعد صلاة الفجر، فقال لهم: ماذا تفعلون ؟ قالوا: نحفظ كل يوم آيتين من كتاب الله تعالى، فقال: أحفظ معكم، فلما وصل إلى قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢] قالوا: فدفناه بعد صلاة الظهر.

قيل لنوح ﷺ في طول الأمل وفي قصره، وقد عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً: كيف رأيت الحياة؟ قال: والله لقد رأيت الحياة كبيت ذي بابين دخلت من هذا، وخرجت من هذا.

يأتي الإمام أحمد بعد أن نجاه الله تعالى من محنة القول بخلق القرآن التي ثبته الله تعالى فيها على مدار ثلاثة خلفاء من الخلفاء العباسيين: الخليفة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، قال أحد الجلادين بعد أن تاب: لقد ضربت الإمام أحمد ثمانين جلدة، لو ضربتُها في فيل لسقط، ثم كشف الله تعالى الغمة بمجيء الخليفة العباسي المتوكل وأرسل المتوكل إلى الإمام أحمد أموالاً لا يعلمها إلا

الله، ركَّب على البغال والخيول أموالاً من الذهب والفضة، والإمام أحمد يحتاج إلى كسرة الخبز، وليس عنده من الدنيا إلا القليل، قالوا: لماذا لا تأخذ أموال المتوكل؟ قال: "طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل حتى نلقى الله".

ذكر الأصفهاني في حلية الأولياء أن سفيان الثوري رحمه الله قال وإذا هممت بصدقة، أو بِرٍّ، أو بعمل صالح فعجِّلْ مُضيّه من ساعته من قبل أن يحول بينك وبينه الشيطان

***

ملخص

سادسا : من أسلحة إبليس : سلاح التسويف

- إبليس يغزوك بثلاثة جنود لهم باع طويل في محاربتك وجرك إلى الهاوية:

لعل - سوف - عسى

- سبب أصيل من أسباب الشقاء معصية الخلوات
- طول الأمل حائل بين العبد وبين التوبة
- قد تموت قبل ذلك
- إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ
- وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ
- وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ
- وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ



سابعا: من أسلحة إبليس

سلاح حب الغرب

مرض اسمه بدون لف ودوران: "حب الغرب" الانبهار بكل ما هو غربي، ونحن في كل يوم، نقف أمامه ونطلب منه أن يهدينا صراطه المستقيم، صراطه هو لا صراط غيره لا الضالين ولا المغضوب عليهم، وواقع حالنا وحياتنا يمشي ويسير نحو صراط آخر، بل يريد المزيد منه

من عوامل نجاح الغزو الفكري

شدة الانبهار بحضارة المستعمر

تنشئة الأجيال على حب الغرب

في الصحيحين، عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ -بفتح السين للأكثر، والمراد: الطريق- مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ" -يقال: خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضي البهائم والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم وأتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم- قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟" -هو استفهام إنكار والتقدير: فمن هم غير أولئك-

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه "لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه".

ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح "لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها"

كيف دخلت الحضارة الغربية بأفكارها بلدان المسلمين؟!!

لقد كان أساس دخول الحضارة الغربية إلى البلاد الإسلامية وانتشار أفكارها المختلفة هو شعور حكام المسلمين بتفوق الغرب عليهم في شتى المجالات التنظيمية والاقتصادية وخصوصا ما يتعلق بالنواحي العسكرية والنظم التي تسير بها الجيوش والحاجة إلى السلاح الذي كان بيد الغرب حينما صنعه الغرب النصراني والمسلمون في سبات عميق.

ومن هنا برز الشعور القوي لدى هؤلاء الحكام بضرورة مد اليد إلى الغرب لشراء الأسلحة التي تزخر بها المصانع الغربية وتم ذلك فنشأت حاجة أخرى وهي طلب من يقوم بالتدريب عليها وكذلك طلب من يقوم بصيانتها، ولا بديل عن الغرب الأوربي في ذلك بطبيعة الحال فاستقدموا المدربين والمهندسين والمستشارين من شتى دول الغرب ثم برزت حاجة أخرى وهي توفير الكتب والمدرسين والمدارس للنشء الجديد في الدول الإسلامية الذين أريد منهم أن يكونوا دائما عدة للجهاد وتم ذلك.

ولكن لا يخفى عليك أخي القارئ من هم الذين سيقومون بتلك المهام كلها للنشء الجديد فالدول الإسلامية في بداية الصحوة من نومها ولا تملك شيئا من ذلك فكان آخر الأمر أن ارتموا أمام خبراء الغرب الذين أتوا بكل ما أمكنهم لتغريب العالم الإسلامي –وفي أولهم الجيوش– ومن هنا بدأت عجلة التغريب تعمل في العالم الإسلامي وبدأ الكثير من حكام المسلمين يتبعون سنن الغربيين في كل شيء بدؤوا ينظرون إلى التعاليم الإسلامية وإلى القيم الإسلامية نظرة ضعيفة فيها نوع من تفضيل للحياة الغربية عليها.

وكانت تركيا هي المثال القوي المخزي على هذا السلوك في آخر الدولة العثمانية إلى أن تسلمها العلماني الملحد مصطفى كمال أتاتورك الذي سلخها من كل شيء يمت إلى الإسلام بصلة – كما هو معروف من تاريخه الشنيع –

حمل أتاتورك مسلمي تركيا على ارتداء القبعة كرمز لهذا التحضر المزعوم، وكان الشيخ عاطف اسكلفى -من علماء تركيا- قد ألف كتاباً أسماه (فرانك مقلد لغى) ويعنى بالتركية (مشابهة الكفار) وتناول فى ذلك الكتاب قضية التشبه بالكفار، وما أن أقام أتاتورك بالانقلاب الأثيم حتى حوكم الشيخ عاطف بسبب كتاب ألفه منذ سنتين قبل الانقلاب

ولما مثل الشيخ أمام القاضي قال له: (إنكم أيها الشيوخ مغرقون في السفسطة الفارغة، رجل يرتدي عمامة يكون بها مسلماً، فإذا ما ارتدى قبعة صار مثل الكافر، وهذه قماش وتلك قماش؟

فرد عليه هذا العالم قائلاً: (انظر أيها القاضي إلى هذا العلم المرفوع خلفك -أي علم تركيا- أتستبدله بعلم إنكلترا أو ألمانيا مثلاً فإن قبلت، وإلا فهي سفسطة لأن هذا قماش وذاك قماش) فبهت القاضي، ولكنه حكم على هذا العالم بالإعدام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ابتعث كثير من المسلمين أبناءهم للدراسة في الدول الغربية ليتعلموا شتى الفنون التي كانت تنقصهم كضرورة ملحة جديدة، ولكن بعد أن رجع هؤلاء إلى بلدانهم لم يقف في وجوههم أي حاجز لرفع علم الحضارة الغربية في بلدانهم والمناداة ليلا ونهارا وسرا وإعلانا بالانضمام التام إلى الحياة الغربية واللحاق بركبها الذي كانوا يرونه سفينة النجاة ومصدر فخرهم وإعجابهم.

وبدأ هؤلاء ينفخون في أذهان المسلمين المبادئ الغربية والعادات الاجتماعية عندهم -متخذين من بعض القضايا ذريعة- لتوصيل الحضارة الغربية إلى الأذهان، مثل زعمهم أن حجاب المرأة ظلم لها وأن المسلمين ينقصهم الدعوة إلى الحريات، حرية الكلمة، وحرية العقيدة، والدعوة إلى منع الطلاق وتعدد الزوجات ووجوب تعليم المرأة ومشاركتها الرجل جنبا إلى جنب في ميادين

العمل وكذا الدعوة إلى العودة إلى الحضارات القديمة التي كانت قائمة قبل الإسلام وإلى السلوك الإسلامي– وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي نفذوا من خلالها إلى إنقاد التعاليم الإسلامية في مكر وخديعة {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]

ولقد افتتن بعض المسلمين بالحضارة الغربية وبريقها اللامع لأسباب حملتهم على ذلك تمنوها في مجتمعاتهم فلم يجدوها كـــ: حال الحرية التي رأوها في العالم الغربي في الظاهر فتمنوها دون رؤية ولا نظرة ثاقبة في حقيقتها ومآل أمرها، ومعلوم أن هذا الوضع ليس مبررا لترك الدين وما يأمر به أو ينهى عنه لا من قريب ولا من بعيد

***

العلاج

من أبرز مواطن الجمال فى هذه الشريعة: التميز فى عقائدها، وتصوراتها، وأفكارها

من أبرز مواطن الجمال فى هذه الشريعة: التميز فى عقائدها، وتصوراتها، وأفكارها وهى تعمل جاهدة على بقاء هذا التميز فى الوقت الذى يدأب الأعداء ليل نهار على تذويب معالم الشخصية المسلمة، وتدمير عقيدة الولاء والبراء –أحد ثوابت التصور الإسلامى الصحيح– من خلال الدعوات التى يروج لها كـــ: ثقافة العالم الواحد "العولمة" والحداثة، والتقارب بين الأديان، وهذا وغيره يتناقض تمام التناقض مع ما أراده الله لهذه الأمة من التميز والاستقلال فى التصورات والأفكار.

وقد تقرر في الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالاً ونساء التشبه بالكفار سواء في عبادهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم، وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية خرج عنها اليوم -مع الأسف- كثير من المسلمين جهلاً بدينهم، أو تبعاً لأهوائهم، أو انحرافاً مع عادات العصر الحاضر وتقاليد أوروبا الكافرة، حتى كان ذلك من أسباب ذل المسلمين وضعفهم وسيطرة الأجانب عليهم واستعمارهم.

ومن أدلة الكتاب:

- قوله تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر: ١٩]

- ومنها قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨] يخبر تعالى أنه جعل رسوله ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره بإتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) كل من خالف شريعته.

حتى عرف ذلك اليهود الذين كانوا في مدينة النبي ﷺ وشعروا أنه ﷺ يتحرى أن يخالفهم في كل شئونهم الخاصة بهم: ففي صحيح مسلم، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا،

فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا"

وهذا لا ينحصر في باب واحد من أبواب الشريعة المطهرة كالصلاة مثلاً، بل قد تعداها إلى غيرها من العبادات والآداب والعادات:

أمثلة على مخالفة شريعتنا لغيرها:

أولا: من الصلاة

- عَنْ أَبِى عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ اهْتَمَّ النَّبِىُّ ﷺ لِلصَّلاَةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلاَةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ قَالَ فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ -يَعْنِى الشَّبُّورَ" البوق- "فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ وَقَالَ «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ» قَالَ فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ فَقَالَ «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى» فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُرِىَ الأَذَانَ فِى مَنَامِهِ.. الحديث" رواه أبو داود.

- ومن ذلك ما رواه جندب بن عبد الله البجلي قال: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ «... أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ] رواه مسلم.

- ومن ذلك ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِى نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ" رواه أبو داود

ثانيا: من الجنائز

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « اللَّحْدُ لَنَا، وَالشَّقُّ لِأَهْلِ الْكِتَابِ] رواه أحمد بسند حسن

ثالثا: من الصوم

- ما رواه عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ" رواه مسلم

- وما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ" رواه أبو داود وغيره

- وعن ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

رابعا: من اللباس والزينة

- وعن ابْنِ عُمَرَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ" متفق عليه

- وقال ﷺ "إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ" متفق عليه

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى" رواه أحمد والترمذى

***

ملخص

سابعا: من أسلحة إبليس: سلاح حب الغرب

- من عوامل نجاح الغزو الفكري
- شدة الانبهار بحضارة المستعمر
- تنشئة الأجيال على حب الغرب
- كيف دخلت الحضارة الغربية بأفكارها بلدان المسلمين؟!!

- العلاج: (من أبرز مواطن الجمال فى هذه الشريعة: التميز فى عقائدها، وتصوراتها، وأفكارها)

- أمثلة على مخالفة شريعتنا لغيرها:

أولا: من الصلاة

ثانيا: من الجنائز

ثالثا: من الصوم

رابعا: من اللباس والزينة

***

فإذا فهمت خصمك فتجنب السبب الرئيسي لهزيمتك



عناصر الفصل الثالث

من أسلحة إبليس

أولا: من أسلحة إبليس سلاح التسليط – سلاح التحريش بين المسلمين
ثانيا: من أسلحة إبليس سلاح الشهوة
ثالثا: من أسلحة إبليس سلاح التشاؤم
رابعا: من أسلحة إبليس سلاح التضخيم
خامسا: من أسلحة إبليس سلاح الغرور ـــ سلاح الأنا
سادسا: من أسلحة إبليس سلاح التسويف
سابعا: من أسلحة إبليس سلاح حب الغرب

الفصل الرابع

اعرف سبب هزيمتك في كلمة واحدة؟؟!!

الغفلة

الشِّطْرَنْج -أيها الإخوة الأفاضل- لعبة تتطلب من العقل أن يكون حاضرا، والحواس فاعلة، والذهن قائما حيا، أكثر ما يحدث ويجعل خصمك ينتصر عليك هو أن أكثر الناس يغفلون عن هذا التحدي، ويذهب عن بالهم ذلك الرهان القديم والقسم العتيق الذي طالما سمعوا به وعدوه حكاية قديمة لا تمس حياقم الشخصية.

إنهم باختصار في جملة واحدة "هم في غفلة" {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩، ٤٠]

النفس الغافلة

مشكلة كبيرة عند من يحمل هذه النفس الغافلة:

- ليس من الضائعين العصاة أصحاب النفس الأمارة بالسوء
- وليس من الطائعين الحريصين على طاعة الله
- وليس من أصحاب النفس اللوامة التي تلومه عندما يعصي فهو سارح في الدنيا يفعل ما يشاء

مثلا: هي بنت طيبة وأخلاقها جيدة وتربت تربية جيدة جدا، وتمتلك رصيدا من حسن الخلق وبعض الأعمال الجيدة لكن إذا نظرت إليها من الداخل أين هي من الله ليست عاصية، وليست طائعة فهي تائهة.

ويؤسفني أن أقول:

- أنه ربما توبة هذه النفس الغافلة، أصعب من توبة النفس الأمارة فالعاصي بعد قليل يريد أن يتوب فهو طوال النهار يفعل كذا وكذا، فلقد تعب من هذه المعاصي، فالمعاصي لها ذل وأرق ونكد، أما الغافل لا يتوب وذلك لأن الشيطان يضحك عليه دائما....

- وللأسف هذه النفس الغافلة هي السواد الأعظم من الناس، فأناس كثيرون ليسوا فجرة عصاة وليسوا عبادا طائعين، فأغلب الناس تائهين، إنهم يتصورون أن هناك لونا آخر غير الأسود والأبيض في هذا الكون، يتصورون أن هناك حلولا وسطا، وأن الأمر قابل للمفاوضة أو المساومة.

إن الداء الذي أضعف الأمة وأصابها في مقتل رجالها ونساءها إلا من رحم الله هو داء الغفلة.

الغفلة في اللغة: "هي السهو عن الشيء".

وعرفها الْمُنَاوِيُّ بقوله: "الغفلة فقد الشعور فيما حقه أن يشعر به".

وقد لخص بعض أهل العلم مضار الغفلة في ست نقاط:

أولها: أنها تجلبُ الشطانَ وتُسخطُ الرحمنَ.

ثانيها: أنها تُنزل الهم والغم في القلب وتبعد عنه الفرح وتميت السرور.

ثالثها: أنها مدعاة للوسوسة والشكوك.

رابعها: أنها تورث العداوة والبغضاء وتذهب الحياء والوقار بين الناس.

خامسها: أنها تبلد الذهن وتسد أبواب المعرفة.

سادسها: أنها تُبعد العبد عن الله وتجره إلى المعاصي.

سوف ينتظم حديثنا في العناصر التالية:

أولاً: التهالك على الدنيا والتغافل عن الآخرة.

ثانيا: خطورة الغفلة عن الغاية.

ثالثا: الاستخفاف بأوامر الله عز وجل.

***

أولاً: التهالك على الدنيا والتغافل عن الآخرة

قال الله جل وعلا: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء: ١-٣] آيات تهز الغافلين هزاً، فالحساب قد اقترب والناس في غفلة!! وآيات الله تتلى، ولكنهم معرضون لا يأتمرون بأوامر الله عز وجل، ولا يقفون عند حدوده جل وعلا.

- ربما لم تكن في حياتهم معاصي كثيرة
- ربما كانوا أصلا ناسا طيبين
- لكن كانوا في غفلة عن هذا التحدي
- كانوا يخوضون مع الخائضين، وأينما ذهب الناس كانوا معهم يذهبون
- هؤلاء هم الصيد الأسهل والفريسة الأسهل بالنسبة إلى إبليس

إنك لو نظرت الآن إلى واقع كثير من المسلمين كاد قلبك أن ينخلع وكأن المسلم لا يعلم عن دين الله شيئاً ولا يعنيه أن يسمع قال الله، قال رسوله، فهو لا يعيش إلا لشهواته ونزواته الرخيصة، وكأنه نسي أنه سيعرض يوماً على الله جل وعلا ليسأل عن كل شيء، مصداقاً لقوله سبحانه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧، ٨]

- أليس عجيباً أن يعرض المسلم عن الله؟!
- أليس عجيباً أن يتغافل المسلم عن لقاء مولاه وأن يقضي جل عمره في معصية الله جل وعلا؟!

وليست الغفلة قصراً على الجاهل وغير المتعلم بل هناك ممن يحملون أكبر الشهادات في علوم الدنيا وهم من الغافلين أخبر عن ذلك الله بقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: ٧] لو كان لأحدنا شجرة يتعاهدها بالسقيا ثم غفل عنها ما الذي يحدث فيها تذبل أوراقها وتموت أغصانها وهكذا أيها الأحبة في الله شجرة الإيمان في القلب تغذيها وتسقيها بذكر الله، ومتى ما غفلت عنها فإنه لن يسقيها أو يتعهدها أحد سواك فقد تذبل وتموت والعياذ بالله وحينها تكون من الغافلين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف: ١٧٩]

- إذا غفل العبد عن نفسه أو عن ماله أو عن أهله كثر المعاتبون وبرز الناصحون، فقولوا لمثل هؤلاء: "إن المصيبة الأعظم والداهية الأطم أن يغفل العبد عن دينه أن يغفل عن الله أن يغفل عن اليوم الآخر فتلك والله المهلكة للفرد والأمة على السواء".

- ألم تسمعوا ما أخبر الله به عن قوم فرعون وبين سبب هلاكهم حيث قال: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٣٦] الغافلون موعدهم النار غداً وعدهم بذلك جبار السموات والأرض بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: ٧، ٨]

تأمل فيمن حولك فستجد أن من غفل توافرت فيه هذه الصفات رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وكأنها النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، وتسبب هذا الرضى وهذا الاطمئنان في غفلته عن الموت، وأنه لا شك في يوم راحل.

غفل أنه سيسأل غداً عما جنت يداه فأقبل على الشهوات يعب منها عباً ما عاد يفرق بين حلالها وحرامها ؛ يتابع نفسه في كل ما تشتهيه بغير تفكير ولا تور ولا وجل.

هذا الصنف من بني البشر وصفه الله لنا في كتابه وذكر مصيره فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [النحل: ١٠٧-١٠٩] من صفات أولئك الغافلين كما نصت عليها الآية أنه قد طبع على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فتجد أحدهم لا يعقل الهدى ولا يسمعه ولا يحب سماعه ولا يراه ولو كان أمامه، لا يستحب مجالس الصالحين، وإن حضر مجالس الخير مكرهاً خرج منها كما دخل لا يستجيب لنصيحة ولا يتأثر بموعظة، لأن الطرق التي تدخل منها الموعظة إلى القلب معطلة والقلب في غفلته ساه لاه.

الغافل مشغول بزينة الدنيا متبع لهواه مفرط في أمر دينه ومولاه وهو كالجرب يعدي كل من جالسه وآخاه ولذلك حذر الله نبيه ﷺ والأمة من بعده من مجالسة هذا الصنف من الناس بقوله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]

***

النعمة مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة

من الناس من يغتر بنعم الله عليه، فيظن أن هذه النعم إنما هي أصل لرضا الله عنه، ويقول: لولا أن الله عز وجل قد رضي عني ما أنعم علي بهذه النعم! فهو مغتر بنعم الله ونسي هذا المسكين أنه مستدرج.

أيها الإخوة الكرام! تدبروا معي هذا:

الابتلاء بالنعيم أقسى من الابتلاء بالضيق والشدة

لأن الابتلاء بالنعيم يلهي وينسي ويطغي إلا من رحم ربك جل وعلا، فصاحبه يظن أن الله ما أنعم عليه إلا لأنه قريب من الله تبارك وتعالى!! كلا، انظر إلى أهل الكفر في الشرق والغرب فقد أنعم الله عز وجل عليهم، وفتح عليهم أبواب كل شيء، فهل هذا دليل على أن الله قد رضي عن الكفر وأهله؟! لا والله، ولكن النعم استدراج لأهل الكفر والمعاصي، في مسند أحمد ورواه البيهقي في الشُعب وحسن الحديث الحافظ العراقي وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ**".

- يعطيك الله تبارك وتعالى الصحة والقوة فتبطش في الباطل
- يعطيك الله تبارك وتعالى الغنى فتطغى وتمنع الفقراء حقهم
- يعطيك الله تعالى نعمة الوظيفة المرموقة، فتتكبر على الناس وتأنف من التعامل معهم

ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ... } "(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) كان المفترض أن تكون النتيجة: خسفنا بهم الأرض أنزلنا عليهم الريح، أو أنزلنا عليهم العذاب والخسف والصيحة، ولكن {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥،٤٤]

الفتح السلبي

مراحل الاستدراج الخمس

المرحلة الأولى: مرحلة النسيان: {نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به} أعرضوا وعصوا وأبوا وتمردوا، وعاندوا، لما تغافلوا عن الأوامر والنواهي والحدود، ماالذي حدث؟

المرحلة الثانية: مرحلة الفتح: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} وهي صورة بليغة لإقبال الدنيا عليهم من كل أقطارها بجميع نعمها، وبكل قوتها وإغرائها حتى ظنوا معها أن الله راض عنهم، فلماذا يعطيهم إن كان ساخطا عليهم؟! فكان هذا من أشد أشد تلبيس إبليس.

المرحلة الثالثة: مرحلة الفرح {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} فلما أتتهم ألوان العطايا من أبواب كثيرة فرحوا فرحًا أنساهم شكر النعمة، ومحاسبة النفس، فحان وقت المرحلة الرابعة المباغِتة.

المرحلة الرابعة: مرحلة الانتقام: {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} وفجأة انتقم الله منهم بلا مقدِّمات، والقوم في غفلة، وهو تدبير رباني بالخفاء، فكان وقعه أشد وأعظم ألَمًا، يحدث له بلاء ليس على البال ولا على الخاطر، حادثة سيارة، وموت الفجأة من علامات الساعة كما جاء في بعض الآثار والأحاديث أن انتشار موت الفجأة من علامات الساعة، حسِّن هذه الآثار الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص/٥٠٦) وقال: له طرق يقوي بعضها بعضا، والألباني في "الصحيحة" (٣٧٠/٥) {أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون} [الأنعام:٤٤] فصاروا إلى المرحلة الخامسة.

المرحلة الخامسة: مرحلة الإبلاس: {فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} ويسموها (إذا) الفجائية، والإبلاس له ثلاثة معان في اللغة: **الحزن والحسرة واليأس**، فهؤلاء المستدرجون في غاية الحزن، متحسِّرون غاية الحسرة، ويائسون من الفوز بأي خير، ومن هنا سُمِّي إبليس؛ لأنه يحزن الذي آمنوا، ويبث اليأس من رحمة الله في قلوبهم، لتصير أعمالهم عليهم حسرات، وفي الجملة الاسميةِ دلالة على استقرار تلك الحالة الفظيعة مع القوم.

***

السِّتْرُ والإمهال مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة

ومن الناس من يغتر بحلم الله وستره عليه: إن من الناس الآن من هو مقيم على معصية الله، ولكن الله يستره ويحفظ عليه نعمه، فمن الأسباب التي تجعل العبد يزداد في فعله للمعصية أن الله لا يعاقبه مع أول مرة فيظن أن الذنب هين وأن الأمر يسير، فالله لا يسارع بالعقوبة، روى أبو داود في "الزهد"، عن أنس أن عمر ﵁: "أُتِيَ بِشَابٍّ قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ الْقَطْعُ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، مَا سَرَقْتُ سَرِقَةً قَطُّ قَبْلَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبْتَ وَرَبِّ عُمَرَ، مَا أَسْلَمَ اللَّهُ عَبْدًا عِنْدَ أَوَّلِ ذَنْبٍ»

فالسِّتْرُ والإمهال مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة: ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢]

أيها المظلوم! إياك أن تظن أن الله قد أهمل الظالم، أو أن الله عز وجل قد نسي الظالم فتعالى ربنا فلا يظل ربنا ولا ينسى، بل إن الله ليملي لأهل الظلم، والطغيان حتى إذا ما أخذهم فلن يفلتهم ربنا جل وعلا.

- أين الطواغيت والظالمون في كل زمان؟!

- أين قارون؟! - أين فرعون؟! - أين هامان؟!

- أين النمرود بن كنعان؟! - أين أصحاب الأخدود؟!

- أين الظالمون وأين التابعون لهم في الغي؟!

أين من دوخوا الدنيا بسطوهم وذكرهم في الورى ظلم وطغيان

هل فارق الموت ذا عز لعزته أو هل نجا منه بالسلطان إنسان

لا والذي خلق الأكوان من عدم الكل يفنى فلا إنس ولا جان

قال ربنا: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦، ٢٧] الموت حق لا يمتري فيه أحد، ولكن كما قال علي بن أبي طالب قال: (الموت يقينٌ لا شك فيه، وشكٌ لا يقين فيه، قالوا: كيف يا أبا الحسن ؟ قال: يقينٌ لا شك فيه؛ فكل الناس تعرف أنها ستموت، ولكنهم يعملون عمل الذي لا يموت)، فواقعهم يقول: إن الموت لا يأتي، مع أنه آتٍ لا ريب فيه، فجملة عملهم يقول: إن الإنسان يشك في موته شكاً لا يقين فيه، مع أن الموت في حقيقة أمره يقينٌ لا شك فيه.

***

ثانيا : خطورة الغفلة عن الغاية

قد يتعجب المرء إذا نظر إلى أحد المسلمين فوجده يستغل ما أعطاه رب العالمين في ظلم العباد من خلال وظيفته التي من بها رب العالمين، لكن هذا التعجب يزول إذا علمت أن العبد إذا غفل عن الغاية التي من أجلها خلق فلن يتورع عن ظلم العباد، ولن يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل، ولن يتورع عن نهب المال العام الذي أصبح الآن سمة من سمات هذا العصر الذي فسد فيه من كلفوا بالرعاية، **ورحم الله من قال:**

وراعي الشاةِ يحمي الذئبَ عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئابُ

ضل عن الغاية وما فكر فيها، وظن أن هذه الحياة أبدية سرمدية، فقال لنفسه: أدركي الوقت قبل فوات الأوان، أنفقت كذا وكذا في الدعاية الانتخابية، أدركي الوقت لتحصلي هذا المبلغ وأضعاف أضعافه.

يقول: وجلست على هذا الكرسي وأنا لا أضمن كم سأمكث عليه، فهيا لأقتنص هذه الفرصة وأغنم ولو من الحرام!

ما قال هذا إلا لأنه لا يفكر في الغاية، وظن هذا المسكين أنه سيأخذ هذا إلى قبره، ونسي قول المصطفى ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) وقال المصطفى ﷺ (يتبع الميت ثلاثة: ماله وولده وعمله، فيرجع اثنان: يرجع المال والأهل، ويبقى العمل) فلن ينفعك بين يدي الله إلا العمل الصالح فلا تغفل عن هذه الغاية، ولا تغفل عن طاعة الله.

إن الغاية التي من أجلها خلقنا هي عبادة الله وحده، والناس غافلون عنها الآن إلا من رحم ربك، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] هذه هي الغاية التي من أجلها خلقت، ما خلقك الله عز وجل إلا لطاعته وعبادته.

وإن أنعم الله عليك بالزوجة وبالأولاد وبالمنصب والأموال، فيجب أن تسخر هذا من أجل الغاية التي من أجلها خلقت، فلو عشت لهذه الغاية فاستعمل كل الوسائل للوصول إلى هذه الغاية، لكن إن ضيعت الغاية وعشت بلا غاية فسيضيع عمرك في غير طاعة، وكم من الناس الآن ينتسبون إلى الإسلام ولا يعيشون لهذه الغاية، بل لا يعرفون شيئاً عن هذه الغاية!

ألم تسمعوا قول هذا المتسكع التائه الضائع الذي يقول: جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت، وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري!

جهل الغاية وضل طريقها، فهو يتسكع كالبهيمة، ولقد قال الله عز وجل في هذا الصنف الغافل عن الغاية: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف:١٧٩].

***

ثالثا: الاستخفاف بأوامر الله عز وجل

صورة من أبشع صور الغفلة، تأمر فتقول: قال الله، أو تنهى فتقول: نهى الله عن كذا، ونهى رسول الله عن كذا، فلا مجيب.

أرى رجلاً يلبس خاتماً من الذهب فأقول له: لقد نهى رسول الله ﷺ عن لبس خاتم الذهب للرجال! فيرد علي ويقول: نعم أنا أعلم ذلك! أي استخفاف هذا؟!

وآخر يدخن السيجارة، فتقول له: هذا حرام، فيرد علي ويقول: نعم أنا أعلم ذلك! أي استخفاف هذا؟!

تقول له: الله عز وجل حرم كذا، فيقول: نعم أعلم ذلك، الله عز وجل نهى عن كذا، فيقول: أعلم.

يعلم ولا يطبق ولو قال: سل الله عز وجل لي أن يهديني، وأن يردني إلى الحق لدعونا الله عز وجل له، ولكان ذلك أدعى للقبول.

أما أن تقول: أنا أعلم! بكبر وبصوت مرتفع وكأن الأمر لا يعنيك!

وأنا أتحداك أن تقول لرئيسك في العمل إن نهاك عن شيء: لا، وإن أمرك بشيء أتحداك أن تقول له: لا.

بل ووالله ربما يأمرك بشيء مخالف وتمتثل أحياناً، فالله يأمر وينهى والرسول يأمر وينهى، ولكن أين السمع والطاعة؟!

يا من زعمت أنك ممن أحسنوا الظن بالله، أين العمل أين السمع أين الامتثال للأمر أين الاجتناب للنهي أين الوقوف عند الحدود؟ لماذا هذا الاستخفاف بأوامر الله تعالى؟

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: {كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى!!} قالوا يا رسول الله: ومن يأبي؟ قال: {من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى} [رواه البخاري] سهل جداً.. فالجنة لمن أطاع واتبع.. ويأبى الجنة من عصا وأدبر!!

فهل من الطاعة سماع الأمر بغض البصر.. ثم تطلق سهام بصرك فيما حرم الله؟!

وهل من الطاعة سماع الأمر بترك الغيبة... ثم تسلط لسانك على إخوانك المسلمين؟!

وهل من الطاعة سماع الأمر ببر الوالدين.. وأنت تتفنن وتبتكر طرقاً للعقوق؟!

وهل من الطاعة سماع الأمر بالدعوة إلى الله... وأنت تبادر إلى التخذيل والإرجاف؟!

بل تجد الرجل يرمي الشريعة الربانية المحكمة بالجمود والقصور والتخلف والرجعية، والله عز وجل يخاطب نبيه المصطفى ويقول: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الجاثية:١٨].

إن امتثلت أمر الله في شرعه فأنت المؤمن الذي سمع وأطاع، وإن سمعت وأعرضت فهذا هو دأب المنافقين -أسأل الله أن يحفظنا وإياكم من النفاق-

قال جل وعلا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} [النساء: ٦٠، ٦١]

إن الذي يعرض ويصد عن سبيل الله هو المنافق بنص القرآن وإن أظهر للناس بلسانه وبيانه غير ذلك، فالله عز وجل هو الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

إن الاستخفاف بأوامر الله عز وجل ينافي الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، قال الله جل وعلا: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ١، ٢] **قال الإمام ابن القيم**: إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي ﷺ يحبط العمل، فكيف بمن قدم العقل على قول وفعل النبي ﷺ.

وأنا أقول: كيف لو عاش ابن القيم في زماننا ورأى من لا يقدم قوله وعقله وفكره على قول وفعل النبي ﷺ فحسب، بل يتهم شريعة النبي ﷺ بالجمود والقصور والرجعية، وعدم قدرتها على مسايرة هذه المدنية؟! ماذا يقول؟!

إن رفع الصوت فقط على النبي ﷺ يحبط العمل، فكيف وقد اتهمت شريعته الربانية المحكمة؟!

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا} [الأحزاب:٣٦] وقال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:٥١] هذا شعار أهل الإيمان، أن يقولوا: (سمعنا وأطعنا)، أما شعار المستخفين بأوامر الرحيم الرحمن: (سمعنا وعصينا أعلم أن هذا حلال وأعلم أن هذا حرام) لكنه لا يفعل ولا ينتهي فالاستخفاف من أبشع صور الغفلة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا هؤلاء المعترضون.. على رسلكم: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة:١٤٠] وإذا ما جئت بالآية والحديث في تقرير المسألة أو القضية قالوا: لا تقحم الدين في كل أمر، سبحان الله!

- أليس لله أحكام في الطب؟
- أليس لله أحكام في الاقتصاد؟
- أليس لله أحكام في الإعلام؟
- أليس لله أحكام في الحياة كلها؟

ألم يقرؤوا قوله سبحانه: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] أخطا والله وحاد عن الصراط السوي من ادّعى أن الشريعة جاءت لتقضي فقط في الأمور التعبدية بين العبد والرب كالصلاة والصيام...، وأنها لم تأت بأحكام تنظم العلاقات بين العباد أنفسهم، ولا أدري كيف غفلوا عن أحكام الله في البيع والشراء والإجارة والعطية والوصية والميراث والرهن والكفالة والحوالة... فالشريعة لم تدع أمراً إلا وكان فيه نبأ من السماء كما قال الله: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: ٣٨] وقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } [المائدة: ٣] ولكن هؤلاء أعمى الله بصائرهم عن اتباع طريق الهدى

وصدق الله: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]

بركة السمع والطاعة

إن قوماً سمعوا كلام الله عز وجل، فقالوا: { قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا } [الأنفال:٣١] لأنه لو سمعوا سماع انتفاع ما قالوا هذا الكلام، اليهود الذين سمعوا كلام الله عز وجل، فقالوا: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [البقرة:٩٣] أهؤلاء سمعوا؟

إن السماع الممدوح في القرآن هو سماع الانتفاع؛ إنما مجرد سماع هذه الجارحة، أن يسمع الكلام بأذنه؛ ما قصد القرآن ذلك {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا} [النور:٥١] حسناً: لو سمع وعصى، فهل هذا سمع؟ لا، هو عند الله كالأصم طالما أنه لم ينتفع بهذا السمع.

ولذلك (لما نزلت خواتيم البقرة - كما رواه الإمام مسلم في صحيحه - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَىْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلاَ نُطِيقُهَا

- يحاسبنا على الخواطر التي تهجم على القلب حتى بغير اختيار من صاحبه، ويعرف هذا الذين ابتلوا بما يسمى بالوسواس، يهجم عليه أفكار كافرة ضالة كلما دفعها عن نفسه ازدادت حتى لا يهنأ بحياته إطلاقاً ويخشى أن يموت

كافراً، لا يستمتع بشيء وإن كانت الدنيا تحت قدميه، مَعْنَى الْآيَة: أنه إذا أغاظك إنسان فخطر ببالك أن تقتله تُحاسب على هذا، معناه إذا نظرت إلى امرأة جارك فأردت المرأة على نفسها و لم تفعل تُحاسب على ذلك، فأي شدة أعظم من هذا؟-

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ

- أنا أريد أن أقف قليلاً عند كلمة: فَذَلّت: أي سهُل عليهم أن يقولوها، لم يجددوا الاعتراض بأي وجه، لم يقولوا: طيب لكن ماذا نفعل ؟... افعل كذا وكذا، لكن أنا لا أستطيع.. طيب افعل كذا وكذا، لم يرددوا الاعتراض مرة أخرى فلما علم الله عز وجل من قلوبهم أنهم قالوا سمعنا وأطعنا حقاً، سهل عليهم أن يقولوها، وهذا معنى" فَذَلّت بِهَا أَلْسِنَتِهِم" وانطبق عليهم قول الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] فإن لم يستجب وَجَدّد الاعتراض وَشَقّق الكلام {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤] يريد أن يقولها فلا يستطيع، هذه عاقبة الاعتراض وَتَشْقِيق الكلام، وتجديد الِاعْتِرَاض أَن يُحَال بَيْنَه وَبَيْن أَن يَتُوْب أَو أن يَقُوْل سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

إذاً هناك موقفان {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] حياتُك في الوحي، حياتُك أن تقول سمعنا وأطعنا هذه هي الاستجابة فإن لم يفعل حال بينه وبين أن يقول أو حال بينه وبين أن يفعل، فَذَلّت بِهَا أَلْسِنَتِهِم، وقالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [البقرة: ٢٨٥]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِى إِثْرِهَا (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ نَعَمْ (رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قَالَ نَعَمْ (رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قَالَ نَعَمْ (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قَالَ نَعَمْ.

ولو حاولنا استيفاء ما سطره الصحابة ﷺ من أمثلة ومواقف، ما وسعنا عشرات الخطب والمواعظ من أجل إيفاء هؤلاء العظام حقهم في التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ **فمن تلكم النماذج:**

- في صحيح البخاري، عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } فَوُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاَةِ الْعَصْرِ"، ما ترددوا، وما رءوسهم رفعوا حتى امتثلوا، على مثلهم ينطبق قول الله: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:٥١].

- روت عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: "اجْلِسُوا"، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: "اجْلِسُوا"، فَجَلَسَ فِي بني غَنْمٍ -بطن من الخزرج-، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاكَ ابْنُ رَوَاحَةَ

جَالِسٌ فِي بني غَنْمٍ، سَمِعَكَ وَأَنْتَ تَقُولُ لِلنَاسِ: "اجْلِسُوا"، فَجلَسَ فِي مَكَانِهِ (المعجم الأوسط) ورواه عبد الرزاق في المصنف وزاد: فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ لَهُ: "مَا شَأْنُكَ؟" قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: "اجْلِسُوا"؛ فَجَلَسْتُ، فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: "زَادَكَ اللَّهُ طَاعَةً".

إن للإيمان ناسا كالأسُدْ فتشبه إن من يؤمن يَسُدْ

- ما رواه مسلم في صحيحه، عن عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: "يَعْمدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ"، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ! لَا آخُذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

- **وفي قصة نزول آية تحريم الخمر** خير دليل على الانقياد التام لأمر رسول الله ﷺ ففي صحيح البخاري، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرَقْتُهَا"[١]

والشاهد: أَنهم لم يتحققوا من قول القائل بأن الخمر هل حرمت، فبمجرد السماع بالتحريم أذعنوا مباشرة وانقادوا للأمر، وأراقوا الخمر التي كانوا يشربونها من لحظتها.

في صحيح مسلم عَنْ عمر أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَىْءٌ يُوصِى فِيهِ يَبِيتُ ثَلاَثَ لَيَالٍ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَا مَرَّتْ عَلَىَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وَعِنْدِى وَصِيَّتِى.

١- هو البسر الملون الذي ظهر فيه حمرة وصفرة.

وللنساء في التسليم أمثلة فريدة، ومواقف شريفة، ومشاهد تذكر:

- فعنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: "لَمَّا نَزَلَتْ: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: ٥٩]خَرَجَ نِسَاءُ الأَنْصَارِكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانُ مِنَ الأَكْسِيَةِ" (رواه أبو داود) يعني: امتثلن الأمر واستسلمن له فاحتجبن وتسترن.

فمن لم يكن حسنها في الحجابِ فسخريةٌ عَدُّها في الحسانِ

يا رُب أنثى لها دين لها أدبٌ فاقت رجالاً بلا عزم ولا أدب

- في سنن أبي داود، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ الأَنْصَارِىِّ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ" اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ (تحقيق الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٩٢٩ في صحيح الجامع (تحقق: تتوسط) أختي الكريمة... لا نريدك تلتصقين بالجدار.. ولكن نريد البعد عن فتنة الرجال في مواقعهم!! وعدم إظهار الزينة.. وعدم التطيب عند الخروج للأسواق.. وعدم تقديم التنازلات في الحجاب أو بعضه!! ولكن هذا لا يتأتى إلا بصدق محبة الحبيب ومتابعته..

نحن في أيامنا هذه بأمس الحاجة لعبارة نعلنها صريحة واضحة، نجعلها شعارا لحياتنا، تصدق بها قلوبنا، وتؤمن بها نفوسنا، وتنطق بها ألسنتنا حالا ومقالا: "سمعاً وطاعةً يا رب"، لا نقول إلا ما يرضى ربنا، وهذا هو الموقف الذي أثنى الله به على أصحاب نبيه ﷺ {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥]

***

بُعْد السلف عن الغفلة

- وقال وهب بن منبه في قوم غافلين: ألجأني المطر فدخلت في بيت على قوم جلوس، فرأيتهم في حلقة كبيرة، فقلت: الحمد لله، وفقني الله بجلوس مع أخيار ما بعدهم أخيار، رأيت لحاهم وعمائمهم، قال وهب بن منبه العالم العابد: فلما رأيتهم سمعتهم يتحدثون، قلت: لعلهم يتحدثون في العلم فأستفيد، قال: فإذا هذا يقول: متى أتى ابنك؟ هل أتى بمال؟ ويقول هذا: هل بعت سلعتك؟ ويقول هذا: هل كسبت؟ قال وهب بن منبه: لقد ساء ظني بكم، قالوا: ماذا؟ قال: مثلي ومثلكم كمثل رجل أتى عليه مطر وليل، فرأى باباً مفتوحاً، فظن أن وراء الباب بيتاً، فدخل فهرب من هذا الباب، ثم دخل الباب، فوجد أنه مكشوف إلى السماء، فلما خرج فإذا هو فضاء، قال: فهذا كمجلسي مع مجلسكم، وهؤلاء الذين لا يقربونك من الآخرة، ولا يقصد من ذلك: أن تكون مجالسنا كلها ذكر، لكن أن تكون في المباحات التي لا غيبة فيها ولا كذب.

- مر الحسن البصري بفتيان يضكحون يوم العيد، قال: يا فتيان! أجزتم الصراط حتى تضحكون؟! قالوا: لا، ما جزنا، فقال: لا يضحك إلا من تجاوز الصراط، الحسن البصري لم يكن يضحك، يقولون: كان يتبسم، وقيل له: لماذا لا تضحك؟ قال: كيف أضحك؟! ولعل الله اطلع علي، فقال: اعمل، وعزتي وجلالي لا أغفر لك، أو كما قال.

- يقول ابن القيم في بدائع الفوائد: "عجباً لك يا من تخالف الله كل يوم! الخضر رافقه موسى فخالفه ثلاث مرات، فقال له في الثلاثة: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف:٧٨] أفما تأمن أيها العبد وأنت تخالف الله كل يوم أن يقول الله لك: هذا فراق بيني وبينك".

- فلذلك الحسن يلوم من يضحك ويلهو كثيراً، والضحك مباح، لكن إذا أصبح عادة وبلادة، وأصبح إلفاً وعدم زيادة في الخير، أصبح صاحبه غافلاً عن طريق الهداية.

- يقولون: قالوا لعيسى بن مريم عليه السلام، وقد مر بهم وكان ذاهباً إلى المصلى: ألا تلعب معنا؟! -وهو طفل- قال: ما خلقني الله للعب، قال الله عنه: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم:١٢] وقال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] كان بعض السلف إذا واجهوا بعضاً قال: في كم ختمت القرآن؟ كم قرأت اليوم؟ كم سبحت؟ كم صليت؟ ليس من باب الرياء، لكن ليتشجع بعضهم ببعض.

***

التحذير من الركون إلى الدنيا

كن دائما مستيقظا حذرا

فاحذر من أن تركن إلى الدنيا، جاء في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» قال لنا ربنا جل وعلا: { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:٢٠].

وأود من باب التفصيل العلمي لهذه المسألة: أن نعلم أن الذم الوارد في القرآن والسنة في حق الدنيا لا يرجع إلى زمانها ومكانها وما أودعها الله من خيرات ونعم، إن الذم الوارد في الكتاب والسنة في حق الدنيا:

لا يرجع إلى زمان الدنيا: الذي هو الليل والنهار فلقد جعل الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

ولا يرجع الذم إلى مكان الدنيا: الذي هو الأرض فلقد جعل الله الأرض مهداً لبني آدم ليتاجروا على ظهرها وليغرسوا فيها الأعمال التي تقربهم إلى الجنة.

والذم الوارد في الدنيا لا يرجع إلى ما أودع الله في الدنيا من خيرات ونعم: فهذه نعم الله على خلقه وعلى عباده، والله عز وجل يقول: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف:٣٢] **إذاً:** فلنعلم أن الذم الوارد في حق الدنيا في القرآن والسنة إنما هو متعلق بكل ما يرتكب فيها ولا يرضي الرب جل وعلا

الذم للمعاصي للكفر الذي يرتكب في هذه الحياة، قال علي بن أبي طالب: (الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن فهم تزود منها، فهي مهبط وحي الله، ومصلى أنبياء الله، ومتجر أولياء الله، ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة) انظر إلى الفهم الدقيق لحقيقة هذه الحياة ؛ لأننا لا نريد أن يفهم مسلم هذا الكلام فهماً خاطئاً فيهدر هذه الحياة ويهدر الوظائف والأعمال، كلا.

وإنما أقول لك: إن استطعت أن تجمع ملايين الجنيهات فافعل بشرطين: أن تجمع من الحلال، وألا تنسى حق الكبير المتعال، عمّر الكون عمر الدنيا، لكن إياك أن تركن إلى الدنيا وأن تطمئن إليها وأن تنشغل بها عن الآخرة.

***

فإذا عرفت سبب هزيمتك

فلا بد أن تعرف القاعدة الأساسية في لعبة الشطرنج



عناصر الفصل الرابع

اعرف سبب هزيمتك في كلمة واحدة ؟؟!!

الغفلة

النفس الغافلة
أولاً: التهالك على الدنيا والتغافل عن الآخرة - النعمة مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة - الفتح السلبي - مراحل الاستدراج الخمس - النعمة مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة - السِّتْرُ والإمهال مع الإقامة على المعصية استدراج ونقمة
ثانيا: خطورة الغفلة عن الغاية
ثالثا: الاستخفاف بأوامر الله عز وجل - بركة السمع والطاعة - بُعْد السلف عن الغفلة - التحذير من الركون إلى الدنيا - كن دائما مستيقظا حذرا

الفصل الخامس

قواعد أساسية في مَلْحَمَةَ الشِّطْرَنْج

أسلحة لقهر الشيطان وغلبته

العلم - الجد - اليقين

القاعدة الأولى

الفرار من الجهل إلى العلم قصدا وسعيا

وهنا أمور ينبغي إدراكها، وسأقتصر على بعض الجوانب التي يدخل منها الشيطان إلينا:

الأمر الأول: الله أمرك بالتعلم

قال تعالى في سورة الذاريات {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠] والنذارة لا تكون إلا بعلم {إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ} [الأنبياء: ٤٥] فكيف تفر من شيء لا تعلم أنه يعطبك ويهلكك؟ إذن لابد من العلم للفرار، وشرط النجاة بالفرار العلم.

وفي "الصحيحين" من حديث معاوية بن أبي سفيان ﵁ أن النبي ﷺ قال: "مَن يرد الله به خيراً يفقِّهْهُ في الدِّين"

وفي سنن الترمذي بسندٍ لا بأسَ به، قال أَبو هُرَيْرَةَ ﵁ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»

تعلَّمْ فإنَّ العلمَ زَيْنٌ لأهلِه وفضلٌ وعنوانٌ لكلِّ المحامدِ

تفقَّهْ فإنَّ الفقهَ أفضلُ قائدٍ   إلى البِرِّ والتقوى وأعدلُ قاصدِ

***

فالقاعدة الأولى من قواعد الفوز في الملحمة

- أن تفر من الجهل بالله إلى العلم بالله.
- أن تفر من الجهل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا إلى العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.
- أن تفر من الجهل بأوامره و مناهيه وحدوده إلى العلم بذلك.
- أن تفر من الجهل برسول الله إلى العلم برسول الله.
- أن تفر من الجهل بدينك إلى العلم بدينك.

فلا يمكن أن تعرف الله إلا إن تعلمت، ولا يمكن أن تعبد عبادة ترضيه إلا إن تعلمت

قال تعالى لنبيه {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: ١٩] قال الحافظ ابن حجر: "أمر الله نبيه ﷺ بأمرين فبدأ بالعلم وثنى بالعلم بدأ بالعلم، وقدم العلم على العمل لأن العلم هو المصحح للنية التي يصح بها كل قول وكل عمل".

ولله در القائل:

الجهل قبل الموت موت لأهله   وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم   وليس لهم قبل النشور نشور

ولله در القائل:

ما الفضلِ إلا لأهلِ العلمِ إنهم   على الهُدَى لِمن استهدى أدلاء
وقيمةُ المرءِ ما قَد كانَ يُحسنُهُ   والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداء
فخذ بعلم تعش حيا به أبدا   فالناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياء

تعريف العلم

العلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا

كإدراك أن الكل أكبر من الجزء، وأن النية شرط في العبادة

فخرج بقولنا: "إدراك الشيء" ؛ عدم الإدراك بالكلية ويسمّى " الجهل البسيط"، مثل أن يُسأل: متى كانت غزوة بدر؟ فيقول: لا أدري.

وخرج بقولنا: "على ما هو عليه"؛ إدراكه على وجه يخالف ما هو عليه، ويسمّى "الجهل المركب"، مثل أن يُسأل: متى كانت غزوة بدر؟ فيقول: في السنة الثالثة من الهجرة.

والجهل المركب أشد قبحاً من الجهل البسيط وذلك لأمرين:

الأول: لأنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على الشئ و هو جاهل به، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]

الثاني: أن هذا الجاهل -جهلاً مركباً- قد جهل قدر نفسه، و اغتر بها، والجاهل البسيط متوقف عند حدود الله، لم يَقْفُ ما ليس له به علم، وعرف قدر نفسه فقال: أنا لا أدري، ويُذْكَرُ أن رجلاً يُسَمَّى تَوْمَةَ، رجلٌ حكيم، يَتَعاطى الحكمة، ولكنَّه يُفْتِي بغير علم، من جملة ما يُفتي به يقول: تصدَّقوا ببناتكم على من لم يتزوج، يظنُّ أن هذا خير، وفي هذا قال الشاعر:

ومَن نال العلومَ بغير شيخ يَضِلُّ عن الصراط المستقيم
وتَلْتَبِسُ العلومُ عليه حتى يكونَ أضلَّ من تَوْمَةَ الحكيم
تَصَدَّقَ بالتبنات على رجالٍ يُريدُ بذاك جنَّات النعيم

وله حمار قيل فيه:

قال حمارُ الحكيم تَوْمَهْ لو أنصفَ الدهرُ كنتُ أرْكَبْ
لأنني جاهلٌ بسيط وصاحبي جاهلٌ مُرَكَّبْ

الأمر الثاني: الجهل نوعان، وكلاهما يدخل منه الشيطان ليضل ابن آدم

النوع الأول: الجاهل هو الذي لا يعلم: عدم العلم بالحق النافع جهلٌ، والدليل: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧] هذا جهل العلم، أعوذ بالله أن لا أعلم، أن الاستهزاء ليس من شأن الأنبياء، أعوذ بالله أن أكون جاهلاً بهذا الأمر، نقلته لكم بأمانةٍ عن الله عزَّ وجل.

ما أكثر الجهلاء على وجه الأرض الذين لا يعرفون الله جل و علا، ما أكثر الجهلاء الذين لا يعرفون المصطفى ﷺ

قال تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦]

قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦]

قال تعالى: {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: ٤٠]

قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣]

قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} [ص: ٢٤]

النوع الثاني: الجاهل هو الذي لا يعمل: وعدم العمل بموجب العلم ومقتضاه جهلٌ، والدليل: كقول سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما قال: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف:٣٣] أن يصبو الإنسان إلى امرأةٍ لا تحل له هذا جهل، ليس جهل علمٍ ولكنه جهل عمل، فالذي لا يعلم جاهل، والذي يخطئ جاهل..

ونحن نتكلم أكثر ما نعمل، ونجادل في كل شيء وإذا أراد الله بعبد خيراً؛ فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً، فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل.

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشفاؤُه   أمران في التركيبِ متفقانِ
نصٌّ من القرآنِ أو من سُنةٍ   وطبيبُ ذاك العالِمُ الرَّبانِ

***

الأمر الثالث: أول ما تبدأ في تعلمه أن تتعلم علم العقيدة

العقيدة أهم علوم الدين علي الإطلاق فالعقيدة أهم من الأخلاق، والعقيدة أهم من الآداب، والعقيدة أهم من العبادات، العقيدة أهم من المعاملات، فهي أول واجب على المكلف، فعند دخول الشخص الإسلام يجب عليه معرفة التوحيد قبل تعلم العبادات.

- لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات»

- في الصحيحين عَنْ أَبِى ذَرٍّ، قَالَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ فِى الرَّابِعَةِ «عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِى ذَرٍّ» قَالَ فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ، وَهُوَ يَقُولُ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِى ذَرٍّ، وفي رواية: قال رسول الله ﷺ «ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِى فِى جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ

قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى، قَالَ: نَعَمْ وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ».

– في صحيح مسلم، عَنْ جَابِرٍ قَالَ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ فَقَالَ «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» ١

١- لا إله إلا الله طمأنينة قلب العبد وراحته:

إن كل ما يتعلق براحة النفس وطمأنينة القلب وسعادة المرء وقوته وثباته وصلاح حاله، لا يمكن أن يتم إلا بأن ترتبط هذه الأمور كلها بـ (لا إله إلا الله)، وبالعبودية الحقة لله الواحد القهار، ولهذا ورد عن النبي ﷺ كما في المستدرك على الصحيحين للحاكم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»

لا ينجو العبد من ضيق الصدر إلا بالتعلق بالله سبحانه وتعالى، ولهذا قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»

وهل يمكن أن يذاق طعم الإيمان بغير ذلك من الدنيا بشهواتها وبملذاتها؟ لا والله، لا يمكن أن يذوق الإنسان ذلك الطعم الحقيقي إلا بهذا، ولهذا حديث أَنَسٍ في الصحيحين، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)

انظر كيف ارتبطت هذه الأمور كلها بالحب:

=

=

- يقول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علي، يفرح بالخلوة ويحزن بدخول الناس عليه، لأنه يجد لذته في الخلوة أعظم من لذته وهو عند الناس،

- ويقول أحدهم: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

- ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: لولا ثلاث ما أحببت الحياة، ولأحببت أن أنتقل إلى لقاء ربي، ما هي هذه الثلاث؟ قال: (لولا أنني أحمل في سبيل الله)، يعني الجهاد في سبيل الله، فهذه الأولى، قال: (وأضع جبهتي على الأرض) أي: الصلاة، فهو يفرح بكل صلاة تحضر، يرتاح ويلتذ بها، وقد كان ﷺ يقول: (أرحنا بالصلاة يا بلال) وأما الثالثة فقال: (ومجالسة أقوام يلتقطون أطايب الكلام كما يلتقط أطايب الثمر) أي مجالسة أهل العلم الذين يقربون العبد من الله سبحانه وتعالى.

بلال بن رباح ﷺ يطبق حلاوة الإيمان تطبيقاً عملياً حينما كان يعذب من قبل قريش بعد إعلان كلمة التوحيد وكان يعذب في رمضاء مكة حيث إنه سئل كيف صبرت يا بلال ؟ قال: مزجت حلاوة الإيمان بمرارة العذاب فطغت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب فصبرت.

لا إله إلا الله تحرر العبد من العبودية لغير الله تعالى:

الحرية الحقيقية أن تكون عبداً لله، وبضدها تتميز الأشياء، فبعض الناس تعلق قلبه بغير الله، فصار عبداً لذلك الغير، بعضهم تعلق بالقبر أو بالولي فلان، وتعلق بعضهم ببرجه برج الثور أو العقرب أو غير ذلك، وفي صحيح البخاري عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ)

=

=

تعبد لغير الله سبحانه وتعالى فوكله الله إلى ذلك

لكن من هو الحر الحقيقي؟

إنَّه الذي جعل الدنيا في يديه لكن ملأ قلبه بالإيمان بالله، فهو ما ترك الدنيا، لكن جعلها في يديه يستخدمها في طاعة الله تعالى، قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "أيكون الإنسان عنده ألف دينار وهو زاهد؟ قال: نعم، قالوا: كيف ذلك يا إمام؟ قال: إذا زادت لا يفرح وإذا نقصت لا يحزن" فالعبد المتعبد لله وحده لا شريك له يكون غنياً، ويكون ملكاً، ويكون ذا شرف، ويكون ذا مكانة، لكن هذه الأمور كلها يضعها في يديه، أما ما في قلبه فهو حب الله وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

ولهذا ذكر الله محمداً ﷺ وهو رسوله المصطفى، وهو سيد الأولين والآخرين؛ ذكره ربه سبحانه وتعالى باسم العبد في أعظم المنازل، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء:١] فانظر إلى مترلة الإسراء حين بلغ سدرة المنتهى ﷺ فمن الذي أسرى به ربه؟ ولما أنزل عليه هذا القرآن قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} [الكهف:١] ولما تحدث عن مقام الدعوة إلى الله وهو أعظم المقامات قال: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن:١٩] فالعبودية لله وحده لا شريك له هي الحرية الحقيقية.

الأمن العام للأمة

يقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢] ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فأخبرهم ﷺ بأن الظلم هنا هو الشرك، مذكراً إياهم بقول العبد الصالح لقمان: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣] إذاً فالآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢]؛ هذا الأمن يبدأ من أمن الفرد وينتقل إلى أمن الأمة.

=

=

وهنا أقف وقفة مع هذه القضية؛ فإنها قضية مهمة جداً: كانت قريش تعيش حياة الرعب، فلما جاء أبرهة لهدم الكعبة فرت قريش إلى الجبال، وفتحت الطريق أمام عدوها، بغير عقيدة يفتحون الطريق لأعدائهم أن يغزوا بلدانهم! هربت قريش إلى الجبال وتركت الأمر، فمن الذي أنقذ البيت الحرام؟ أنقذه الله سبحانه وتعالى، وذلك بأن أرسل عليهم طيراً أبابيل {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} [الفيل:٤] فكانت تلك الحادثة العظمى إرهاصاً لبعثة محمد ﷺ حيث تحولت مكة إلى بلد آمن؛ لأن جميع القبائل لما سمعوا بقصة ذلك الجيش العرمرم وكيف أن الله أهلكه وقتله شر قتلةٍ صار الواحد منهم يقول: هذا البيت له قدسيته، وهذه الطائفة وهذه القبيلة لأنها تحمي البيت لها مكانتها، فصارت القبائل لا تفكر أبداً بأن تغزو قريشاً ولا أن تنالهم بأذى، ولهذا قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ١ - ٥] فبعد هذه السورة قوله تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ١ - ٤] فتحولت قريش إلى أمان، نعمة من الله سبحانه وتعالى.

فانظر أيها الأخ المسلم! إلى الانتكاسة الفكرية كيف تكون، فحين كانت قريش في أمنها سعيدة وهي على شركها وعلى طغيانها، إذا بمحمد ﷺ يبعثه الله ويرسله صادعاً بالحق يقول لقريش: قولوا لا إله إلا الله.

فماذا صنعت قريش؟ هل استجابت أو أبت؟ رفضت أن تستجيب لرسول الله ﷺ وليس غريباً هذا، وإنما الغريب أنها عللت عدم استجابتها بتعليل عجيب، فماذا قالوا؟ يقول الله تعالى عن قريش: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} [القصص:٥٧] يعني: يا محمد! إن نؤمن بك تهجم علينا القبائل، ويعادوننا ويحاربوننا ويغزون بلادنا ونحن نعيش في أمان، فإن اتبعناك فإن الأمم الكافرة وغيرها تغزونا {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} [القصص:٥٧]، فماذا كان

=

=

الجواب؟ {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} [القصص: ٥٧]، أي: كيف تقولون: (نتخطف من أرضنا) والله هو الذي أعطاكم الأمان؟! فمن أين جاءكم الأمان؟ من الله، وهذا رسول الله، فما جاء به لن يزيد أمانكم إلا أماناً.

وفي زمننا هذا يقول كثيرٌ من الناس: إذا تمسكنا بديننا، وإذا أعلنا الولاء والبراء، وإذا طبقنا شريعتنا؛ حاربتنا الأمم وغزونا وتسلط علينا الكفار وصاروا يحاربوننا ويقاتلوننا ويريدون أن يغزوا بلادنا إلخ. وهي كلمة قريش {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا } [القصص:٥٧]. أيها الأخ المسلم! إن هذه دعوة غير صحيحة، فعقيدة التوحيد هي التي تغرس الأمان من الداخل للأمة كلها، وهي التي تغرس الأمان بإظهار وإبراز الرعب بالنسبة للعدو الخارج، فرسول الله ﷺ يقول: (ونصرت بالرعب مسيرة شهر) والله تعالى يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال:٦٠] عدو بعيد يرعب ما كان يفكر، وإنما خطر بباله أن يغزوكم فيرهب ويصاب بالرعب، وذلك حينما نؤمن بالله سبحانه وتعالى الإيمان الحق.

القاعدة الثانية

الفرار من الكسل إلى التشمير جداً وعزماً

في صحيح ابن حبان، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الْأَسْقَامِ»

العجز: هو عدم القدرة على فعل الشيء.

الكسل: التثاقل عن الفعل مع القدرة عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: الإنسان مندوب إلى استعاذته بالله تعالى من العجز والكسل، فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها" "إعلام الموقعين" (٣/٣٣٦) ووصف ابن القيم هذين الخلقين في "زاد المعاد" (٢/٣٥٨) أنهما "مفتاح كل شر".

الجبن: هو عدم الشجاعة، وأن يمتنع الإنسان عن فعل ما ينبغي عليه فعله خوفاً على نفسه.

البخل: هو منع ما يجب بذله.

قال النووي رحمه الله: "وَأَمَّا اِسْتِعَاذَته ﷺ مِنْ الْجُبْن وَالْبُخْل، فَلِمَا فِيهِمَا مِنْ التَّقْصِير عَنْ أَدَاء الْوَاجِبَات، وَالْقِيَام بِحُقُوق اللَّه تَعَالَى، وَإِزَالَة الْمُنْكَر، وَالْإِغْلَاظ عَلَى الْعُصَاة، وَلِأَنَّهُ بِشَجَاعَةِ النَّفْس وَقُوَّتهَا الْمُعْتَدِلَة تَتِمّ الْعِبَادَات، وَيَقُوم بِنَصْرِ الْمَظْلُوم وَالْجِهَاد، وَبِالسَّلَامَةِ مِنْ الْبُخْل يَقُوم بِحُقُوق الْمَال،

وَيَنْبَعِث لِلْإِنْفَاقِ وَالْجُود وَلِمَكَارِمِ الْأَخْلَاق، وَيَمْتَنِع مِنْ الطَّمَع فِيمَا لَيْسَ لَهُ"

الهرم: كبر السن المؤدي إلى ضعف القوى.

قال النووي رحمه الله: "أَمَّا اِسْتِعَاذَته ﷺ مِنْ الْهَرَم، فَالْمُرَاد بِهِ الِاسْتِعَاذَة مِنْ الرَّدّ إِلَى أَرْذَل الْعُمُر كَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَة الَّتِي بَعْدهَا، وَسَبَب ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ الْخَرَف، وَاخْتِلَال الْعَقْل وَالْحَوَاسّ وَالضَّبْط وَالْفَهْم، وَتَشْوِيه بَعْض الْمَنَاظِر، وَالْعَجْز عَنْ كَثِير مِنْ الطَّاعَات، وَالتَّسَاهُل فِي بَعْضهَا" انتهى.

القسوة: غلظ القلب، وإذا وصف الإنسان بقسوة القلب، فلا ينتفع بالموعظة، ولا يرحم من يستحق الرحمة.

الغفلة: غيبة الشيء عن البال وعدم تذكره.

العيلة: الفقر.

الذلة: الهوان على الناس، ونظرهم إلى الإنسان بعين الاحتقار والاستخفاف به.

المسكنة: قلة المال وسوء الحال.

الشقاق: مخالفة الحق.

النفاق: أن يظهر الإنسان الخير ويبطن الشر.

السمعة: التنويه بالعمل ليسمعه الناس.

الرياء: إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه.

فالسمعة أن يعمل لله خفية ثم يتحدث بها تنويها، والرياء أن يعمل لغير الله.

الصمم: عدم السمع أو ضعفه.

البكم: الخرس وهو عدم الكلام.

الجُذَام: مرض معروف، تتآكل منه الأطراف.

البرص: مرض جلدي معروف.

سيء الأسقام: أي: الأسقام السيئة، الأمراض الفاحشة الرديئة المزمنة (انظر: "فيض القدير" للمناوي (١٢٢/٢)

بعض الفوائد المستنبطة من الحديث

أولا: بيان هدي النبي ﷺ في الدعاء، وكيف أنه كان يستعيذ بالله من الأخلاق السيئة التي تقعد عن العمل، وتبعث على التأخر والكسل، فكان ﷺ يستعيذ بالله أن يصاب بالعجز والكسل، بل يحب أن يبعث الله فيه دائماً الهمة العالية، والحرص على المسابقة في الخيرات.

ثانيا: وفيه: حرص النبي ﷺ على سلامة قلبه وبقائه غضاً نقياً، هيناً ليناً، بعيداً عن القسوة والغفلة والجفاء.

ثالثا: وفي هذا الدعاء يستعيذ النبي ﷺ أيضاً من العيلة والذلة والمسكنة: وهذه الثلاثة من أسباب ضعف الإنسان وقعوده عن العمل الصالح، وقعوده عن عمارة الدنيا بالخير، فالفقر سبب للهم والحزن والدين وانشغال القلب عن الآخرة، والذلة يظهر أثرها على البدن فلا يزداد بها إلا ضعفاً وانكساراً، والمسكنة المستعاذ منها في هذا الحديث المراد بها المقارنة للذلة، فينبغي للمؤمن أن يسأل ربه العزة بالإيمان والعمل الصالح، والقوة على الخير.

رابعا: وفي استعاذته ﷺ من النفاق والسمعة والرياء: دليل على وجوب أن يحرص المؤمن دائماً على تحقيق التوحيد، وتصفيته من الشوائب التي قد تشوبه، فالسمعة والرياء من أنواع الشرك الأصغر التي تحبط الأعمال، وإذا لم ينتبه المؤمن لما قد يتراكم على القلب من هذه الآفات هلك لا محالة.

خامسا: وفي استعاذته ﷺ من الأمراض والأسقام الحسية: كالصمم والبكم والبرص والجذام: دليل على أهمية قوة البدن وسلامته من الأفات، إذ بقوة البدن وسلامته وصحته يستطيع المسلم أن يعبد الله تعالى ويجتهد في عبادته،

وينوع تلك العبادات والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والله أعلم.

***

وقفة مع العجز والكسل

إذا أصيب المرء بالعجز والكسل؛ فاغسل يديك منه.. فالكسل يفوت علينا الفرص التي يصعب تعويضها، ويحرمنا من تحقيق ما نرغب فيه، وبالكسل تتراكم الأعمال حتى يصل المرء إلى العجز عن القيام بها

ومن بذر بذرة «ليت»، نبتت له شجرة «لعل»، يقطف فيها ثمر «الخيبة والندامة» قال الإمام الراغب رحمه الله: "من تعطّل وتبطّل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى".

ومن تعود الكسل ومال إلى الراحة فقد الراحة، وقد قيل: إن أردت ألا تتعب فاتعب حتى لا تتعب، وقيل أيضا: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤد حقا، وإن ضجرت فلن تصبر على الحق.

ولقد ذم الله تعالى الكسل، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٨ – ٣٩].

بل عد سبحانه الكسل من صفات المنافقين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً} [النساء: ٧١ – ٧٢].

يقول ابن القيم رحمه الله في (زاد الميعاد): "والكيس هو مباشرة الأسباب التي ربط الله بها مسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده فهذه تفتح عمل الخير، وأما العجز فإنه يفتح عمل الشيطان، فإنه إذا عجز عما ينفعه وصار إلى الأماني الباطلة بقوله لو كان كذا وكذا، ولو فعلت كذا، يفتح عليه عمل الشيطان فإن بابه العجز والكسل، ولهذا استعاذ النبي ﷺ منهما، وهما مفتاح كل شر ويصدر عنهما الهم، والحزن، والجبن، والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال، فمصدرها كلها عن العجز والكسل وعنوانها (لو) فلذلك قال النبي ﷺ «فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» فالمتمني من أعجز الناس وأفلسهم، فإن التمني رأس أموال المفاليس، والعجز مفتاح كل شر.

وأصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فيقع في المعاصي، فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته ﷺ أصول الشر وفروعه ومباديه وغاياته وموارده ومصادره، وهو مشتمل على ثماني خصال كل خصلتين منها قرينتان، فقال «أعوذ بك من الهم والحزن» وهما قرينان، فإن المكروه الوارد على القلب ينقسم باعتبار سببه إلى قسمين:

- فإنه إما أن يكون سببه أمرا ماضيا، فهو يحدث (الحزن)
- وإما أن يكون توقع أمر مستقبل فهو يحدث (الهم)، وكلاهما من العجز

فإن ما مضى لا يدفع بالحزن، بل بالرضا والحمد والصبر والإيمان بالقدر وقول العبد قدر الله وما شاء فعل.

وما يستقبل لا يدفع أيضا بالهم، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه فلا يعجز عنه، وإما أن لا تكون له حيلة في دفعه فلا يجزع منه ويلبس له لباسه ويأخذ له عدته ويتأهب له أهبته اللائقة به ويستجن بجنة حصينة من التوحيد والتوكل والانطراح بين يدي الرب تعالى، والاستسلام له والرضا به ربا في

كل شيء، ولا يرضى به ربا فيما يحب دون ما يكره، فإذا كان هكذا لم يرض به ربا على الإطلاق، فلا يرضاه الرب له عبدا على الإطلاق، فالهم والحزن لا ينفعان العبد البتة بل مضرهما أكثر من منفعتهما، فإنهما يضعفان العزم ويوهنان القلب ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ويقطعان عليه طريق السير أو ينكسانه إلى وراء أو يعوقانه ويقفانه أو يحجبانه عن العلم الذي كلما رآه شمر إليه وجد في سيره فهما حمل ثقيل على ظهر السائر".

ينبغي أن نسقط العبارات التالية من قاموس حياتنا:

o لقد فاتني القطار!

o لم يعد في العمر متسع.. لقد شخت وتعذّر القيام بذلك.

o ما فائدة العمل الآن.. لقد ضاعت فرص كثيرة.. إنّ الحظّ يعاكسني دائماً.

o لقد سبقني إلى ذلك كثيرون.. لم يعد لي مكان.

o جرّبت وفشلت لا داعي لتكرار التجربة.

علينا أن نستبدل تلك العبارات بالعبارة التالية: «هناك دائماً وقت للعمل قبل الموت».

- اجعل قلبك دائم الثأر من عدوه الذي يستحثه على الخمول.. أيقظ في داخلك نداء الانتباه والنشاط، ولا تتنازل عن تثبيت دعائمه، وإياك أن تُبقى خزانة أعمالك وإنجازاتك فارغة.

- من الحالات التي قد يصاب بها المرء بعد إنجازه للأعمال -وخصوصاً تلك التي يبذل فيها جهداً كبيراً- الفتور والتراخي عن مواصلة بذل الجهد، وبالتالي الوقوع في الفراغ، والانخداع بالوقت، وهذه من الحالات التي ينبغي للجادين الانتباه إليها، لتلافي الوقوع في براثنها

فالقاعدة الثانية من قواعد اللعبة مع إبليس

الفرار من الكسل إلى التشمير جداً وعزمـًا

ترك التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها

يترك الصلاة: وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في سنن ابن ماجة، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ.

لا يخرج زكاة ماله: وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في صحيح مسلم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» وفي سنن أبي داود، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «فِى كُلِّ سَائِمَةِ إِبِلٍ فِى أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَلاَ يُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا » قَالَ ابْنُ الْعَلاَءِ «مُؤْتَجِرًا بِهَا» «فَلَهُ أَجْرُهَا وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَىْءٌ».

يؤخر الحج وهو قادر: وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في سنن ابن ماجة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ، فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ ".

يتأخر عن صلاة الجمعة بل إن البعض يتركها: وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في المعجم الكبير للطبراني، عَنْ أُسَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ) (صحيح الجامع ٦١٤٤).

يتأخر عن صلاة الجماعة، وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ "، أي: لو كان يعلم أن المسجد فيه لحم يُوزّع أو طعام يؤكل لجاء إلى العشاء ولحضر إلى المسجد من أجل أن يحصّل هذا الطعام في المسجد (فتح الباري لابن رجب (٤/١٣) العرق: بضعة اللحم السمين عَلَى عظمة، والمرماتان، قيل: هما السهمان. وقيل: هما حديدتان من حدائد كانوا يلعبون بهما، وهي ملس كالأسنة... قَالَ أبو عُبَيْدِ: يقال: إن المرماتين ظلفا الشاة. قَالَ: وهذا حرف لا أدري مَا وجهه، إلا أن هَذَا تفسيره. ويروى المرماتين -بكسر الميم وفتحها-: ذكره الأخفش).

يتكاسل عن التبكير إلى المساجد: وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا"، والتَّهْجير التَّبْكِير إِلَى الصَّلَاة أَيّ صَلَاة كَانَتْ.

يتكاسل عن إدراك تكبيرة الإحرام: وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في سنن الترمذى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِى جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»

يتكاسل عن فعل السنن الرواتب، وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في سنن الترمذى، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ صَلَّى فِى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ»

يتكاسل عن قيام الليل، وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في سنن الترمذى، عَنْ بِلاَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ».

يتكاسل عن صلاة الضحى ولا تخطر له ببال: وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في صحيح مسلم، عَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْىٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى».

لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه ولا تعويض ما فاته:

- وفي سنن النسائي، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ صَلَّى فِى بَيْتِهَا بَعْدَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَأَنَّهَا ذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ «هُمَا رَكْعَتَانِ كُنْتُ أُصَلِّيهِمَا بَعْدَ الظُّهْرِ فَشُغِلْتُ عَنْهُمَا حَتَّى صَلَّيْتُ الْعَصْرَ».

- وفي سنن النسائي، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ (صحيح الجامع ١٢٢٨).

- وفي سنن أبي داود، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلاَةً دَاوَمَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ مِنَ اللَّيْلِ بِنَوْمٍ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وفي سنن الترمذى، عنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ صَلاَّهُنَّ بَعْدَهُ (صحيح سنن الترمذي رقم ٣٥٠)

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في صومه ﷺ شعبان أكثر من غيره ثلاث معان أولها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما شغل عن الصيام أشهراً فجمع ذلك في شعبان ليدركه قبل صيام الفرض "أي رمضان" تهذيب سنن أبي داود ٣/٣١٨، وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فلما فاته الاعتكاف مرة لعارض السفر اعتكف في العام المقبل عشرين يوماً (فتح الباري ٤/٢٨٥)

لا يهتم بحضور الجنازة ولا الصلاة عليها: وقد قال رَسُولُ الله ﷺ كما في صحيح مسلم أن أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّى عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً.

يتكاسل عن صلاة ركعتي التوبة: في سنن أبي داود، قال عَلِيّ رضي الله عنه: كُنْتُ رَجُلاً إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِى اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِى وَإِذَا حَدَّثَنِى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِى صَدَّقْتُهُ قَالَ وَحَدَّثَنِى أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

يتكاسل عن صلاة الاستخارة: وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في صحيح البخاري، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ، وَلاَ أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ، وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ".

***

محنة يشتكي منها كثير من إخواننا

ويسأل البعض فيقول: أقرأ في سير السلف فأرى جدهم في العبادة، فأحاول أن أقلدهم لكن سرعان ما تفتر همتي، فما هو السبب؟ أريد كلما قرأت شيئاً عن السلف أن أكون مثلهم في الجد والعبادة، مثلاً:

أبو مسلم

كان يصلي من الليل، فكلما تعبت قدماه كان له عكاز –عصا– يتعكز عليه، وكلما أدركه الفتور والتعب وأحس أن قدميه عجزتا عن حمله، يأخذ العصا ويضرب رجليه، ثم يقول:

والله إنكما أحق بالضرب من دابتي، أيظن أصحاب محمد ﷺ أنهم لم يخلفوا بعدهم رجالاً؟! والله لأزاحمنهم على الحوض

ثم يقوم يستأنف الصلاة، فإذا قرأ القارئ منا مثل هذه الحكاية، وقام يريد أن يصلي ويطيل في الصلاة، فبعد نحو نصف ساعة يشعر بالملل ويشعر أن الألم بدأ يدب في ساقيه، ثم سرعان ما يفتر وهو متألم أنه لم يكن كـــ أبي مسلم، ثم يسأل: ما هو السبب في هذا الفتور؟

السبب في أن عزمنا ينفسخ، ولا نستطيع أن نقلد أسلافنا

أن الدين على ثلاثة أنحاء

إسلام، وإيمان، وإحسان

اجتناب للمحرمات، وفعل للواجبات والمستحبات

أبو مسلم -الذي ضرب رجليه بالعصا، وهب منتفضاً كله عزم ونشاط ليواصل الصلاة- تمم الواجبات واجتنب المحرمات ؛ فسهل عليه أن يصل إلى درجة الإحسان، لكن بعضنا مقصر في الواجبات، ملابس للمحرمات، لكن يدركه علو الإيمان في فترة من الفترات، فيقرأ مثل هذه الحكايات فيريد أن يرتفع، فإذا بالأغلال تشده.

من أراد أن يكون كهؤلاء السلف فليتمم أبواب الواجبات، وليكف عن أبواب المحرمات؛ ليصل تلقائياً إلى درجة الإحسان، لذلك يسيخ عزمنا بسرعة؛ للفرق الذي بيننا وبينهم

الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي

الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهو أحد الأئمة المجتهدين، وكان له مذهب مثل مذاهب الأئمة الأربعة، لأن المذاهب الفقهية ليست محصورة في أربعة مذاهب: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي لا، المذاهب الفقهية كانت

كثيرة، كان هناك مذهب لـــ سفيان الثوري، وكان هناك مذهب لـــ سفيان بن عيينة، وكان هناك مذهب لـــ إسحاق بن راهويه، وكان هناك مذهب لـــ داود بن علي، وكان هناك مذهب للإمام الأوزاعي -الذي هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي- وكان عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي من أقران الإمام مالك، فـــ مالك كان في المدينة و الأوزاعي كان في الشام، وكان الأوزاعي جليلاً كبيراً، عظيماً معظماً عند العلماء، وكان الإمام مالك رحمه الله يقول: لا زال أهل الشام بخير ما بقي فيهم الأوزاعي.

وسفيان الثوري لما رأى الأوزاعي في السوق يركب دابته أخذ سفيان الثوري بلجام دابة الأوزاعي يسله من الزحام، وهو يقول: أوسعوا لبغلة الشيخ.

وجاء رجل لـــ سفيان الثوري وقال: يا أبا محمد! رأيت كأن وردة خرجت من أرض الشام إلى السماء، قال: ويحك! لو صدق ما تقول فإن الأوزاعي قد مات، فجاءه نعي الأوزاعي في آخر النهار.

كان هذا الإمام الكبير قواماً بالليل، تالياً لكتاب الله عز وجل، سريع الدمعة، غزير العبرة، حتى قال مترجموه:

إن أجفانه ذبلت من البكاء، فكان إذا صلى بالليل وأراد أن يخرج اكتحل، وشد أشفار عينيه حتى لا يظهر هذا الذبول

أيوب بن أبي تميمة السختياني

وهو من طبقة الإمام مالك أيضاً، وإن كان أكبر منه في السن- كان إذا ذكر بالله عز وجل جرت العبرة من عينه فتخللت أنفه، فكان إذا شعر بذلك قال:

سبحان الله! ما أشد الزكام!

حتى لا يسأل عن هذا الماء الذي يتساقط من أنفه، أنت إذا أردت أن تصل إلى مثل هذا كيف تصل وقد لابست بعض المحرمات؟! فهذه الأخبار وردت

عن التابعين، والصور في حال الصحابة أجل وأعظم! عبد الله بن عمرو بن العاص لولا صحة الأسانيد إلى حكايته ما كاد المرء أن يصدقها، عبد الله بن عمرو بن العاص كان يختم القرآن كل ليلة، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: (جمعت القرآن على عهد النبي ﷺ فكنت أختمه كل ليلة) وكان رضي الله عنه شديد الاجتهاد في العبادة، وكان يشتاق للصلاة، فلما تزوج ترك امرأته وقام يصف قدميه لله عز وجل، حتى عتب عليه النبي ﷺ هذا الجد في العبادة، وهذا الجد في الصيام، فقد كان يصوم كل يوم، ويختم القرآن.



القاعدة الثالثة

الفرار من الضيق إلى السعة ثقة ورجاءً

وهذا هو نهاية المطاف (من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ثقة ورجاءً) إذ أنك فررت إلى الله عز وجل، وهذا الفرار إلى الله ترجمه الصحابة -أيضاً-: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات:٥٠] تعلموها واستخدموها حتى في كلامهم.

- روى الإمام البخاري ومسلم من حديث عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»

- وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس ﷺ لما وقع الطاعون أيام عمر بن الخطاب أراد عمر ألا يدخل الأرض التي هو فيها، فقال له أبو عبيدة: (يا عمر! أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ قال: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ) فهذا هو معنى: (لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك) (نفر من قدر الله إلى قدر الله).

- وفي سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد من حديث عدي بن حاتم قال: كنت بالعقرب -العقرب هذا اسم مكان متاخم لأرض الروم- وذلك لأنه لما انتشر الإسلام وعم الجزيرة، هرب عدي بن حاتم من الإسلام، وخاف أن يسلم، وهذا كحال بعض الناس فهو يخاف أن يقتنع بما عندك فيتحاشاك.

فالرجل لا يجلس معك خشية من أن يقتنع، كما فعل عدي بن حاتم، فلما هرب إلى مكان اسمه العقرب والرسول ﷺ أرسل خيله في غزوة، فأخذوا من ضمن السبايا عمة عدي بن حاتم، فأرسلوا إليه في العقرب وقالوا: إن الرسول ﷺ سبى عمتك.

قال: فقلت في نفسي: فلآتينه، فإن عرض علي أمراً والله لا يخدعني، إن وجدت كلامه حسناً قبلته وإلا لم أقبل، يعني: هو منَّى نفسه وجاء من العقرب.

وقبل أن يجيء اعترضت المرأة العجوز رسول الله، وقالت: (يا رسول الله! والله ما بي من خدمة -يعني: أنها من السبي وستقع في نصيب واحد من الصحابة وستبقى أمة، وهي عجوز لا تقوى على الخدمة- منَّ عليَّ منَّ الله عليك -يعني قل: أنت حرة لوجه الله- قال: وَمَنْ وَافِدُكِ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: أَيِ الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فجاء عدي بن حاتم فقال: يا عدي بن حاتم! "مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟" فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ، وَقَالَ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ الْيَهُودُ وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى» فانظر إلى قوله: (مَا أَفَرَّكَ) ثم إلى قوله: (الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ).

فالصحابة كانوا يعرفون أنهم إنما يفرون من الله إليه: { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: ٤٩، ٥٠]

فمن هذا نفر نفر من الله عز وجل ومن عذابه، كما قال ابن عباس: (نفر من معصيته إلى طاعته، ومن سخطه إلى رضاه) وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) فالمهاجر من السيئة إلى الحسنة فار إلى الله عز وجل.

الفرار من الضيق من ضيق النفس بالهموم والآلام والأحزان ومن ضيق الدنيا بالفتن والشهوات والشبهات إلى السعة، أين السعة؟

عند ربي جل و علا، لن تجد سعة إلا عند الله لن تجد بركة ورحمة وفضلا وفيضا إلا عند الله من الضيق إلى السعة ثقة في الله جل وعلا ورجاء فيما عنده من فضل وأجر.

ومن أحسن كلام العامة قولهم:

لا هم مع الله

قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣] قال الربيع بن خثيم: "يجعل له مخرجا من كل ما ضاق على الناس" وقال أبو العالية: "مخرجا من كل شدة وهذا جامع لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة فإن الله يجعل للمتقي من كل ما ضاق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا" وقال الحسن: "مخرجا مما نهاه عنه" {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} أي كافي من يثق به في نوائبه ومهماته يكفيه كل ما أهمه و(الحسب) الكافي {حَسْبُنَا اللَّهُ} كافينا الله.

وكلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه: فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبتة فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة فإنه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به.

***

الله -سبحانه- يحب أن يجبُر عباده

- في غزوة "حنين"، هناك نفوس ضعيفة تعاظمت بالفتح وشعرت بالقوة، وخرج مَن يقول: "لن نغلب اليوم من قلة"! فقال الله -عز وجل- {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} [التوبة: ٢٥] فحصل الانكسار في أول المعركة، وفي آخرها جبر الله المؤمنين، وهذا فضله ورحمته بعباده -عز وجل- إذ يبتليهم بالمصائب فيكسرهم، ثم يجبر كل كسير.

- قال الله تعالى {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣] فقد طلب سيدنا موسى نوعا من العبودية ولكنه لم ينفذ، وتليها الآية { قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأعراف: ١٤٤] إن لم تحصل على هذا الطلب فتحصل على شيء آخر "كليم الرحمن" إن حُرمت من عبادة، فسوف يجبر الله العُبَّاد بمنحهم عبادة أخرى.

***

فإذا عرفت خصمك وعرفت كيف تواجهه وسبب هزيمتك والقاعدة الأساسية في اللعبة، فمتى النتيجة؟؟!!



عناصر الفصل الخامس

قواعد أساسية في مَلْحَمَةَ الشِّطْرَنْج

أسلحة لقهر الشيطان وغلبته

العلم ـ الجد ـ اليقين

القاعدة الأولى

الفرار من الجهل إلى العلم قصدا وسعيا

الأمر الأول: الله أمرك بالتعلم

تعريف العلم

الأمر الثاني: الجهل نوعان، وكلاهما يدخل منه الشيطان ليضل ابن آدم

الأمر الثالث: أول ما تبدأ في تعلمه أن تتعلم علم العقيدة

لا إله إلا الله طمأنينة قلب العبد وراحته

لا إله إلا الله تحرر العبد من العبودية لغير الله تعالى

الأمن العام للأمة

القاعدة الثانية

الفرار من الكسل إلى التشمير جداً وعزمًا

في صحيح ابن حبان، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

وقفة مع العجز والكسل

ينبغي أن نسقط العبارات التالية من قاموس حياتنا

علينا أن نستبدل تلك العبارات بالعبارة التالية

ترك التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها

- يترك الصلاة
- لا يخرج زكاة ماله
- يؤخر الحج وهو قادر
- يتأخر عن صلاة الجمعة بل إن البعض يتركها
- يتأخر عن صلاة الجماعة
- يتكاسل عن التبكير إلى المساجد
- يتكاسل عن إدراك تكبيرة الإحرام
- يتكاسل عن فعل السنن الرواتب
- يتكاسل عن قيام الليل
- يتكاسل عن صلاة الضحى ولا تخطر له ببال
- لو فاتته سنة راتبة أو وِرْد من أوراده فإنه لا يرغب في قضائه ولا تعويض ما فاته
- لا يهتم بحضور الجنازة ولا الصلاة عليها
- يتكاسل عن صلاة ركعتي التوبة
- يتكاسل عن صلاة الاستخارة

محنة يشتكي منها كثير من إخواننا: سرعان ما تفتر همتي (أبو مسلم)

السبب في أن عزمنا ينفسخ، ولا نستطيع أن نقلد أسلافنا

أن الدين على ثلاثة أنحاء (إسلام، وإيمان، وإحسان)

اجتناب للمحرمات، وفعل للواجبات والمستحبات

- الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
- أيوب بن أبي تميمة السختياني

القاعدة الثالثة

الفرار من الضيق إلى السعة ثقة ورجاءً

الصحابة كانوا يعرفون أنهم إنما يفرون من الله إليه

أين السعة؟

لا هم مع الله

الله -سبحانه- يحب أن يجبُر عباده

الفصل السادس

نتيجة الملحمة تظهر في الخاتمة؟؟!!

المهم بالنسبة لإبليس الخاتمة

ولكن إبليس لا يهمه شيء، المهم بالنسبة إليه الخاتمة، وهو ماهر –كما بينا– في جمع خشبة من هنا ومن هناك ليصنع ذلك الحصان الخشبي المتروك عند أسوار المدينة المحاصرة، وعندما يرحل الجيش عن الأسوار يفرح أهل المدينة بفك الحصار وبالحصان الجميل (الغنيمة) ويدخلونه المدينة مستبشرين بالنصر، معتبرين الحصان رمزا لصمودهم وانتصارهم، جاهلين أنه مجوف وفي داخله يقبع الجنود الذين سيخرجون ليلا من الحصان ويفتحون الأسوار للعدو العائد على الأبواب

حرص الشيطان على أن يختم للإنسان بسوء الخاتمة: إذا عجز الشيطان عن هذه الأشياء كلها فإنه لا يضع رجلاً على رجل، ويترك –كما يقولون– الحبل على الغارب، بل يظل يجاهد الإنسان حرصاً على سوء الخاتمة والعياذ بالله

***

الأعمال بالخواتيم

في صحيح البخارى، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا" فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ،

فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا "، قَالَ اِبْنُ أَبِي جَمْرَةَ نَفَعَ اللَّه بِهِ: "هَذِهِ الَّتِي قَطَعَتْ أَعْنَاق الرِّجَال مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ حُسْن الْحَال لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَاذَا يُخْتَم لَهُمْ" فلو صام الإنسان يوماً طويلاً، وقبل المغرب بوقت قليل شرب الماء، لبطل صوم يومه، وكذلك قبل أن يسلم من صلاته، لو أحدث لبطلت صلاته.

***

الخواتيم ميراث السوابق

بمعنى: أن الخواتيم نتيجة عادلة لما سبق في حياتك من أعمال الخير أو الشر، **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله**: "لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه"، إن عشت على الطاعة فيقتضي عدل الله جل وعلا أن تموت على طاعة، وأن تبعث على ذات الطاعة، وإن عشت على المعاصي فيقتضي عدل الله إن لم تتب إليه منها وتعترف له بفقرك وجرمك أن تموت على ذات المعصية، وأن تبعث يوم القيامة على ذات المعصية، فالعبرة بالخواتيم، والخواتيم ميراث السوابق.

***

أما أهل الغفلة

فسوء الخاتمة لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فهذا لم يسمع به، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه اعتقاداً، وظاهره عملاً، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، وقد يظهر من

المحتضر ما يدل على سوء خاتمته، مثل: النكول عن نطق الشهادتين ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلق بها.

فرعون وسوء خاتمته

وإن من أمثلة سوء الخاتمة التي ذكرت لنا في القرآن العظيم ما حصل عند هلاك الطاغية فرعون، لما قاده الله سبحانه وتعالى بقدرته مع جنوده الكفرة لاتباع موسى وقومه، فدخلوا وراءهم في البحر بعدما هاب فرعون الدخول وهم بالرجوع، ولكن هيهات ولات حين مناص، نفذ القدر، واستجيبت الدعوة، ولم يملك من نفسه إلا الدخول، فتجلد لأمرائه، وأظهر الشدة والجرأة، وقال: ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا، فاقتحموا كلهم عن آخرهم، فلما توسطوا في البحر وتكاملوا فيه، أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم، فلم ينج منهم أحد، فجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت، فقال وهو على تلك الحال: {قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٩٠] فآمن حيث لا ينفعه الإيمان، ولهذا قال الله: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٩١] ولما شك بعض بني إسرائيل في موته، أمر الله البحر أن يلقيه جسداً سوياً بلا روح: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ} [يونس: ٩٠] إذا نزل الموت، لا تفيد التوبة، إذا غرغر العبد أغلق باب التوبة: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: ٩٠-٩٢] وجعل جبريل عليه السلام يدس من زبد البحر في فم

فرعون مخافة أن تدركه رحمة الله تعالى، فلم يتمكن من الشهادة قبل نزول الموت، ولم يعرف التوحيد ويقر به، ويظهر ذلك عليه إلا بعد نزول الموت، فلم ينفعه ذلك.

سوء خاتمة عضد الدولة

وقد حدثتنا كتب التاريخ الإسلامية عن نماذج من الطواغيت، وماذا فعل الله بهم بعد تجبرهم، ومن ذلك الذي كان يسمى بعضد الدولة، ذكر ابن كثير رحمه الله قصته في البداية والنهاية: خرج مرة إلى بستان له، فقال: أود لو جاء المطر، فترل المطر -والله يمهل، وكانت فتنة لهذا الرجل- فترل المطر، فأنشأ يقول:

ليس شرب الراح إلا في المطر وغناءٌ من جوار في السحر
غانيات سالبات للنهى ناعماتٌ في تضاعيف الوتر

غناء ووتر وأوتار وأغاني.

راقصات زاهرت مجلٌ رافلات في أفانين الحبر
مطربات غنجاتٌ لحنٌ رافضات الهم آمال الفكر
مبرزات الكأس من مطلعها مسقيات الخمر من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها مالك الأملاك غلاب القدر
سهل الله إليه نصرهم في ملوك الأرض ما دام القمر
وأراه الخير في أولاده ولباس الملك فيهم بل غرر

قال ابن كثير رحمه الله: قبحه الله وقبح شعره وقبح أولاده، فإنه اجترأ في أبياته هذه، فلم يفلح بعدها، فيقال: إن بدأ أخذه كان حين قوله: غلاب القدر، أخذه الله فأهلكه، فتمثل عند موته بأبيات، وانظروا الفرق بين هذه الأبيات والتي قبلها، وفيها كلمة الرمق وهو التراب العالق في الماء:

تمتع من الدنيا فإنك لا تبقى　　وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرمقا
ولا تأمنن الدهر إني أمنته　　فلم يبقِ لي حالاً ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال فلم أدع　　عدواً ولم أمهل على ظنه خلقا
وأخليت دور الملك من كل بازلٍ　　وشتتهم غرباً ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعةً　　ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقاً
رماني الردى سهماً فأخمد جمرتي　　فهاأنا ذا في حفرتي عاجلاً ملقى
فأفسدت دنياي وديني سفاهةً　　فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى　　إلى رحمة الله أم ناره ألقى

فهكذا حصل من هذا الذي قال عن نفسه: مالك الأملاك غلاب القدر، قال: فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ملقى، وجعل يكرر هذه الأبيات، ثم جعل يكرر قوله تعالى: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: ٢٨، ٢٩] {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: ٢٨،٢٩] حتى مات.

وهكذا كان لأصحاب السلطان وقفات عند الموت كما حصل لبعض الخلفاء لما احتضر، سمع غسالاً يغسل الثياب، فقال: ما هذا؟ قالوا: غسال، قال: يا ليتني كنت غسالاً أكسب ما أعيش به يوماً بيوم و لم ألِ الخلافة، ثم قال:

لعمري لقد عمرت في الملك برهةً　　ودانت لي الدنيا بوقع البواسلِ
وأعطيت حمر المال والحكم والنهى　　ولي سلمت كل الملوك الجبابرِ
فأضحى الذي قد كان مما يسرني　　كحل مضى في مزمنات الغوابرِ
فيا ليتني لم أعنِ بالملك ليلةً　　ولم أسع في لذات عيش النواظرِ

وقيل لبعض هؤلاء من أصحاب السلطان في مرض الموت: كيف تجدك؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام: ٩٤]

عبد الملك بن مروان وخاتمته

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر عبد الملك، أمر بفتح أبواب قصره، فلما فتحت، سمع قصاراً بالوادي، فقال: ما هذا؟ قالوا: قصار! فقال: يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله، قال: "الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا، ولا نفر إليهم" ولما حضره الموت، جعل يندم ويندب، ويضرب بيده على رأسه ويقول: وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم، واشتغلت بعبادة ربي عزَّ وجلَّ وطاعته، ولما حضرته الوفاة، دعا بنيه فوصاهم، ثم قال: الحمد لله الذي لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً، ويروى أنه قال: ارفعوني، فرفعوه حتى شم الهواء، ثم قال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا بك لفي غرور، ذكر القصة ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية.

أينما بنوا من القصور خلوها والتحقوا بالقبور

أينما غرسوا من الزرع تركوه وولوا حيث لا رجع

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ: ٥٤]

ولما حضرت أحد السلاطين الوفاة، جعل يقول: {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤] وجعل يقول: لو علمت أن عمري قصير ما فعلت، وجعل يقول: ذهبت الحيل، فلا حيلة.

***

سوء الخاتمة لأهل البدع والكفر

وأما أهل البدعة، فإنه يحضرهم من السوء عند موتهم ما الله به عليم، وهذه قصة فيها عبرة لأحد هؤلاء الذي كان يسمى إسماعيل بن محمد بن أبي يزيد أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد، كان من الشعراء المشهورين، ولكنه كان باطنياً خبيثاً، ومبتدعاً غثيثاً من أهل الرفض والكفر المحض، وكان ممن يشرب الخمر، ويقول بالرجعة -أي: بعد الموت سيكون رجوع إلى الدنيا، ثم موت ورجوع ثم موت ورجوع- وهكذا يعتقد هؤلاء، قال يوماً لرجلٍ من أهل السنة: أقرضني ديناراً ولك عندي مائة دينار إذا رجعنا إلى الدنيا، فقال له الرجل: إني أخشى أن تعود كلباً أو خنزيراً فيذهب ديناري، وكان قبَّحه الله يسب الصحابة في شعره، قال الأصمعي: ولولا ذلك ما قدمت عليه أحداً في طبقته، ولما حضرته الوفاة، اسود وجهه عند الموت، وأصابه كربٌ شديدٌ جداً، ولما مات، لم يدفنوه لسبه الصحابة ﷺ وهكذا يكون أهل الكفر وأهل البدعة عند الموت في أشنع موقف وأسوئه.

***

قصص بعض الظلمة ومحبي الدنيا عند الموت

أيها الإخوة: لقد كان للظلمة مع الموت موعد، والله عزَّ وجلَّ يمهل ولا يهمل، ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير دعا عليه، فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً، فكان إذا نام يراه في منامه آخذاً بمجامع ثوبه، يقول: يا عدو الله! لم قتلتني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ ما لي ولسعيد بن جبير؟ وهكذا أخبر بعض من حضر أنهم سمعوه يقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ عند وفاته، قبحه الله.

وأما أصحاب الدنيا المنشغلون بالأموال، فإن للموت معهم موعداً أيضاً، فإن كانوا قد اشتغلوا بالمال عن عبادة الله، وألهتهم الدنيا عن طاعته، فإن سوء الخاتمة نذير شديد:

- قال ثابت البناني رحمه الله: كان رجلاً عاملاً للعمال، فجمع ماله، فجعله في سارية، فلما حضرته الوفاة، أمر به، فنثر بين يديه، فجعل يقول: يا ليتها كانت بعراً، يا ليتها كانت بعراً، يا ليتها كانت بعراً.

- وقيل لأحد المحتضرين: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلاني اعملوا فيها كذا.

- وذكر ابن القيم رحمه الله عن أحد التجار أن أحد قرابته احتضر وهو عنده، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيد، حتى قضى نحبه.

- وسمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول: {يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ } [الزمر: ٥٦]

- قال أحدهم عند احتضاره: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي.

***

قصص محبي الغناء وجلساء السوء عند الموت

- قيل لأحد الناس عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آهٍ آهٍ! لا أستطيع أن أقولها، وكان رجلٌ يجالس شراب الخمر، فلما حضرته الوفاة، جاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني، ثم مات.

- وذكر ابن القيم رحمه الله أن رجلاً حضرته الوفاة، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، وقيل لأحد المحتضرين: قل لا إله إلا الله، فقال: وما يغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة، و لم يقلها.

- صحب رجل الأخيار فترة من الزمن، فصلح أمره، وظهر ذلك في مظهره وثوبه ولحيته، ولكن في يوم من الأيام صحب الأشرار لينفثوا سمومهم في عقله وقلبه، وليدعوه إلى كل شر ورذيلة، وليغرسوا في قلبه بغض الصالحين ومجالسهم، وأخرجوه معهم إلى رحلة برية، وفي أثناء الطريق انقلبت بهم السيارة وماتوا جميعاً، وحضر الناس ليشاهدوا الحادث، وإذا بهم يعرفون هذا الرجل بعد موته قد حلق لحيته التي أطلقها مدة من الزمن، وأسبل ثوبه الذي قصره فترة من الوقت، ووجدوا بجواره كأس الخمر بعد معاقرته لها، لقد مات وهو مخمور بها، ولقي الله وهو سكران، كم من دمعة قطرت على هذه الخاتمة السيئة؟ فهل من قلوب واعية وآذان صاغية؟

- يقول أحد الأشخاص: في أثناء عملنا توقفت أنا وزميلي على جانب الطريق نتجاذب أطراف الحديث، وفجأة سمعنا صوت ارتطام قوي فأدرنا أبصارنا، فإذا بها سيارة مرتطمة بأخرى كانت قادمةً من الاتجاه المقابل، هببنا مسرعين إلى مكان الحادث لإنقاذ المصابين، حادث لا يكاد يوصف، شخصان في السيارة في حالة خطيرة، أخرجناهما من السيارة ووضعناهما ممدودين، أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية الذي وجدناه قد فارق الحياة، عدنا إلى الشخصين، فإذا هما في حال الاحتضار، هبَّ زميلي يلقنهم الشهادة، قولوا: لا إله إلا الله، لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء يرددان أغنية كانا يستمعان إليها قبل الحادث، أرهبني الموقف وهالني الأمر، وكان زميلي على عكسي يعرف أحوال الموتى، وأخذ يعيد عليهما الشهادة، فما استطاعا نطقها، بل أخذا يغنيان، ومن حضر من الناس يسمعهما ليشهدا عليهما يوم الفضائح، واستمرا على ذلك حتى ماتا، وما استطاعا أن ينطقا بلا إله إلا الله.

قصص سوء الخاتمة لأهل الغناء كثيرة حتى أن بعضهم عند الغرغرة ربما لعن الدين وتبرأ من الصلاة.

***

أما أهل اليقظة

سؤالُ الله حُسنَ الخاتمة:

- قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في ترجمة أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن حسن بن مفرج بن بكار النابلسي رحمه الله: كان يقول أشتهي أن أموت وأنا ساجد فرزَقه الله ذلك.

- وجاء في ترجمة محمد منصور الراجحي رحمه الله أنه كان كثيرًا ما يدعو الله أن يموت تحت حوافر الخيل؛ أي: في الجهاد، فمات بمكة في الزحام أثناء السعي تحت أقدام الحجاج.

- قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: كان السلف يرون أن مَن مات عقيب عملٍ صالح؛ كصيام رمضان، أو عقيب حج أو عمرة - أنه يُرجى له أن يدخل الجنة".

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يُبعثُ كُلُّ عبدٍ على ما مات عليه) أخرجه مسلم، فهنيئًا لمن مات أثناء قيامه بعمل صالح

من مات بعد أن تشهَّد

- عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة) أخرجه أبو داود، وممَّن مات بعد أن تشهَّد:

الشيخ إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزي، المعروف بابن قرقول، رحمه الله، حضرتْه الوفاة، فتلا سورة الإخلاص، وجعل يكرِّرها، ثم تشهَّد، وسقط على وجهه ساجدًا ميتًا.

- الإمام إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله -أخو الحافظ عبد الغني- لَمَّا جاءه الموت، جعل يقول: يا حي يا قيُّوم، برحمتك أستغيثُ، واستقبَل القبلة وتشهَّد ومات.

- الإمام أحمد بن أبي بكر بن منصور بن عطية الإسكندري رحمه الله، لَمَّا احتُضِر كرَّر الشهادة، ومات.

- الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله، كان آخر كلامه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، اللهم اجعَلني مِن التوابين، واجعلني من المتطهرين.

- الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن صالح المرشد المرشدي رحمه الله، توفِّي وهو محرِمٌ للحج يوم التروية، لم يسمعوا منه سوى نُطقه بالشهادتين.

- والشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله، أُغمِي عليه في آخر حياته، ثم أفاق، وسلَّم على من حوله من أولاده وأقاربه، وعرفهم، ثم تشهَّد ومات.

- والشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان رحمه الله، استقبل القبلة، وتشهَّد الشهادة كلمة التوحيد، وفاضت رُوحُه.

- والشيخ محمد بن سعيد رحمه الله، عندما جاءت ساعات موته، أخذ يَستغفر ويكرِّر: لا إله إلا الله، حتى فارَق الحياة وله مِن العمر مائة سنة وزيادة سنتين.

من مات وهو يقرأ القرآن الكريم

- شاب توفاه الله وهو يقرأ القرآن: يقول أحدهم في المقابل: حضرت إنساناً يحتضر في حادث سيارة، وحملناه معنا، وقمنا بالاتصال بالمستشفى، وجدناه شاباً في مقتبل العمر صاحب دين وتقوى، يبدو ذلك من مظهره، وقمنا بإسعافه وحملناه، وإذا بنا نسمعه يهمهم ولا نفقه ما يقول، أرخينا مسامعنا،

فوجدناه يقرأ القرآن بصوت ندي كأنه ليس مصاباً، واستمر في قراءته، ثم رفع إصبعه السبابة يتشهد، وسكت الصوت بعد ذلك ليختمها بكلمة التوحيد، واتصل أحد الموظفين في المستشفى بمنزل المتوفى وكان المتحدث أخوه، قال عنه: إنه يذهب كل يوم اثنين لزيارة جدته وهي وحيدة في القرية، وكان يتفقد الأرامل والأيتام والمساكين، كانت القرية تعرفه، فهو يحضر لهم الكتب النافعة، والأشرطة الدينية، وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين، وحتى حلوى الأطفال لم يكن ينساها، كان يرد على من يثنيه عن فعل الخير، ويقول: إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته وسماع الأشرطة والمحاضرات، وهكذا كانت هذه الخاتمة الحسنة.

- الإمام الجُنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري رحمه الله، كان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم ابتدأ بقراءة سورة البقرة، فقرأ سبعين آية ثم مات.

- والشيخ أحمد بن محمد الديبلي رحمه الله، أخذ يقرأ قدر خمسين آية ثم مات.

- الإمام ابن طاهر المقرئ رحمه الله، بينما هو جالس في مسجده يقرأُ وقع ميتًا.

- والإمام الكاساني رحمه الله شرَع في قراءة سورة إبراهيم، حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] خرَجت رُوحُه.

- والشيخ خلف عبد الله الخلف رحمه الله، قرأ سورة الكهف، فلما ختَمها توفِّي.

- والشيخ عبد العزيز الشثري أبو حبيب رحمه الله مات وهو يتلو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت:٣٠] وكرَّرها حتى فاضت روحُه رحمه الله.

- والشيخ ناصر حمد ناصر الدرسوني رحمه الله، توفِّي وهو يقرأ سورة يس.

مَن مات وهو صائم

عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَن خُتم له بصيام يومٍ، دخل الجنة) أخرجه البزار

وممن خُتِم له فمات وهو صائم:

- الشيخ عروة بن الزبير رحمه الله ت ٩٤.
- الشيخ خالد بن معدان بن أبي يكرب رحمه الله ت ١٠٣.
- الشيخ قيس بن إسحاق بن محمد الميرفيناني رحمه الله ت ٥٢٦.
- الشيخ ابن أبي المعالي بن قايد رحمه الله ت ٥٨٤.
- الشيخ سليمان بن طلق بن علي بن طلق النجدي رحمه الله ت ١٣٨٥.
- الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ت ١٤٢٥.

من مات وهو ساجد

قال الله عز وجل: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق: ١٧-١٩] فالعبد أقربُ ما يكون من ربه وهو ساجد، فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ) أخرجه مسلم، فهنيئًا لمن تكرَّم الله عليه بذلك.

وممن مات من أهل العلم وهو ساجد:

- الإمام المبارك بن سعيد الثوري رحمه الله ت ١٨٠، أخو الإمام سفيان.
- الشيخ عبدالعزيز بن أبي حازم رحمه الله ت ١٨٥.
- الشيخ نصر بن علي بن نصر بن علي بن صبهان رحمه الله ت ٢٥٠.

- الشيخ بن أبي شجاع يعرف بابن الثلجي رحمه الله ت ٢٦٦.
- الشيخ أبي عقال علوان بن الحسن رحمه الله ت ٢٩٦.
- الشيخ يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسي البختري رحمه الله ت ٣٢٢.
- الشيخ أحمد بن علي بن الحسن بن محمد الدقاق رحمه الله ت ٤٧٤.
- الشيخ محمد بن الحسين المزرقي رحمه الله ت٥٢٧.
- الشيخ عفر بن الحسن الأذربيجاني رحمه الله ت ٥٠٦.
- الشيخ محمد بن الحسين بن علي الشيباني الحاجي رحمه الله ت ٥٢٦.
- الشيخ علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي رحمه الله ت ٥٣٣.
- الشيخ يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله ت ٥٦٠.
- الشيخ عبد الرحيم بن نصر بن يوسف بن مبارك البعلبكي رحمه الله ت ٦٥٦.
- الشيخ سعد بن عثمان بن مرزوق بن حميد سلامة القرشي رحمه الله ت ٥٩٢.
- الشيخ أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن مفرج رحمه الله ت ٧٥٨.
- الشيخ محمد بن أحمد بن محمد يُعرف بابن الخلال رحمه الله ت ٨٦٧.
- الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن علي الباهلي رحمه الله ت ١٢٧٨.
- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سالم الضويان رحمه الله ت ١٣٥٨.
- الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله ت ١٤١٧.

من مات وهو يقرأ القرآن في الصلاة

- الشيخ زارة بن أوفي رحمه الله ت ٩٣.
- الشيخ حميد الطويل رحمه الله ت ١٤٣.
- الشيخ أبو بكر محمد بن عبدالله بن جعفر الزهيري رحمه الله ت ٢٦٥.
- الشيخ إسماعيل الإسماعيلي رحمه الله ت ٣٩٦.
- الشيخ علي بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن جدا العبكري رحمه الله ت ٤٦٨.
- الشيخ محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن تيمية رحمه الله ت ٦٢٢.
- الشيخ محمد بن عوض بن سلطان بن عبدالمنعم البكري رحمه الله ت ٧٤٤.
- الشيخ علي الجراعي رحمه الله ت ٨٥٩.
- الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم بن سلمان البداح رحمه الله ت ١٢٩٧.
- الشيخ عوض محمد عوض الحجي رحمه الله ت بعد ١٣٠٩.
- الشيخ عبد الله بن عودة بن عبدالله صوفان بن عيسي القدومي رحمه الله ت ١٣٣١.
- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله ت ١٤٠٤.
- الشيخ عبد العزيز بن علي بن عبدالله بن محمد الشبل رحمه الله ت ١٤١٨.

من مات بعد أن صلَّى

- الشيخ علي بن محمد الجرجاني رحمه الله ت ٣٦٨، توفِّي بعد صلاة الجمعة.
- الشيخ أحمد بن محمد الأصبهاني رحمه الله ت ٥٧٦، لَمَّا صلى صلاة الصبح من يوم الجمعة في أول وقتها مات.
- الشيخ عبد اللطيف عبدالله آل مبارك رحمه الله ت ١٣٧٢، توفِّي بعد أن صلَّى الظهر.

من مات بعد أن صلَّى النافلة وجلس ينتظر إقامة الفريضة

- الشيخ الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ت ٧٤٣، دخل المسجد وصلى النافلة، وجلس ينتظر الإقامة للفريضة، فقضى نَحبَه متوجهًا إلى القبلة.

من مات وهو يدعو

- الإمام أحمد بن محمد بن السُّني ت ٣٦٤، رفَع يديه يدعو الله تعالى فمات.

من مات وهو محرم

عن ابن عباس ﷺ أن رجلًا كان مع النبي ﷺ مُحرَّمًا، فوقَصتْه ناقتُه، فمات، فقال ﷺ: (اغسِلوه بماء وسدرٍ، وكفِّنوه في ثوبيه، ولا تُحنطوه، ولا تُخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة مُلبيًا) متفق عليه

وممن منَّ الله الكريم عليه فمات وهو محرم من أهل العلم:

- الشيخ القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي رحمه الله ت ٧٣٩.
- الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان بن علي بن عثمان بن سعد بن أبي المعالي البرهان رحمه الله ت ٨٨٤، أدركه أجلُه وهو محرم يوم عرفة.
- الشيخ أحمد عبد العزيز المرشدي رحمه الله ت١٣٥٩، مات بمكة يوم التروية محرمًا.

من مات وهو يخطب يوم الجمعة

- الشيخ يحيى بن مالك عائذ الأندلسي رحمه الله ت ٣٧٦، مات وهو يخطب يوم الجمعة.

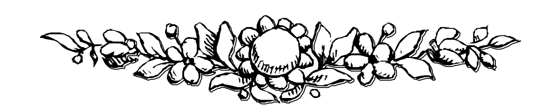
من مات وهو يذكر الله

- الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي مات وهو يسبِّح.
- والشيخ إبراهيم بن خضر عثمان العثماني القصوري رحمه الله مات وهو يستغفر الله.

- **فهذا مؤذن يؤذن لله أربعين سنة** لا يبتغي الأجر إلا من الله، وقبل الموت مرض مرضاً أقعده في الفراش، وعجز أن يخرج إلى بيت الله ليرفع الأذان، وقبل الموت بساعات بكى وقال: يا رب! أؤذن أربعين سنة لا أبتغي الأجر إلا منك وحدك، وأحرم من هذه النعمة قبل الموت!! اللهم يسر لي الأذان، فلما سمع الأذان خارج بيته قال لأولاده: يا أولادي ! وضئوني فوضئوه، قال: أريد أن أصدع بالأذان وأن أخرج إلى المسجد، فلما أراد أن يخرج عجز عن الخروج إلى بيت الله جل وعلا فقال: أوقفوني فأوقفوه على فراشه، واتجه إلى القبلة ورفع صوته بالأذان إلى أن وصل إلى آخر كلمات الأذان، فقال: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله) وخر على فراشه ساقطاً، فأسرع إليه أولاده فإذا روحه قد خرجت مع قوله: (لا إله إلا الله) لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

- **لقد عاش شيخنا المبارك فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك طيب الله ثراه** وجمعنا به في جنات النعيم لدعوة الله ولدين الله، ما نافق ظالماً ولا طاغوتاً من طواغيت أهل الأرض، وإنما تمنى رضوان الله جل وعلا، فكانت الخاتمة أن تقبض روحه وهو في الصلاة بين يدي الله جل وعلا، إنها الخواتيم.

أسأل الله الرحمن الرحيم أن يَمُنَّ عليَّ، وجميع إخواني المسلمين بحُسن الخاتمة، إنه سميع قريب مجيبٌ.



عناصر الفصل السادس

نتيجة الملحمة تظهر في الخاتمة؟؟!!

المهم بالنسبة لإبليس الخاتمة

الأعمال بالخواتيم الخواتيم ميراث السوابق
أما أهل الغفلة - فرعون وسوء خاتمته - سوء خاتمة عضد الدولة - عبد الملك بن مروان وخاتمته - سوء الخاتمة لأهل البدع والكفر - قصص بعض الظلمة ومحبي الدنيا عند الموت - قصص محبي الغناء وجلساء السوء عند الموت
أما أهل اليقظة - سؤالُ الله حُسنَ الخاتمة - من مات بعد أن تشهَّد - من مات وهو يقرأ القرآن الكريم - مَن مات وهو صائم - من مات وهو ساجد - من مات وهو يقرأ القرآن في الصلاة - من مات بعد أن صلَّى - من مات بعد أن صلَّى النافلة وجلس ينتظر إقامة الفريضة - من مات وهو يدعو - من مات وهو يخطب يوم الجمعة - من مات وهو يذكر الله

خاتمة

أخى!

هذه ساحة القتال بين يديك

وقد أرشدتك فيها الى الجند الذى لا يُغلب.. والحصون التى لاتُهدم

فاختر ما شئت.. وتحصن بأى حصن أردت

فما هى غير أيام قلائل

ثم يبعث الله لك كلائكته يتقبلونك!

ويزفونك الى أفخم قصر ويتحفونك

لتستريح أخيرا من عناء الجهاد وجهاد العناء

وعندها تجد أعداءك من شياطين الإنس والجن مقرنين فى الأصفاد

لله در القائل:

سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى ** وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِل الرِّضْوانِ

فَهُمُ الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ ** مُتَشَرِّعِينَ بشِرْعَةِ الإِيمَانِ

وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ ** بَيْنَ الرَّجا والْخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

وَهُمُ الَّذِينَ مَلا الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ ** بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ

وَهُمُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ ** فِي السِّرِ وَالإِعْلاَنِ وَالأَحْيَانِ

يَتقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ ** طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ لِلْعِصْيَانِ

فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ ** مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ

صَبَّرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا ** شَوْقاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا ** قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ
شَكَرُوا الْذِي أَوْلَى الْخَلاَئِقَ فَضْلَهُ ** بِالْقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ
صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ** مع بِذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ
عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ** فَتَبَرَّؤُوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ
نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ ** بِالْعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ
صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومُ وَإِنَّمَا ** أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
أَلاَ بِاللهِ دَعَوْت الْخَلاَئِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا ** خَوْفاً عَلَى الإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا ** قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ ** لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي ** تُفْضِي إِلَى الخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ

***

لو ثمت كلمة أختم بها هذه المحاضرة

- المسألة هي ذلك الوعي بأصول اللعبة وقواعدها، وبنقلات الخصم وخبراته
- المسألة هي في ذلك الإحساس بأن اللعبة مستمرة في كل لحظة من لحظات حياتك، وأن ربحها وخسارتها هو قضية حياتك كلها، سواء كنت تحب الشطرنج أم تمقته، تجيده أو تنسى أصوله فإنه سيظل ملحمة حياتك كلها
- من أهم قواعد اللعبة أن تظل اللعبة قائمة ومستمرة، وأن لا تتصور قط إنها انتهت، وإذا ساورك الأمان والاطمئنان وتصورت أنها انتهت فاعلم أنها نهايتك
- هناك كتاب يعلمك أصول الامر وقواعده، ربما هذا الكتاب على الرف يعلوه الغبار، ربما في السيارة من أجل الحرز والحماية، ربما لا يفتح إلا من رمضان إلى رمضان.... لكنه هناك.... موجود، ولو قرأته لتعلمت وفهمت.

الملحمة ادخلوها بسلام

ولكن حذار أن تدخلوها آمنين

***

اللهم لك الحمد على أسمائك وصفاتك

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من شريعة الإسلام

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من بعثة نبيك محمد ﷺ

اللهم لك الحمد على ما مَنَنْتَ به علينا من سلوك طريق سلفنا الصالح

اللهم لك الحمد، وأنت للحمد أهل، لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

اللهم رسخ العلم في قلوبنا وارزقنا بعده علما نتقرب به إليك

اللهم اجعل قلوبنا خاشعة واجعل دعاءنا مسموعا، اللهم آمين

***

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان، فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء، وأرجو من كل مطلع على هذه الرسالة أن يتفضل فيدعو لنا بالخير، وأن يزودنا بملاحظاته واستدراكاته، فإن الدين النصيحة، والمؤمنون بخير ما تناصحوا، اللهم فتقبل ذلك منا واغفر لنا ذنوبنا وحوبنا وخطايانا أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

أَبُو عُمَرَ/ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

شِبِينُ الكَوْمِ – الْمَنُوفِيَّةِ – مصر

ملحقات الرسالة

الملحق الأول: حكم الشطرنج

لبيان حكمه، لا بد من بيان حالته المتفق على تحريمها والمختلف فيها، وهي على النحو الآتي:

الحالة الأولى: مجمع على تحريمها، وهي نوعان:

النوع الأول: إذا كان اللعب فيها على عوض من الجانبين، فهي من القمار المجمع على تحريمه.

النوع الثاني: إذا ترتب على اللعب بها ترك واجب أو فعل محرم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن اشتمل اللعب بها على العوض كان حراماً بالاتفاق".

قال أبو عمر بن عبد البر: "أجمع العلماء على أن اللعب بها على العوض قمار لا يجوز"، وكذلك لو اشتمل اللعب بها على ترك واجب أو فعل محرم... (الفتاوى ٣٢/٢١٦)

وقال الزيلعي الحنفي: "وأما الشطرنج فإن قامر به فهو حرام بالإجماع..." (تبيين الحقائق ٦/٣١).

الحالة الثانية: أن يكون العوض فيها من أحدهما، فجمهور أهل العلم على تحريمه، خلافاً لأحد الوجهين عند الشافعية، ودليل الجمهور: قوله ﷺ: "لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر" رواه الترمذي (١٧٠٠) وأبو داود (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ فظاهر الحديث تحريم دفع العوض وأخذه إلا في هذه الحالات الثلاث.

الحالة الثالثة: أن يكون اللعب بها على غير عوض، وقد اختلف في حكمه على قولين:

القول الأول: إنه محرم، وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الحنفية، والمالكية، والحنابلة، واستدلوا بالأدلة الآتية:

١- ما ورد عن علي رضي الله عنه أنه مر على قوم يلعبون بالشطرنج، فقال: {مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} [الأنبياء: ٥٢] قال في (إرواء الغليل ٨/٢٨٨): "إسناده منقطع" لو صح فإنه يحمل على المكثر المطيل العكوف عليها حتى شغلتهم عن الواجبات، وهذا يدل عليه قوله: "عاكفون".

٢- ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بقوم يلعبون الشطرنج، فقال: "ما هذه الكوبة ألم أنه عنها؟ لعن الله من يلعب بها" أخرجه أحمد في (الورع)، (ص ٩٧)، وابن حبان في (المجروحين (٢/٣٦٥)، وهو ضعيف جداً.

٣- ما روى مسلم في صحيحه (٢٢٦٠) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: "من لعب بالنردشير، فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه" ووجه الاستدلال: أن النبي ﷺ إذا حرم النرد ولا عوض فيها فالشطرنج إن لم يكن مثلها فليس دونها، وهذا يعرفه من خبر حقيقة اللعب بها، فإن ما في النرد من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن إيقاع العداوة والبغضاء: هو في الشطرنج أكثر بلا ريب، وهي تفعل في النفوس فعل حميّا الكؤوس، فتصد عقولهم وقلوبهم عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر مما يفعله بهم كثير من أنواع الخمور والحشيشة، وقليلها يدعو إلى كثيرها (الفتاوى ٣٢/ ٢٢١-٢٢٢) **وأجيب عنه من وجهين:**

الوجه الأول: الفرق بين النرد والشطرنج، فإن النرد إنما حرمت ؛ لأنها كالأزلام يعول فيها على ترك الأسباب، والاعتماد على الحظ والبخت، وهذا ظاهر من طريقة اللعب بها، فهو يضر بذلك، ويغري بالكسل والاتكال على ما يجيء به القدر.... (فتاوى محمد رشيد ٣/١١٦٧) وانظر (المغني) بخلاف الشطرنج.

الوجه الثاني: لو سلم بعدم الفرق، فإن ما ذكر إنما يكون إذا كان فيها دفع العوض أو لم يكن، وأكثر منها حتى أوقعته في المحذور من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وأما قبل ذلك فعلة القياس متخلفة وغير متحققة، ويؤيد ذلك ما ذكره شيخ الإسلام بقوله: " والفعل إذا اشتمل ــ كثيراً ــ على ذلك، وكانت الطباع تقتضيه و لم يكن فيه مصلحة راجحة حرمه الشارع قطعاً... " (الفتاوى ٣٢/٢٢٨) فمفهوم هذا الكلام: أنه إذا لم يشتمل على تلك المفاسد أن الشارع لا يحرمه.

٤- إن الشطرنج ونحوه من المغالبات فيها من المفاسد ما لا يحصى، وليس فيه مصلحة معتبرة، فضلاً عن مصلحة مقاومة، غايته أنه يلهي النفس ويريحها (الفتاوى ٣٢/٢٢٩) **ويجاب**: بأنه لا دليل على أن الفعل يشترط لإباحته أن يكون فيه مصلحة، بل المشروط عدم وجود الضرر لقوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" أخرجه ابن ماجة (٢٣٤١)، وأحمد (٢٨٦٥) ومن ثم فمدار التحريم على الإكثار الذي يترتب عليه الضرر، وهذا بناء على أنه ليس بمحرم لنفسه وعينه، وإنما لكونه ذريعة، والذريعة تقدر بقدرها.

القول الثاني: **أنه ليس بمحرم**، وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الشافعية، ورواية عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، وقول ابن حزم، استدلوا بالآتي:

١- أنه مروي عن بعض الصحابة كابن عباس، وابن الزبير، وأبي هريرة ﷺ **ويجاب عنه** بأنها -إن صحت- فهي معارضة بما روي عن غيرهم من الصحابة ﷺ من النهي عنه.

٢- أن الأصل الإباحة، ولم يرد بتحريمها نص ولا هي في معنى المنصوص عليه، **وأجيب**: بأنها في معنى النرد المنصوص على تحريمه (المغني ١٤/١٥٥-١٥٦) وقد تقدم الجواب عن إلحاقها بالنرد.

٣- أن الشطرنج موضوع على تعلم تدبير الحرب، وربما تعلم الإنسان بذلك القتال، وكل لعب يعلم به أمر الحرب والقتال كان مباحاً، قالت عائشة ﷺ: "مررت ورسول الله ﷺ بقوم من الحبشة يلعبون بالحراب، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليهم، ووقفت خلفه فكنت إذا أعييت جلست، وإذا قمت أتقي برسول الله ﷺ" أخرجه البخاري (٩٨٧) ومسلم (٨٩٢) وانظر (نيل الأوطار١٠/٢٧، تكملة المجموع ٢٠/٣٨) **وأجيب**: بأن ما ذكر لا يقصد منها، وأكثر اللاعبين بها إنما يقصدون منها اللعب أو القمار، **ويرد على هذا الجواب**: بأن قصد اللعب إذا لم يترتب عليه محظور من ترك واجب، أو فعل محرم ونحو ذلك، فهو من المباح.

٤- أن اللعب بالشطرنج من الرياضات الذهنية القائمة على الذكاء والفطنة، واستعمال الفكر، وتنمية هذه المواهب والحواس وما كان هذا شأنه، فإنه لا يدخل في المحرم.

والذي يظهر:

- أن الإكثار من اللعب بالشطرنج واتخاذه عادة ونحو ذلك مكروه؛ لأنه لعب لا ينتفع به في أمر الدين ولا حاجة تدعو إليه، وربما صار وسيلة إلى الوقوع في المحرم، وأما إذا كان اللعب به يسيراً، ومع أهله ونحوهم لاستجمام النفس،

وتنمية المواهب، فإن هذا مباح بناء على الأصل، وهذا إذا لم يترتب على اللعب به شيء من الفحش وبذيء الكلام، أو الوقوع في محرم من ترك واجب أو فعل محرم.

قال ابن عبد البر: "وتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقهاء في الشطرنج: أن من لم يقامر بها، ولعب مع أهله في بيته مستتراً به مرة في الشهر أو العام لا يطلع عليه، ولا يعلم به أنه معفو عنه غير محرم عليه ولا مكروه له...." (التمهيد ١٣/١٨١)، وانظر (تفسير القرطبي ٨/٣٣٧)،

وقال الشيخ رشيد رضا: ".. وأقول: إن اللعب بالشطرنج إذا كان على مال دخل في عموم الميسر، وكان محرماً بالنص -كما تقدم- وإذا لم يكن كذلك فلا وجه للقول بتحريمه قياساً على الخمر والميسر إلا إذا تحقق فيه كونه رجساً من عمل الشيطان، موقعاً في العداوة والبغضاء، صاداً عن ذكر الله وعن الصلاة، بأن كان هذا شأن من يلعب به دائماً أو في الغالب، ولا سبيل إلى إثبات هذا، وإننا نعرف من لاعبي الشطرنج من يحافظون على صلواتهم، ويتزهون أنفسهم عن اللجاج والحلف الباطل، وأما الغفلة عن الله فليست من لوازم الشطرنج وحده، بل كل لعب، وكل عمل فهو يشغل صاحبه في أثنائه عن الذكر والفكر فيما عداه إلا قليلاً، ومن ذلك ما هو مباح، وما هو مستحب أو واجب، كلعب الخيل والسلاح، والأعمال الصناعية التي تعد من فروض الكفايات، ومما ورد النص فيه من اللعب لعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ بحضرته، (سبق تخريجه) وإنما عيب الشطرنج من أنه أشد الألعاب إغراء بإضاعة الوقت الطويل، ولعل الشافعي كرهه لأجل هذا (تفسير المنار ٧/٦٢-٦٣).



الملحق الثاني: من هم الجن؟ وكيف خلقهم الله؟

الجن خلق من خلق الله، خلقهم من نار قبل خلق آدم كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر: ٢٦، ٢٧]

وكما أن لآدم ذرية فكذلك لإبليس ذرية كما قال سبحانه عن إبليس: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠]

وقد خلق الله الجن والإنس لعبادته فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]

والجن كلهم مكلفون كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر والمطيع والعاصي كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} [الجن: ١١]

وجزاء الجن في الآخرة كالإنس كما قال الله سبحانه عنهم: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٤، ١٥]

وسيقف الجن والإنس جميعاً للحساب يوم القيامة أمام رب العالمين فلن يتأخر أو يفر منهم أحد: { يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن: ٣٣]

ومن حاول الفرار من الجن والإنس عن الحساب فلن يتمكن كما قال عنهما

سبحانه: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ} [الرحمن: ٣٥]

وحين كان الرسول ﷺ في مكة صرف الله إليه نفراً من الجن فسمعوا القرآن وتأثروا به: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩]

وقد آمن بعض الجن حين سمعوا القرآن كما قال سبحانه: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ١، ٢]

وكل من آدم وإبليس وقع في المعصية لكن آدم ندم وتاب فتاب الله عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ٣٧]

أما إبليس فأبى واستكبر فكان من الكافرين: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤]

ومن عصى الله مستكبراً من الجن والإنس فهو تبع للشيطان، يحشر معه في نار جهنم إن لم يتب كما قال سبحانه لإبليس: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٤، ٨٥]

وأولياء الرحمن من الإنس والجن يتعاونون على البر والتقوى وأولياء الشيطان من الإنس والجن يتعاونون على الإثم والعدوان: قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢]

وكان الجن لهم مقاعد في السماء يسترقون السمع فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ مُنعوا ذلك، ومن استمع منهم أحرقته الشهب كما حكى الله عن

الجن قولهم {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن: ٨، ٩]

واجن معنا في هذه الأرض، ولكن من رحمة الله أنهم يروننا ونحن لا نراهم كما قال سبحانه عن إبليس وقبيله: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧] ومن يراك وأنت لا تراه وهو عدوك فهو أشد خطراً لذا يجب الانتباه والحذر منه دائماً، والاحتراس من شياطين الإنس والجن.



الملحق الثالث: ما الفرق بين الجن والشيطان؟ ١

الجن هو ذلك العالم الخفي الذي خلقه الله تعالى من النار، خلقه الله تعالى لعبادته، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] وقد بعث نبينا ﷺ إلى الجن والإنس جميعاً، ووجود هذا العالم من الأمور المعلومة في دين الإسلام، **ومن أنكره كفر**؛ لأنه أنكر شيئا ثابتاً في القرآن الكريم، فإن من سور القرآن سورة كاملة اسمها سورة "الجن" ولما كان هذا العالم –عالم الجن– مكلفا بالتكاليف الشرعية، مأمورا بالإيمان بوحدانية الله، وعبادة الله وحده لا شريك له، واتباع النبي محمد ﷺ وجد فيه من أطاع وآمن، ومن عصى وخالف وكفر، وقد أخبرنا الله سبحانه عن ذلك على لسان الجن، فقال عز وجل: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٤، ١٥]

والشيطان اسم لما كفر من الجن، فلا يقال لمؤمن الجن: شيطان، وإنما يقال ذلك لكافرهم، قال الله عز وجل: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠] قال ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (١/١٦): "الشيطان مشتق من البعد على الصحيح، ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانا، قال الله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢] انتهى.

١– منقول وما بعده من موقع الإسلام سؤال وجواب.

وثبت في الصحيحين ما يدل على أن الشياطين من الجن، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ؟ فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَخْلَةَ، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ، تَسَمَّعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ) (متفق عليه)

وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٦٧٥/٨): "وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان؛ فلا يقال لمن آمن منهم إنه "شيطان" انتهى، وقال الرازي في "مفاتيح الغيب" في تفسير سورة الحجر الآية ٢٧: "الأصح أن الشيطان قسم من الجن: فكل من كان منهم مؤمناً فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم" انتهى.



الملحق الرابع: هل إبليس أبٌ للجن كلهم؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن إبليس هو أبو الجن كلهم: مؤمنهم وكافرهم، فهو أصلهم وهم ذريته، نُقل هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن البصري وغيرهم (انظر: "تفسير الطبري" (١/٥٠٧) "الدر المنثور" (٥/٤٠٢) وروي في ذلك حديث مرفوع عن النبي ﷺ أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٦/١٩٧) عن معاوية بن الحكم السلمي، إلا أنه ضعيف جدا، تفرد به طلحة بن زيد القرشي الذي قال فيه علي بن المديني: كان يضع الحديث (انظر "تهذيب التهذيب" (٥/١٦).

وقد أطلق شيخ الإسلام على إبليس أنه "أبو الجن" في أكثر من موضع، انظر "مجموع الفتاوى" (٤/٣٤٦،٢٣٥)، وكذا تلميذه ابن القيم، ثم الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٦/٣٦٩).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله -كما في "مجموع الفتاوى" (٩/٣٧٠-٣٧١)-: "والشيطان هو أبو الجن عند جمعٍ من أهل العلم، وهو الذي عصى ربه واستكبر عن السجود لآدم ، فطرده الله وأبعده" انتهى

وجاء في "فتاوى نور على الدرب" للشيخ ابن عثيمين (الجن والشياطين/ سؤال رقم/٢): "لا شك أن إبليس هو أبو الجن؛ لقوله تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: ١٥] وقوله عن إبليس وهو يخاطب رب العزة سبحانه وتعالى: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠] فهذه الأمور أدلتها واضحة أن الشيطان له ذرية، وأن الجن ذريته، ولكن كيف يكون ذلك؟ هذا ما لا علم لنا به، وهو من الأمور التي لا يضر الجهل بها، ولا ينفع العلم بها، والله أعلم" انتهى.

الملحق الخامس: هل إبليس لا زال حيا؟

إنّ من سُنة الله في خلق الإنسان أن يبتليه ويختبره، لِيُمَحِّصه، قال تعالى: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: ١٥٤]

وكان مما ابتلانا الله به، إبليس –لعنه الله–، فجعله الله من المنظرين إلى وقت معلوم، يصدّ عن الخير ويأمر بالشر، وينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر، فصدّقه من صدّقه، واتبعه خلق كثير من بني آدم، فضلّ وأَضَلّ، وكان إبليس قد تعهد بأن يفعل ذلك، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء: ٦١ – ٦٥]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف:

١١ - ١٨] ويدلُّ ظاهر هذه الآيات وغيرها أن إبليس -لعنه الله- أنظرهُ الله إلى أجل، والإنظار معناه التأخير، فأخرَّه الله إلى يوم معلوم عنده، لا يعلمه غيره، وكان إبليس قد سأل الله أن يؤخره، قال تعالى: { قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٠ - ٨٢]

وقد اختلف العلماء في قوله تعالى {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}:

- فمنهم من قال: أنه يوم البعث، عند النفخة الثانية.
- ومنهم من قال: أنه أجل إبليس المكتوب له.

وذهب أكثر أهل العلم: أن المقصود بيوم الوقت المعلوم، هو يوم موت جميع الخلائق وفنائها عند النفخة الأولى، وليس النفخة الثانية، وقالوا: لأنه بعد البعث - النفخة الثانية في الصور - لا يكون هناك موت، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨]

قال البيضاوي في تفسيره: "إلى يوم الوقت المعلوم: المسمى فيه أجلك عند الله، أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور" تفسير البيضاوي (٣/٣٧٠).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "قال ابن عباس: أراد به النفخة الأولى، أي حين تموت الخلائق، وقيل: الوقت المعلوم الذي استأثر الله بعلمه ويجهله إبليس فيموت إبليس ثم يُبعَث؛ قال الله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦] تفسير القرطبي (١٠/ ٢٧).

وروى الطبري في تفسيره عن السُدِّي: "{قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [ص: ٧٩ -

٨١] فلم يُنْظِرهُ إلى يوم البعث ولكن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى فصعق من في السموات ومن في الأرض فمات" (٨/١٣٢)

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآيات:{إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} الذى قَدَّرَهُ الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة، وقيل: هو النفخة الأولى، قيل: إنما طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث ليتخلص من الموت لأنه إذا أنظر إلى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فأجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده وهو الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهو الذى يعلمه الله ولا يعلمه غيره" فتح القدير (٤/٤٤٦).

فهذا يدل على أن إبليس –لعنه الله– ما يزال حياً، وأنه ما يزال يُفسد في الأرض ويُضّل الناس عن سبيل الله، وأنه ليس مُخلداً إلى يوم القيامة، بل له أجل سوف يموت فيه، والله أعلم بهذا الأجل، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥] وقال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦، ٢٧]

وأيضاً فقد جاء ما يَدُلُّ على أن إبليس –لعنه الله– كان حيّاً في زمن النبي ﷺ: ظهور إبليس يوم بدر على هيئة سراقة بن مالك، قال الله تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: ٤٨] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "حَسَّنَ لهم –لعنه الله– ماجاؤا له وما همّوا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال إني جار لكم، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقة بن

مالك بن جعشم سيد بني مدلج كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: ١٢٠] قال ابن جريج: قال ابن عباس ﷺ في هذه الآية: لمّا كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم وإني جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة نكص على عقبيه -رجع مدبراً- وقال إني أرى ما لا ترون.. الآية" تفسير ابن كثير (٢/٣١٨).

وأيضاً ظهوره -لعنه الله- يوم أُحد، جاء في الحديث الصحيح عن عائشة ﷺ قالت: "لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ فَصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ. فَرَجَعَتْ أُولاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ" (رواه البخاري برقم ٣٠٤٧)

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ رأى إبليس، جاء في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء ﷺ قال: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَة اللَّهِ، ثَلاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ! وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ؟! قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ؛ وَاللَّهِ لَوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ" (رواه مسلم برقم ٨٤٣، والنسائي برقم ١٢٠٠)

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ، فَقَرَأَ فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ قَالَ: لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإبْلِيسَ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ يَتَلاعَبُ بِهِ صِبْيَانُ الْمَدِينَةِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ" (رواه أحمد برقم ١١٣٥٤)

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إنَّ عَرْشَ إبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً" (رواه مسلم برقم ٥٠٣١، وأحمد برقم ١٤٢٧) فإبليس عليه لعنة الله ما زال حياً، وسيموت في الوقت المعلوم الذي أنظره الله إليه، وهو على الراجح من قول أهل العلم: يوم النفخة الأولى، والله تعالى أعلم.



الملحق السادس: الفرق بين وسوسة الشيطان وسوسة النفس

وسوس له أو إليه (لغةً): حدثه بما لا نفع فيه ولا خير، أو تكلم بكلام خفي. والفاعل هو مُوَسوِس، والمفعول هو مُوَسوَس له، و أوحى إليه (لغةً): ألقاه إليه وبلغه إياه

أنواع الوسوسة إلى الإنسان تبعاً إلى نوع المُوسوس هي:

أ) **وسوسة النفس الأمارة بالسوء**: إن النفس توسوس لصاحبها وتأمره بعمل السوء، قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦] ولكن هل النفس الأمارة بالسوء توسوس لصاحبها من تلقاء نفسها أم يوجد من يحثها على ذلك؟ **الجواب**: هو أن القرين أي الشيطان المُوكل بالإنسان هو من يحثها ويأمرها بالوسوسة لصاحبها بفعل السوء فنفس الإنسان مجبولة على كلا الخير والشر معاً فالشيطان يستطيع أن يحث النفس على الأمر بالسوء لصاحبها من الشر الموجود فيها، والدليل أنه لماذا لا يستطيع الشيطان أن يُوسوس للملائكة بفعل السوء؟ الجواب لأن الملائكة مجبولون على الخير المحض النقي فلا يوجد عندهم شر ولذلك لا يستطيع الشيطان أن يوسوس إليهم بفعل السوء، كذلك لما ثبت في الصحيح أنه «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ) فقرين الرسول ﷺ لا يأمره إلا بالخير لأنه ﷺ قد شُق صدره وغُسلَ قلبه من جبريل عليه السلام بمشيئة الله عزوجل فصارت نفسه خالصة الطهارة والنقاء كالملائكة لما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك (أن النبي ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه

فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئيره- فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: أرى أثر المخيط في صدره"، والظئير المرضعة وهي هنا حليمة كما هو معلوم) كما أنه ﷺ غُسل قلبه عند مبعثه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، وعند الإسراء والمعراج ليتأهب للمناجاة، وما يؤكد ذلك تجد أن مقدرة الشيطان على الوسوسة لبني آدم تتفاوت بتفاوت طهارة ونقاء أرواحهم فتجد أناساً محفوظون من وسوسة الشيطان لهم بإقتراف جريمة الزنا أو جريمة السرقة بينما هنالك من هم غير محفوظين من ذلك لأن أرواحهم أقل نقاءاً وطهارةً .

ب) وسوسة الشيطان القرين: قال تعالى {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [ق: ٢٧] فالقرين هو الشيطان الموكل بالإنسان في الدنيا، فهو يوسوس للإنسان بمعصية الله عز وجل وبترك الطاعات والنوافل وكل ما هو أولى عن طريق النفاذ والوصول إلى روحه، كما في رواية أنس عن قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله: "على رسلكما، إنها صفية بنت حيي"، فقالا سبحان الله يا رسول الله، فقال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا") فروح الإنسان هي التي تجري فيه مجرى الدم مكسبةً إياه علامات الحركة والإرادة والحس مما يفيد أن المقصود بجريان الشيطان مجرى الدم من ابن آدم هو وصوله ونفاذه إلى روح الإنسان ووسوسته لها بفعل السوء .

ج) **وسوسة شياطين الإنس وشياطين الجن:** قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢]

فشياطين الإنس والجن (شياطين: مضاف، الإنس: مضاف إليه، الجن: معطوف على الإنس) **تحتمل معنيين :**

الأول: شياطين من الإنس (جمع إنسي شيطان) وشياطين من الجن (جمع جني شيطان) كقول حسنُ الخُلقِ أي خُلقٌ حسن.

الثاني: شياطين للإنس وشياطين للجن، كقول كتابُ الطالبِ أي كتابٌ للطالب.

كلا المعنيين صحيحين والجمع بينهما مفاده أن هنالك شياطين من الإنس وشياطين من الجن توسوس إلى الإنس كما أن هنالك شياطين من الجن توسوس للجن أما شياطين الإنس فلا تستطيع أن توسوس للجن وإنما تستطيع أن تستعين بهم، وفي سياق أنواع الوسوسة للإنسان سوف نأخذ بأحد التأولين لقوله تعالى {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس: ٤ – ٦] وهو أن الشيطان الخناس الذي يوسوس في صدور الناس أي في صدور الإنس هو من الجنة والناس أي من جماعة الجن والإنس أي هنالك شياطين من الجن والإنس توسوس في صدور الناس من الإنس، وما يؤكد ذلك رواية أبي ذر عن الرسول ﷺ قال: (أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: "يا أبا ذر، هل صليت؟" قلت: لا، قال: "قم فصل"، قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: "يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن") ولكن وسوسة شياطين الإنس للإنسان تكون بإلقائهم إليه ما يضره ولا ينفعه وليس بكلام خفي لأن

الإنسان يرى شياطين الإنس وهم يرونه، أما وسوسة شياطين الجن للإنسان تكون بكلام خفي لأنه لا يراهم وهم يرونه. فإذا قيل كيف يمكن لشياطين الإنس أن توحي زخرفَ القول إلى شياطين الجن وهم لا يروهُم كما في قوله تعالى {شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢] يُقال أنه عندما يستعيذ الإنسي الشيطان بالجني الشيطان من خلال السحر فإنه يستطيع أن يراه ويتحدث معه لقوله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]

فإبليس هو مصدر الوسوسة للإنسان لأنه رأس الشر:

قال تعالى {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ} [الكهف:٥٠] فهو من يأمر الشياطين بالوسوسة للإنسان إما من خلال النفس الأمارة بالسوء و إما من خلال الشيطان القرين، لقوله ﷺ (إنَّ إبليسَ يضَعُ عرشَه على الماءِ ثمَّ يبعثُ سراياهُ فأدناهم منهُ منزلةً أعظمُهم فتنةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ فعلتُ كذا وَكذا فيقولُ ما صنعتَ شيئًا قال ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ ما ترَكتُه حتَّى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه قال فيدنيهِ منهُ ويقولُ نِعمَ أنتَ) (عن جابر بن عبد الله، رواه مسلم)

ولقوله تعالى {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [سبأ: ٢٠، ٢١] و قوله تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: ٢٢] فهذه الآيات الكريمة تُشير بوضوح إلى أن رأس الشر ومصدر الوسوسة هو إبليس وأن اللوم يوم القيامة يُلقى على إبليس وليس على الشيطان القرين أو على

النفس الأمارة بالسوء أو على شياطين الإنس أو على شياطين الجن، وذلك لأنه هو رأس الشر .

أما غواية الجن فهي من إبليس وذريته، قال تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا} [الجن: ٤] سفيهنا أي إبليس ونجد أن غواية الشيطان لجماعة الجن لم يُعبر عنها بلفظ الوسوسة ومشتقاها لأن الوسوسة هي التكلم بكلام خفي والجن يرون إبليس وجماعته من الشياطين وبالتالي هم ليسوا مخفيين على الجن، وعند تدبر أحد التأولين لقوله تعالى {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس: ٤-٦] وهو أن الشيطان يُوسوس في صدور الناس من الإنس والجن أي أن الناس تشمل هنا كلا الجنسين الإنس والجن كما في قوله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦] ولكن وسوسة الشيطان للإنس مختلفة عن وسوسته للجن، فوسوسته للإنس هي بكلام خفي لأن الشيطان مخفي على الإنس بينما وسوسته للجن هي بإلقائه إليهم ما يضرهم ولا ينفعهم وليس بكلام خفي لأنه ليس مخفي عن الجن فهو يراهم ويرونه لأهم من نفس الجنس .

أما الإنسان فهو لا يستطيع أن يُوسوس إلى الجن أو يُلقي إليهم قولاً لأنه لا يراهم، قال تعالى {يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧] فقول (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) تعود على إبليس وجماعته أو أتباعه من الشياطين والجن وكلاهما من جنس الجن، قال تعالى {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا }

[الكهف: ٥٠] فنحن المسلمون نؤمن بأن الجن والملائكة حقٌ رغم أننا لا نراهم والدليل على ذلك مثالٌ محسوس تقريبي فالهواء الذي يُحيط بنا في كل مكان هو موجود ونشعر به مع أننا لا نراه، مما يعني أن عدمَ رؤية الملائكة والجن لا ينفي وجودهما (المؤلف: خالد صالح أبودياك)

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: "النفس تميل إلى نوع واحد من المعاصى كشهوة النساء أو التدخين، أما الشيطان فيريدك عاصيا على أى وجه" بمعنى آخر: وسوسة النفس لا تكون إلا بذنب أنت معتاد عليه أليف على نفسك، مثلا فإذا كنت غير مدخنا فإن نفسك لن تحدثك شرب المخدرات، لأنك تكره التدخين أصلا، أما الشيطان فينتهز ظهور أحد الأشخاص المزاجنجية فى إعلان أو فيلم ليشرح لك مزايا ذلك الإثم ويزينه لك بأي طريقة كانت، حتى و لو كانت إيهامك بأنك متعب نفسيا وتحتاج للعلاج، ولا علاج إلا هذا الإثم! مداخل الشيطان كثيرة، ولكن مدخل النفس وحيد.



المُحتَويَاتْ


تم بحمد الله